محتويات العدد

خطاب معالي الدكتور محمد الهلالي

وزير التربية الوطنية في حكومة صاحب الجلالة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

سعادة مستشار صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

أصحاب المعالي الوزراء

السيدة وزير الدولة للتعليم في حكومة السودان الشقيقة

السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

السيد المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة

السادة مندوبي الدول العربية الشقيقة

أيها السادة والسيدات

لي عظيم الشرف أن أتولى رئاسة الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السادس للتعريب، نظرا للأهمية التي نشترك جميعا في إعطائها لهذا الموضوع الحيوي بالنسبة إلينا كأمة عربية متماسكة الأوصال، موحدة الآمال، مشتركة المصير.

وأود بادىء ذي بدء أن أرحب بكم باسم حكومة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في المملكة المغربية بلدكم الثاني.

كما أود أن أتقدم إليكم بالشكر الجزيل على تلبيتكم الدعوة الموجهة إليكم وعلى تحملكم عناء السفر للمشاركة في هذا المؤتمر والمساهمة في إنجاحه.

وتشاء عناية الله أن نلتقي اليوم بعد أن التقينا

بكل من الرباط والجزائر وطرابلس وطنجة وعمان لتبادل الرأي واستكشاف آفاق جديدة لعملنا المتواصل من جهة، ولنقيم من جهة أخرى ما أنجزناه في الفترة الأخيرة وما قدمناه لأمتنا العربية من أعمال تخدم لغتنا العربية المجيدة لغة القرآن الكريم، والدين الاسلامي السموح.

وهنا يطيب لي أن أتوقف لأنوه بما تقوم به منظمتنا العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب التابع لها من جهود مثمرة في سبيل تعميق جذور اللغة العربية على جميع الأصعدة وتكييفها مع التطور العلمي والتكنولوجي.

وفي هذا الباب، يسعدني أن أنوه بعشرات المعاجم التي أصدرتها مشكورة، والتي تتناول مختلف مجالات الحياة المعاصرة، علاوة على مواضيع تحليلية هامة لقضايا التعريب.

وأجدني مدفوعا لانتهاز هذه الفرصة السانحة، قصد الاشادة بالجهود المبذولة من طرف مختلف أقطارنا العربية التي تقدر قدر مشكل التعريب المطروح علينا بإلحاح، والتي من أجله لاتبرح عاملة على تشييد مراكز هنا وهناك، قصد معالجته بما يتلاءم وطموحاتها في قطع أشواط بعيدة الحد نحو التقدم والازدهار الأمر الذي يفسر تعدد الاتصالات بين المختصين والمهتمين بقضايا التعريب وعزمهم الأكيد على أن يصلوا بلغتنا العربية إلى المكانة المرموقة الجديرة بها حتى تكون بالاضافة إلى أنها لغة دين وعلوم وآداب وأخلاق لغة تكنولوجيا وأداة للتفتح على العالم الخارجي بما يحقق التواصل معه على مختلف المستويات.

وطبيعي أن تقدم أي أمة هو رهن بمدى اندماجها في المحيط العالمي وتطلعها لأداء دورها الانساني داخل هذا المحيط.

وطبيعي أن ذلك إنما يتأتى بمدى قدرتنا على مسايرة ركب التطور الانساني وامتلاكنا للمستجدات العلمية والتكنولوجيا الحديثة التي أصبحت تتطور يوما عن يوم وبصورة مذهلة.

ولاشك أن من الواجب تحقيقا لذلك توفر جميع أنواع التقنيات التي تستغل اليوم لخدمة اللغات المتقدمة لما فيها الاصلاح الطباعي وتطويع الحرف العربي تطويعا يجعله في مصاف الحروف التي لا يشتكي منها في أي حال من الأحوال. كما أن معالجة المصطلحات في جميع المجالات تقتضي تلافي الوقوع في الفوضى التي تتسبب في تشتت الجهود واتخاذ كل وجهة لا يقصدها غيره كما هو الحال، مع الأسف، في الوقت الراهن.

وبالرغم من كون المجامع العربية ومكتب تنسيق التعريب قد اجتهدت لضبط المصطلحات ووضع بعض القواعد لذلك من خلال عدة لقاءات وندوات فإن من الملاحظ أن هذه القواعد لم تطبق لحد الساعة. لهذا نلح كصوت منبعث من هذا الجزء من الوطن العربي على سلوك كل السبل التي من شأنها أن تحقق توحيد الجهود وتكاثفها حتى يقع التغلب على هذا المشكل. ولن يتأتى هذا حسب تصورنا إلا بالتعارف والتعاون اللذين يجب أن يتما بين مختلف الدوائر المسؤولة في كافة الدول العربية عن البحث اللغوي والساهرة على تنظيم ذلك البحث تنظيما موحدا ومنسقا وفي ذلك وضع حد للفوضى أولا. وتنسيق للجهود الجماعية المنظمة ثانيا.

أيها السادة

إن لنا وطيد الأمل في أن تكلل أعمال المؤتمر السادس للتعريب بالنجاح وهو نجاح نتوسمه سلفا في المعاجم الخمسة المعروضة علينا والتي هي بمثابة لبنة جديدة تضاف إلى اللبنات التي رفعها من قبل مكتب تنسيق التعريب. وإن ما يضمن هذا النجاح هو سهر هذا المكتب على إعداد تلكم المعاجم وفق منهجية

ملتزمة بالأسلوب المعتمد من طرف اللجنة الاستشارية للمكتب، والذي أقره المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومؤتمرها العام.

كما أن أملنا وطيد في أن ينبثق عن أعمال هذا المؤتمر من التوصيات ما يسهل مأمورية الدوائر المسؤولة عن قضايا التعريب على الصعيدين الوطني والاقليمي.

وإذا كان لي أن أؤكد من فوق هذه المنصة ما يخامرنا جميعا كمسؤولين علميا وتربويا من إيمان عميق بأهمية التعريب وأثره في مستقبل أمتنا العربية واحتلالها مكانتها اللائقة بها بين الدول المتقدمة، فإنني أود التأكيد من جهة ثانية على أن هذا الموضوع بالذات يوجد في طليعة ما يشغل بال قائد هذه الأمة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الحريص على كل مايقتضي الدفع بعجلة عالمنا العربي إلى الأمام والعامل كل ما في طاقته على أن يجعل من اللسان العربي الفصيح اللسان الأمثل لشعبه خاصة وللشعب العربي عامة. ولعلي في غنى عن تذكيركم بمواقف جلالته الثابتة في هذا الباب سواء داخل مملكته أو خارجها.

أيها السادة

مرة أخرى أدعو لكم بمزيد التوفيق والنجاح حتى يحقق مؤتمركم هذا خطوة واسعة نحو ما نطمح إليه جميعا خصوصا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده وحفظنا فيه وفي ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد المولى الرشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

° ° °

خطاب معالي الدكتور محيي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ــ معالي الأستاذ أحمد بنسودة،	مستشار صاحب الجلالة
ــ معالي الأستاذ الدكتور محمد الهلالي،	وزير التربية الوطنية
ــ معالي الأستاذ عبد الهادي بوطالب،	المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة
ــ معالي الأستاذ،	أمين عام مجلس وزراء العدل العرب
ــ معالي الأستاذ الدكتور،	رئيس الجامعة

ــ أصحاب المعالي الوزراء،
ــ أصحاب السعادة السادة السفراء،
ــ أصحاب المعالي والسعادة رؤساء الوفود وأعضاءها،
ــ السيدات والسادة المدعوون.

أحييكم التحية أنتم أهلها، وأرحب بكم في الرباط، المدينة العربية الشامخة المضيافة، عاصمة المملكة المغربية الناهضة، وأشكر لكم استجابتكم الكريمة للدعوة إلى هذا المؤتمر القومي العلمي، وسعيكم المسؤول إليه، مشاركة وعطاء.

وفي هذه المناسبة الجليلة، فإني أرفع إلى مقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، أسمى آيات الشكر، وأزكى مشاعر الاجلال، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وباسمي، التي تعتز بما لجلالته من أياد بيض على أهدافها ومشروعاتها،

وباسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وباسمي أشكر للحكومة المغربية الجليلة، والشعب المغربي الأبي، كريم الاستقبال، وواسع الضيافة.

وإنه حق من الحق، أن أشيد هنا، بالجهد الكبير الذي نهضت به الحكومة المغربية، ممثلة في وزراء التربية الوطنية، واللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، لتيسير عقد هذا المؤتمر دعماً وعونا، وإني أتوجه هنا بالشكر مستحقا، إلى معالي الأخ الدكتور محمد الهلالي وزير التربية الوطنية على كريم رعايته، وحسن توجيهه، وصادق متابعته، وإلى معاونيه القادرين على التعاون القريب مع مكتب التنسيق، في الاعداد والتنظيم.

أيها الاخوة،

إن مؤتمرات التعريب الدورية، وسيلة منهجية، من وسائل عمل مكتب تنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية في اختيار المقابل العربي الأدق والأوفق. فمشكلة المصطلح العلمي الأجنبي، ليس في قلة تعريبه، بل لعله في كثرته، ومن هنا كانت المشكلة هي مشكلة توحيده، ذلك أن المصطلح الأجنبي الواحد، يترجم إلى العربية بكلمات مختلفة لاتساع العربية من ناحية، ولترك الأمر للاجتهاد الشخصي والمواضعات اللغوية الاقليمية من ناحية أخرى، ومن هنا قامت الحاجة لتوحيد المصطلح العربي، حتى تنشأ لغة علمية عربية محددة بحيث يكون لكل مفهوم علمي فيها مصطلح واحد... وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية، ذلك أنه يعمل على تأصيل حقيقتين أساسيتين : إحداهما قومية، وهي تأكيد الوحدة الفكرية والأخرى حضارية وهي اقتحام المعاصرة التقانية...

وقضية التعريب، ليست قضيةً لغويةً، كما يظن كثيرون، وإنما هي قضية معاصرة حضارية بكل ما في هذا التعبير من دلالات، فلا يمكن اجتماعيا، أن يتقدم شعب إلى المجال العلمي التِّقاني المعاصر، دون اكتساب العلم، واستنباته وتوطينه لغويا، واستنبات العلم وتوطينُه، يعني تعليمه وتعلّمَه وإنتاجه باللغة القومية، مهما كانت تلك اللغة، ذلك أن جنسية الفكر، هي اللغة، كما أن جنسية الانسان هي الدولة، فكل ما يكتب في لغة، يصبح جزءاً من تراثها مهما كانت الجنسية السياسية أو الحضارية للكاتب، وفي اللغة العربية نفسها شواهد تاريخية، فيما كتب الشعراء والأدباء، من غير العرب، مما هو مفخرة للأدب العربي والفكر العربي، ومن هنا فإن ما ينتجه العلماء من أبناء البلاد النامية الآن في اللغات المتقدمة من علم أو فن، هو جزء من تراث تلك اللغات، وليس من تراث لغاتهم وحضارتهم.

ومن هنا فإن الأرض التي ينبت فيها العلم وتطبيقاته العملية، إنما هي اللغة لا تعصبا قوميا، ولا نزوعا إلى انغلاق، وإنما طلبا إلى التفتح على العالم مشاركة وإسهاما، مما شهده تاريخنا في عصر بيت الحكمة، فقد بدأ الابداع العربي الانساني باستيعاب المعارف الأجنبية، وصياغتها صياغة عربية، نقلا وتعريبا وتمثلا وإبداعا...

إن الانتقال من التبعية والتخلف إلى الابداع وإلى الأصالة يعني تعريب العلوم. وسبيل ذلك، هو تعريب لغة التدريس في الكليات العلمية والمهنية في الجامعات، وتعريب لغة الانتاج العلمي في مراكز البحوث العلمية العربية. ومن تمام هذا العمل ، أن يتم إعداد هيئة التدريس وهيئة البحوث العلمية القادرة على الأداء باللغة العربية، وقد اتخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، من خلال مؤتمرها العام، إجراءات من شأنها أن تحقق هذا الهدف، بإنشاء المؤسسات القومية التي تنهض بذلك سواء في توسيع الترجمة والتعريب والتأليف والنشر، أم في إعداد هيئات التدريس الجامعية في مختلف المواد العلمية، وتأهيل الاطارات الفنية في مجال البحوث

العلمية والتطبيقية باللغة العربية.

أيها الاخوة،

إن مكتب تنسيق التعريب، وهو يلقى الدعم، ويجدُ الاستجابة الكريمة من الحكومات الأعضاء، ويتنامى تعاونه مه المؤسسات والاتحادات والهيئات والمنظمات القومية، والمجامع العربية، واتحاد المجامع، والجامعات العربية، ومؤسسات التعليم العالي، ومراكز البحوث العلمية، ومع العلماء والمفكرين والكتّاب، يتقدم في مشروعاته، على أساس خُطّتَيْه المتوسطةِ المدى، والطويلة المدى، في تنسيق مع أجهزة المنظمة الأخرى، تحقيقا لرسالته في توحيد المصطلح العربي، وفي توفيره، وفي تحديثه، وفي متابعة التطور العلمي، والتدفقِ المعرفي المذهل الذي يسّرته تِقَانَة الاتصال، والثورة الحضارية الثالثة، مواكبةً لتقدم العلم ؛ وطلبا للمعاصرة التقانية. هذا، وإن المكتب يتهيأ لتحديث أساليب عمله وتطويرها والاستعانةِ بأجهزة الجمع والتخزين والاسترجاع والاتصال الآلية الحديثة.

وهنا، أجد من الحق، أن أنوه بما يلقاه المكتب من عون كريم، من المملكة المغربية الدولة المضيفة مما يعينها على أداء واجبها العلمي والقومي.

أيها الاخوة،

يأتي المؤتمر السادس للتعريب في ترتيبه الزمني حلقة في خطة المكتب في إعداد المعاجم الموحدة، ثلاثي اللغة، ومتابعتها وتحديثِها في كل مجالات المعرفة، وجوانب الحياة الاجتماعية المعاصرة، وذلك تحقيقا لأهداف علمية وحضارية وقومية، فتوحيد المصطلح عربيا، هو الطريق اليتيم، إلى خلق لغة علمية عربية، تعليما وتعلما وبحثا، وتطبيقا، مما يطوع للأمة العربية اقتحام المعاصرة التقانية أخذا وعطاءً، ذلك إلى أن هذا التوحيد، من شأنه أن يمد المجتمع العربي بحاجته في التعبير العربي الدقيق، عن مرافق الحياة العامة، مما يعين على تقوية اللغة العربية، فينقّيها من الدخيل الأجنبي من ناحية ويحِدُّ من اللجوء إلى اللهجات المحلية من ناحية أخرى ؛ ومن خلال مؤتمراته المتتالية إستطاع المكتب أن ينجز قرابة نصف مليون مصطلح موحد في مختلف المجالات العلمية ؛ وهي الآن قيد الطبع، بعد أن أعدت وصنفت وروجعت علميا وفنيا...

وإن عمل المكتب، لقد علمتم، أيها الاخوة، عمل تنسيقي، وهو بطبعه عمل جماعي فهو جهد مؤسسات متخصصة، وإنتاج علماء مبرزين .. وفي هذا الاطار، فإنه من الظواهر الايجابية، ذلك التعاون المتكامل والمتنامي بين المكتب وبين المنظمات المتخصصة والمؤسسات النوعية، في مجال الانتاج، وفي مجال النشر...فقد قام مجمعُ اللغة العربية في دمشق بين عامي 1977 ــ 1978 بطبع ثلاثة معاجم، عن علوم الكيمياء والجيولوجيا والنبات، ونهض المجمعُ العلمي العراقي، بطبع ثلاثة معاجم كذلك عن علوم الفيزياء والحيوان والرياضيات بين أعوام 1977، 1978 و1979 : وهذه المعاجم كلها من المعاجم التي وحدت في المؤتمر الثاني للتعريب في عام 1973 الذي التأم في الجزائر... كذلك فإن ذلك التعاون بدأ في مجال وضع المصطلحات، بصورة منتجة، وتمثل ذلك في المعجم العربي الزراعي، بشقيه النباتي والحيواني، في جزأين، وهو معجم أعدته المنظمة العربية للتنمية الزراعية في الخرطوم، بالتعاون مع المنظمة، وكذلك في المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الاحصائية والسكانية الذي وضعه في جزأين، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، في عمّان، وفي القاموس العام لمصطلحات السكك الحديدية رباعي اللغة، بزيادة اللغة الألمانية، في أربعة أجزاء، وقد قام عليه الاتحاد العربي للسكك الحديدية في حلب... ذلك إلى جانب معجم الألعاب الرياضية، الذي وضعه الاتحاد العربي للشباب والرياضة، بالتعاون مع المنظمة، وقد عرضت هذه المعاجم على

مؤتمر التعريب الخامس في عمّان عام 1985، وهكذا يتسع نطاق هذا الجهد إلى كل القطاعات والمؤسسات العربية العاملة على المستوى القومي، مهنيا وتنظيميا، مما ييسر عملية توحيد المصطلح العربي، ويدفع بها إلى تحقيق أهدافها، وهي ظاهرة إجابية تدل على مدى الوعي القومي بأهمية توحيد المصطلح، وضرورة خلق لغة علمية عربية معاصرة.

أيها الاخوة،

يتناول مؤتمركم السادس هذا، مشروعات معاجم في مجال الآثار والقانون والاقتصاد والجغرافيا والموسيقى، في مستوى التعليم العالي، وهكذا تكون مؤتمرات التعريب قد أنجزت في دوراتها الست، اثنين وأربعين معجما، وبعض هذه المعاجم، تتضمن أكثر من جزء، وبعضها رباعي اللغة، ولا تزيد الأيام هذا الجهد العلمي القومي، إلا عبء، فإن عمليتي المتابعة للجديد من المفاهيم والمصطلحات، وتحديث المعاجم، عملية مستمرة، ولكنها مع اكتساب الخبرة، واستكمال الأدوات وترسيخ التقاليد، وتراكم الانتاج، تصبح أكثر عطاء، وأكبر نفعا...

وإلى جانب هذا، يتعرض المؤتمر إلى متابعة دراسة تقنية منهجية تعريب العلوم، وينظر في اقتراح حول قضايا الذخيرة اللغوية العربية هذا، وإني أعيد الشكر هنا مستحقا للاخوة ممثلي الحكومات العربية والمجامع العربية، والمؤسسات العلمية، وللاخوة العلماء والخبراء الذين أعانوا ببحوثهم، وبآرائهم على استكمال عقد هذا المؤتمر، وأرحب بالأستاذ المعجمي الكبير الدكتور مهدي علام رئيس وفد مصر إلى المؤتمر، بعد أن استعادت مصر مكانتها العالية في منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وأشيد هنا بالتقدير، بالجهد الذي بذله ويبذله الأستاذ الدكتور / عبد الجليل بلحاج مدير المكتب ومعاونوه الأكفياء من الفنيين والاداريين في الاعداد لهذا المؤتمر ولتطوير أعمال المكتب وتنفيذ برامجه بالقدرة والخبرة.

إن المجتمع العلمي العربي، يعلق آمالا مشروعة على نتائج مؤتمركم هذا، الذي نسأل الله له التوفيق هو أهله والسلام،،،

* * *

خطاب معالي الأستاذ عبد الهادي بوطالب

المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب المعالي،
حضرات السيدات والسادة

أود في البداية أن أعرب عن السعادة التي تغمرني وأنا ألبي دعوتين كريمتين للمشاركة في افتتاح المؤتمر السادس للتعريب الذي ينعقد على أرض المملكة المغربية وبرعاية حكومتها : إحداهما تلقيتها من معالي وزير التربية الوطنية رئيس اللجنة الوطنية المغربية للتربية والثقافة والعلوم، الدكتور محمد الهلالي، والأخرى من معالي الزميل الصديق الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإليهما معا أزجي أوفر الشكر وأجزله، مقدرا فيهما حرصهما على إشراك المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة في العمل الفكري العربي المشترك الذي جاءت منظمة الايسيسكو لترفده بعطاء المسلمين، ولتصهر العمل العربي والعمل الاسلامي في نتاج واحد، يقوى به عالم الاسلام المتضامن، وتشع معه صورة مشرفة لواقع عربي إسلامي كان ولا يزال مطبوعا بالتلاحم والتماسك. «وأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون».

ولا يخامرني شك في أن أشغال مؤتمركم السادس الذي ينطلق بهذا الافتتاح ستكون امتدادا للمؤتمرات الخمسة السابقة التي طبعها النجاح وحالفها التوفيق، مما يجعلنا نستشرف من هذا المؤتمر حصيلة إيجابية أخرى تساهم في اكتمال الأهداف المتوخاة، وتضيف لبنات إلى تلك التي سبقتها حتى يستقيم شامخا صرح البنيان الذي عملتم على إرساء قواعده، وأخذتم الآن تعلونه وتشيدونه.

إن المحورين الأساسيين المدرجين في جدول أعمال هذا المؤتمر يكتسبان أهمية بالغة، وإن إقرار

مشروعات المعاجم الخمسة وتدارس الحدود اللازمة لمنهاجية العلوم ليسا في حاجة إلى إبراز ما لهما من علاقة وطيدة بمسيرة التنمية التربوية الثقافية التي يجتازها بنجاح العالم العربي، كما أن تبنيهما تحت مظلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مضافا إلى ما أقررتموه في المؤتمرات الخمسة السابقة يشكل دعما موطدا لشموخ صرح التضامن العربي على صعيد الفكر الذي هو قاعدة كل تضامن وترابط.

حضرات السيدات والسادة،

في أوائل القرن العشرين عندما كان المفكرون العرب يهتمون بإشكالية المستقبل العلمي للأمة لعربية، نتيجة الاحتكاك بالغرب وحضارته وثقافته، لم يفصلوا بين العلم ولغة الأجداد وإنما كان التطلع إلى الأخذ بقصب السبق في ميدان التقدم العلمي يواكب ضرورة الاعتماد على العربية أساسا لبنائه. لذا اعتمد مفكرونا منذئذ على تعريب المصطلحات العلمية الأجنبية، ويسَّر نقلَ التعابير العلمية إلى لغتنا تدفقُ العربية بزاخر القوالب البنيوية، وتوفرها على المرونة المساعدة على النحت والاشتقاق، وتملُّكها طاقة استنباطية وإبداعية لاحد لها.

أما اليوم، فمهما انبهرنا بثراء اللغة العربية وطاقاتها لا نتمالك أن نلاحظ البون الشاسع بين ممكناتها الذاتية وما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة، مما أدى إلى تضخم مدهش في المفاهيم واصطلاحاتها، ومما يتعذر معه تداركنا — لغويا — ما فات.

لقد بذل أسلافنا من الجهد أقصاه لتمكينهم وتمكيننا من التعبير بلغتنا عما نريد إجلاءه من المفاهيم والدقائق العلمية في جميع مجالات المعرفة السائرة في تطور ونماء لا يعرفان كللا ولا فتورا. لكن التقدم العلمي كان أسرع من الرغبة في اللحاق به ومن الجهد المبذول في بلورة تلكم الرغبة، سيما وأن جهود المفكرين العرب كانت منشغلة بقضية الكفاح لأجل استعادة الاستقلال القومي، الشيء الذي لم يساعد على إيلاء ميدان العلم كل ما هو أهل له من المتابعة والدراسة والتخطيط.

ولما تم استرجاع استقلال البلاد العربية، انصب الاهتمام من جديد على المجال العلمي، بيد أن المسألة لم تكن هينة، فلقد وجد العرب بعد أن استقلوا أوروبا وقد دخلت بمهارة وكفاءة مذهلتين عصر العلوم والتقنيات والتكنولوجيا، عصرا احتد فيه التنافس العلمي والتقني والتكنولوجي. ولم يكن لنا أي نصيب في ذلكم التنافس الذي كان يتطلب تكوينا مبرمجا لأجيال، تكوينا اقتضى من العرب تعبئة مكثفة للعديد من الممكنات المادية والمعنوية التي تعوزنا بشكل مريع. ورغم هزال نصيبنا من النهضة العلمية والتقنية والتكنولوجية وضخامة عمل الترجمة والاستنباط إلى حد التعجيز، شمرنا على ساق الجد علما منا بأن علينا من جهة أن نعرب المفاهيم والمصطلحات حفاظا على لغتنا، ومن جهة أخرى أن نحقق اللحاق بركب التقدم الحضاري باقتحام ميادين العلوم بأقصى ما يتيسر من السرعة. وبذلك طرحت بحدة قضية التعريب.

إلا أن قضية التعريب هذه لم تعد قضية لغوية معجمية يمكن أن يعتمد الانسان في وضعها على النقل المعجمي بطرق التعريب المعروفة عند علماء اللغة من اقتباس ونحت، ولا على الطرق التي سار عليها اللغويون الغربيون في تطوير المصطلح العلمي تطويرا مستمدا من الاشتقاق اللاتيني أو السكسوني، بل تغيرت معايير البحث العلمي بين مختلف الثقافات، وتطور تبعا لذلك المصطلح العلمي نفسه، في مختلف شعب المعرفة، سواء منها الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية، وفي العلوم الدقيقة وما يتصل بها.

وغير خاف أن التعريب قضية حضارية قبل كل شيء، فلا يمكن بالتأكيد ملاحظة التطور اللغوي

منفصلا عن التطور في المعارف ذاتها، ولا يمكن بتاتا أن يطور علماء العرب لغتهم دون مساهمتهم المتواصلة في تنمية المعرفة، إن المصطلح ليس إلا تعبيرا عن حركة الفكر، ولن يكون المصطلح العلمي عربيا إلا بعقلية علمية عربية، فاللغة أداة للتعبير عن خلجات الفكر، وليس المصطلح هو أداة الفكر.

ومن الواضح أن العرب عندما عاشوا حياة الصحراء، كانت لغتهم عن دقائق أوصاف الجمل وسمات الفرس لا تؤديها معاجم سكان البلاد الأخرى، فلم تكن ألفاظهم مجرد كلمات بقدر ما كانت معبرة عن مضامين وأشكال بنيوية دقيقة حية. وعندما اتصلوا بالحضارة الاغريقية ونقلوا العلوم الدقيقة منها، لم يكتفوا بنقل الألفاظ والكلمات، بل نقلوا أيضا المعرفة وساهموا في تطويرها، فجاءت الاصطلاحات بتعابير ذات بنية عربية سليمة. لقد كتب الفيلسوف النظام عن الذرة فلم تستعص عن الاغريق فيوضح آراءهم ويضيف إليها من آراءه بلغته وتعابيره، لم يكن الشيخ الرئيس مجرد مترجم ناقل. ولو قارنا أعماله بأعمال معاصره (جلبير) في روما، لوجدنا في أعمال العالِم الغربي صعوبة في النقل والترجمة لم تسجل عند العالم الاسلامي، لأن أوروبا لم تكن عندئذ تسهم في صوغ المعرفة بقدر ما كانت أداة نقل مجرد، حيث لم تكن تجد في لغتها ما يسعفها للنجاح في النقل.

إن عملية وضع المصطلحات شبيهة بعملية استنبات الحبوب في الأرض الزراعية، فهي تحتاج إلى مجال صالح وتفتقر إلى هضم ذاتها، ولو أن علماء العرب المعاصرين قاموا في عصر الكون هذا بكشوفات علمية، لكانت هاته تحمل أسماء عربية، كما حملتها المصطلحات الفلكية التي كانت وليدة جهود الفكر العربي في الماضي، ونحن اليوم نقرأ في خارطة الفلك المعاصر أسماء عربية لأنها وليدة الفكر العربي الذي كان متمكنا من معطياتها.

ومع ذلك، لا يجوز أن تُغمط جهود علماء العرب المحدثين في ميدان المصطلح العلمي. فقد تأسست في عصرنا مجامع لغوية ومعاهد علمية نجح الباحثون فيها في وضع معاجم علمية عصرية، وبرز داخلها علماء بذلوا في هذا الحقل جهودا شخصية. وكان لهم الفضل في صوغ تلكم المعاجم العلمية الحديثة. غير أن عدم التنسيق وتكرار العمل، ووقوع الحافر على الحافر كل ذلكم لم يكن في مستوى التطور السريع للمعرفة في هذا العصر. لذا انطبعت بعض الأعمال بالتكرار. وكانت النتيجة تحنيطها بين دفات الكتب والمعاجم لفقدها الحياة والحركة في خضم المعركة التي تعيشها العلوم التي تجتاز مسيرة التطور السريع والتقدم المتلاحق والابداع الحاسم.

وبالاضافة إلى تشتت جهود علماء العرب بما واجهوه من صراعات سياسية انعكست على الأعمال الثقافية والعلمية، هناك العوامل الجغرافية والاقتصادية المتمثلة في إحكام السيطرة الأجنبية على البلاد النامية التي أصبحت بحكم تبعيتها السياسية والاقتصادية تابعة للغالب، شاعرة بالنقص اللغوي والعلمي، وإن المثاقفة لواحد من أسباب ما يعانيه التطور اللغوي من ارتباك في عالمنا المعاصر.

إن التعريب قضية حضارة قبل أن يكون قضية لغة، وما اللغة إلا بلورة للهوية الفكرية لكل أمة، لذا يلزم تنقيح خطة العمل بما يجعل من مراكز التعليم العالي ميادين للبحث العلمي الحق، لتسير المعرفة بجانب اللغة ذاتها، فالمعرفة تخلق المصطلح. ومن الحق أن نعترف أن الجامعات في بلادنا لم تجد بعد طريقها لتكون أداة تطوير للمعرفة في مستوى المرحلة التي نعيش فيها، لأنها ما تزال تهتم بالانتاج الكمي مغفلة التفوق الكيفي، وعندما تصبح في مستوى التطور العلمي المعاصر يصبح العلماء الذين يصنعون المعرفة مؤهلين بيسر لتصدر من أفواههم وتسيل عبر أقلامهم الكلمات والمصطلحات والتعابير المعبرة عن

خلجات الأفكار في بنية اللغة التي ينتمون إلى فصيلتها.

إن التربية ترتبط هي الأخرى بالتعريب، ولا يمكن أن نربي جيلا جديدا إلا على أساس لغتنا، لذا فالتعريب ضروري في نهضتنا التربوية والعلمية. وإنه ليس عيبا أن نقتبس، لكن ليكن ذلكم بشروط تضمن سلامة التركيب البنيوي حتى لا نفسد اللغة ونفسد بفسادها الذوق والفكر.

ولذلك كله فإني أتقدم إلى جمعكم الكريم برجاء إعادة الاعتبار لمكتب تنسيق التعريب برفعه من مستوى مجرد مكتب للتعريب، وجعله كما يدل عليه اسمه أداة جمع لجهود التعريب المنسقة على صعيد العالم العربي، مما يصبح معه سلطة عليا تتمثل فيها جميع المجامع اللغوية والمؤسسات العربية العاملة في حقل التعريب.

أعرب مرة أخرى عن تمنيات النجاح لأشغال هذا المؤتمر، وللمشاركين فيه بالتوفيق في البحث والاستنتاج الصائب حتى تكون نتائج أعمالكم في مستوى طموحات العالم العربي وتطلعاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

° ° °

منهجية التنسيق كخطوة أساسية في منهجية التعريب(*)

I ــ أبعاد الموضوع

إن موضوع منهجية التعريب وحدود الالتزام بها في تعريب العلوم موضوع واسع وعريض و ذو أبعاد متعددة لذا فإننا لا ندعي أن هذه الورقة ستحيط بالموضوع من كل جوانبه بل ستتطرق بالأساس إلى طرح إشكالية تتعلق برسالة المكتب، ألا وهي إشكالية منهجية تنسيق التعريب ومفهوم هذا التنسيق.

إلا أنه يمكننا منذ البداية تعريف بعدين أساسيين لهذا الموضوع، يتعلق الأول بمنهجية إعداد وسائل التعريب، والثاني باستخدام هذه الوسائل وتطبيق مخطط التعريب.

ومما لا شك فيه فإن طبيعة البعد الأول تقنية محضة، بينما يكتسي البعد الثاني صفة التصور والمنظور والقرار، كما أننا لا ندعي أن هذا العرض بحث أكاديمي بل هو عرض لتجربة عاشها المكتب زهاء ربع قرن بما لها وما عليها، وكل أملنا أن تسمح منا مناسبة عقد هذا المؤتمر لنقف وقفة تأمل، وقفة تقييم وتقويم.

(*) مداخلة مكتب تنسيق التعريب.

وإذا كانت رسالة المكتب بالأساس هي تنسيق إعداد وسائل التعريب في الوطن العربي، فما هي هذه الوسائل يا ترى ؟ إنها بالدرجة الأولى المصطلح الموحد، إنها الكتاب المدرسي والجامعي، ترجمة وتأليفا، هذا على الأقل في مجال التعليم حيث أن هناك مجالات أخرى متعددة أغلبها ذو طابع تقني كوسائل الطباعة والاتصال والمعالجة الاعلامية.

وليس سرا أن المكتب قد جند كل جهوده في الفترة الأولى للعمل المعجمي والمصطلحي، تحت إلحاح الحاجة في بعض الأقطار العربية.

وحتى نحدد مفهوم التنسيق قبل الحديث عن منهجية المكتب في هذا التنسيق، لابد لنا من وقفة قصيرة نستعرض فيها بعض المراحل التي يمكن أن يمر منها تطبيق التعريب لما لها من علاقة بين مسايرة عمل المكتب لتعاقب هذه المراحل.

لقد اختط المكتب خططا عشارية لعمله المعجمي تساير تعريب التعليم العام (الابتدائي والثانوي) ثم التعليم المهني والجامعي المتوسط ثم التعليم

العالي، وهذا يقتضي أن مرحلية تطبيق التعريب مرحليةٌ رأسية من أسفل إلى أعلى، أي أن التعريب يبدأ طريقهُ من المدرسة الابتدائية والثانوية ليصل إلى الجامعة والمعاهد العليا. بينما هناك من يرى أن التعريب يجب أن يبدأ من أعلى أي من الجامعة التي تسمح بتكوين الأطر التي بدونها لا يمكن تعريب المراحل الأدنى.

وهناك مدرسة أخرى ترى أن التعريب يجب أن يكون أفقيا، وفي كل المستويات. بمعنى أن يمس التعريب التدريجي كل المستويات في آن واحد حسب ما تسمح به الوسائل البشرية والتقنية المتوفرة، وإذا أضفنا إلى هذا تعدد المدارس التي تُعرِّب العلوم منها وأخص بالذكر هنا المدرسة الفرنسية في غرب الوطن العربي والانجلوساكسونية في شرقه، تتضح لنا صعوبة الاتفاق على مفهوم واضح وقار لهذا التنسيق، وبالتالي صعوبة المهمة الملقاة على كاهل مكتب تنسيق التعريب.

II — مفهوم تنسيق التعريب

هناك المفهوم النظري، الذي يمكن استنتاجه من النصوص واللوائح المنظمة للمكتب، كجهاز تابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهناك المفهوم العلمي النابع من الممارسة اليومية والتعامل المستمر مع الأجهزة المتخصصة قطرية كانت أم قومية.

فبالرجوع إلى النصوص المنظمة للمكتب نجد أن من بين مهامه «تلقي ما تنتهي إليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتّاب والأدباء والعلماء والمترجمين، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنته، لاستخراج ما يتصل منه بأغراض التعريب، وعرضه على مؤتمرات التعريب».

وكما جاء في المادة الرابعة لنظامنا الداخلي ما نصه :

«يقوم المكتب بتنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الاعلام المختلفة، وتنسيق الجهود التي تبذل لاغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة والاعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب».

أما مفهوم التنسيق الذي يمكن استخلاصه في الممارسة والواقع فإنه يأخذ أبعادا ثلاثة :

1) تنسيق إعداد وسائل التعريب في تناسق مع مختلف مراحل التعريب : وهذا يعني أن تكون الوسائل التي ينسق المكتب لاعدادها مسايرة لمراحل ومخططات التعريب في مختلف أقطار الوطن العربي، حيث أن وسائل التعليم العام والثانوي تختلف عن وسائل التعليم المهني والمتوسط، كما تختلف عن وسائل التعليم العالي والجامعي، ناهيك عن ماله علاقة بالبحث العلمي. ومن هنا جاءت فكرة المخططات العشارية الثلاث لتغطية كل مرحلة من هذه المراحل.

2) التنسيق بين الجهود المبذولة في مختلف الأقطار العربية، ذلك أن إشكالية التعريب تطرح بدرجات متفاوتة في كل قطر من الأقطار العربية، حيث يختلف الأمر من حالة التعريب الشامل في جميع مراحل التعليم وفي كل حقول المعرفة، إلى حالة التعريب الجزئي الذي يختلف هو الآخر كما وكيفا، وقد دعت هذه الحالات أن يكون لكل قطر عربي مؤسساته وهيآته التي تعنى بمشكل التعريب مما أدى إلى خلق روافد قطرية يجب التنسيق بينها لكي تصب كلها في قناة التوحيد.

3) التنسيق بين مختلف مصادر المعرفة : فمما لا شك فيه أننا حينما نتكلم عن تنسيق التعريب فإننا نعني نقل العلم من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، أي

من الانجليزية أو الفرنسية (على الأقل) إلى اللغة العربية مما يؤدي في هذه الحالة إلى إشكالية جديدة تتعلق بالعمل المعجمي، فحينما نكون بصدد إعداد معجم ثلاثي اللغة (انجليزي فرنسي عربي) عادة يميل الباحث إلى إحدى اللغتين، الأمر الذي يؤدي به إلى اقتراح مقابل عربي يكون أكثر تجاوبا مع إحدى اللغتين على حساب اللغة الأخرى وهنا يظهر البعد الثالث في التنسيق بين مدرستين مختلفتين من الباحثين العرب، المدرسة الأنجلوساكسونية والمدرسة الفرنسية.

III ــ منهجية المكتب في التنسيق :

أمام هذه الأبعاد الثلاثة لمفهوم التنسيق ــ الأمر الذي لا يعني أن ليس هناك أبعاد أخرى لكن بأهمية أقل ــ وجد المكتب نفسه يسلك مراحل مختلفة دون أن نقول تجاوزا منهجية، تسمح له بتأمين هذا التنسيق وفق أبعاده المختلفة.وأمام ضغط الواقع اليومي وإلحاح الأقطار التي يختلف احتياجها لوسائل التعريب اضطر المكتب إلى أن يولي أكبر اهتمامه إلى العمل المعجمي مع أن هذا لا يشكل إلا جزءا من مهامه، وهنا نطرح إشكالية اختيار المجالات وترتيب الأولويات حتى تكون الاختيارات متجاوبة مع طلبات بعض الأقطار العربية، أو بعض المنظمات والهيآت العلمية أو باقتراح من لجنته الاستشارية، وهكذا تعتمد بعض المجالات التي ينسق المكتب مشروعات معاجمها، وبما أن الغاية هي إيجاد المقابلات العربية للرصيد اللغوي الأجنبي الذي يغطي مجال المعجم، فإن المرحلة الأولى من التنسيق تقتضي إيجاد هذا الرصيد باللغتين الأجنبيتين أو بإحداهما على الأقل قبل التفكير في إيجاد المقابلات العربية. فكيف تجمع المادة الأولى لمشروع المعجم ؟ هنا نلجأ إلى الكتب التعليمية الأجنبية التي توافق مرحلة التعريب التي نحن بصددها، قصد الاستفادة من مساردها التي توثق في آخر كل كتاب الرصيد اللغوي المختص الذي استعمل في التأليف أو نتوجه إلى بعض الهيآت العلمية المختصة في مجال المعجم لتزودنا بهذا الرصيد، أو غالبا ما نسلك أسهل السبل، أي التوجه مباشرة إلى إحدى المعاجم الأجنبية ثنائية اللغة (انجليزي فرنسي) لاعتماد مادته كمادة أولى.

وانطلاقا من هذا الرصيد يتم الاتفاق مع أحد المتخصصين العرب، الذي نلمس فيه الكفاءة العلمية واللغوية كي يحضر مسودة مشروع المعجم ثلاثي اللغة، مستفيدا مما صدر عن المجامع العربية أو الهيآت والمجامع المختصة من معاجم ومؤلفات، وغالبا ما يعتمد على قدرته الذاتية ومعلوماته الخاصة.

بعد ذلك يعهد بهذه المسودة إلى خبير آخر قصد مراجعتها وتدقيقها لكي تكتسي الوثيقة صفة مشروع معجم.

وأثناء المرحلتين السابقتين يراسل المكتب الهيآت والمؤسسات العلمية في الوطن العربي بواسطة استمارة، راجيا منها تزويده بأسماء الخبراء العرب الذين يمكنهم أن يمدوا يد المساعدة في هذا الانجاز. ورغم قلة الأجوبة التي تصلنا في هذا الصدد فقد استطاع المكتب أن يكوّن مرجعا بأسماء التخصصيين العرب في كل مجال من مجالات مشروعات معاجمه.

بعد هذا تأتي مرحلة الاستشارة حيث يوزع مشروع المعجم على كل الهيآت المختصة من مجامع وجامعات ومعاهد وكذا على التخصصيين العرب الذين تتوفر فيهم الشروط الموضوعية علميا ولغويا حسب المعلومات التي نتوفر عليها من خلال الاستمارات المذكورة سابقا.

وهكذا يطلب من كل مراجع إبداء رأيه في المقابل العربي المقترح أو اقتراح بديل عنه إذا لم يعتبره صالحا. كما يطلب منه إضافة المصطلحات المنتمية إلى مجال مشروع المعجم التي يعتبرها ناقصة أو حذف ما يعتبره حشوا.

وبعد تلقي المكتب لمشروع المعجم منقحا كما سبق من مختلف المراجعين عبر كل الأقطار العربية، يوثق كل هذه الملاحظات ويدعو لعقد ندوة كي تبث فيها، وتنقح مشروع المعجم على ضوءها، قصد عرضه على مؤتمر التعريب بغية إقراره وتوحيده.

هذا ويعمل المكتب جاهدا كي يشارك في هذه الندوات خبراء عرب من مختلف الأقطار كي نؤمن توازنا جغرافيا، وأن تتوفر فيهم المعايير العلمية واللغوية على أساس أن يكونوا من بين من راجعوا المشروع وأبدوا ملاحظات عليه.

وفي مرحلة ما بعد الندوة يقوم المكتب بإعادة صياغة مشروع المعجم واستنساخه من جديد، آخذا بعين الاعتبار ما استقر عليه رأي المنتدين، وبعد ذلك يرسل مشروع المعجم إلى وزارات التربية العربية قصد تشكيل لجان علمية لدراسته من جديد، وانتداب من يمثلها في مؤتمر التعريب الذي يبحث في مشروع المعجم.

IV ــ حصيلة المكتب خلال ربع قرن

ودون رغبة في التكرار فقد استطاع المكتب وفق هذه المنهجية بما لها وما عليها إعداد رصيد مصطلحي ثلاثي اللغة بلغ الآن حوالي نصف مليون مصطلح مختص في ست وثلاثين مجالا، وأن أملنا أن يُسكب كل هذا الرصيد في معجم علمي عام موحد يجد فيه الباحث والدارس المقابل العربي للمصطلح الأجنبي في مختلف الحقول، ولنصل إلى هذا فإننا نمر الآن من مرحلة وسطية ترمي إلى دمج المعاجم المنتمية إلى مجالات متقاربة في معجم واحد مع إعادة فهرسته في اللغات الثلاث.

V ــ مؤتمر التعريب السادس مناسبة لوقفة تأمل وتقييم

أمام هذا العرض المتواضع، المنطلق من الواقع المعاش، ورغبة في تطوير تصور مفهوم التنسيق، كي نواجه ما ينتظرنا بموضوعية وعقلانية فإننا نرى في مؤتمر التعريب السادس مناسبة مواتية لكي نقف وقفة تأمل وتقييم تسمح لنا بوضع أصبعنا على سلبيات هذه المنهجية كي نتجنبها، وعلى إيجابياتها كي نحسنها، هدفنا من كل هذا خدمة اللغة العربية والوطن العربي.

ومن خلال الممارسة والتطبيق يتضح أن هذه الطريقة في العمل تنطوي على بعض السلبيات منها :

ــ اختيار مجالات العمل يخضع إلى عوامل ظرفية بدل أن يتجاوب مع مخطط يرمي إلى تغطية كل مجالات المعرفة حسب تصنيفها الدولي ويلبي الاحتياجات الظرفية في آن واحد.

ــ الاقتصار على خبير واحد لتحضير مسودة المشروع وعلى مراجع واحد لمراجعته مما يؤدي إلى عدم الاحاطة بكل جوانب الموضوع لغة ومضمونا.

ــ عدم كفاية المدة المخصصة لندوات تنقيح المعاجم مما يدعو في بعض الأحيان إلى متابعة المراجعة بفريق عمل محلي.

ــ ضرورة وضع مقابلين عربيين لمصطلح أجنبي واحد في حالة عدم التوصل إلى مقابل عربي واحد يتجاوب مع المصطلحين الانجليزي والفرنسي.

ــ وجود الأخطاء الناتجة من العمل اليدوي والتي لا يمكن تفاديها كليا.

ــ عدم توفر انتاجات المكتب في متناول المستعمل عبر كل الأقطار العربية.

إلا أنه من الانصاف أن نسجل لهذه المنهجية رغم ما عليها أنها :

سمحت بإيجاد هذا الرصيد المصطلحي الذي نحن في أشد الحاجة إليه للسير بعملية التعريب قدما إلى الأمام.

. تسمح بسرعة الانجاز لسهولة التعامل مع فرد معين، مع تحديد المسؤوليات، بدل التعامل مع هيآت قلما تجيب.

. تسمح بتوسيع عملية الاستشارة على أوسع نطاق ويشرك في هذه العملية كل من هم قادرون وراغبون في الاشتراك فيها.

VI — إشكالية الالتزام

ورغم كل هذا، وسواء اقتنعنا بهذه المنهجية بما لها وما عليها أم لم نقتنع، يبقى السؤال المطروح وما الفائدة من كل هذا إذا لم يلتزم به من أعدوه ولم يستعمله من وحدوه ؟

هل العيب في الوثيقة نفسها وفي طريقة إعدادها، أم العيب في مبدأ الالتزام نفسه ؟ وما هو سبيلنا إلى الالتزام بما بذلنا في إعداده طاقات مادية وفكرية لا يستهان بها ؟

أعتقد بأن الالتزام يجب أن يبدأ في الأساس من الكتاب المدرسي وقبل المدرسي، وأن نقوم بحصر الرصيد اللغوي الوظيفي على صعيد الوطن العربي إسوة بالتجربة التي أنجزت في مغرب الوطن العربي، وأن نتقيد بهذا الرصيد في مؤلفاتنا وكتبنا المدرسية على الأقل في المرحلة الابتدائية والثانوية، على أساس أن تعم التجربة كل مراحل التعليم فإذا كان المؤلف يحتوي بين دفتيه مضمونا قد يتلون حسب الفلسفة والمنظور فإننا نعتقد أن المصطلح لالون له وأنه لا يمكن أن يحتوي على مركبة غير المركبة اللغوية.

VII — نحو منهجية مستقبلية في التنسيق

والآن ونحن مقبلون على فترة جديدة في عمل مكتب تنسيق التعريب وبعد هذه الوقفة المتأنية من التأمل، هل لنا أن نطمح في أن نفكر جميعا، وبصوت عال، في منهجية مستقبلية للتنسيق ترمي إلى تغطية كل مجالات المعرفة بدل الاختيارات الظرفية، تعطي الأولوية للمجالات التكنولوجية المتقدمة، تسمح بالتعامل مع هيآت بدل التعامل مع أفراد، وتهدف إلى التنسيق بين مختلف بنوك المعطيات، التي أصبحت تنتشر في مختلف أقطار الوطن العربي، علما بأن العمل القطري والعمل القومي غير متناقضين بل يكمل أحدهما الآخر.

وقد زكّى المجلس التنفيذي لمنظمتكم العربية هذا الاتجاه حينما أصدر قرارا بشأن تطوير وتحديث أساليب العمل بمكتب تنسيق التعريب، يعتمد بالأساس على تنسيق جهود مجامع اللغة العربية والجامعات والمؤسسات والهيآت العلمية في الوطن العربي. وكل أملنا أن نسطر في هذا اللقاء الخطوط العريضة لهذا التنسيق.

نرجو الله تعالى أن يوفقنا لما فيه صالح اللغة العربية والوطن العربي والله من وراق القصد.

مشروع الذخيرة اللغوية العربية(*)

يهدف هذا المشروع إلى إنجاز بنك من المعلومات اللغوية على غرار ما أنجز من بنوك المعلومات الاقتصادية والادارية والسياسية وغيرها وما أنجز من ذلك في ميدان اللغة والمصطلحات العلمية والتقنية، باللغات الأجنبية.

وهذا يقتضي أن تدوّن بكيفية منتظمة كل ما ورد في النصوص القديمة والحديثة ذات الأهمية الكبيرة كأمهات الكتب في الأدب والعلوم المختلفة وكل ما استعمل بالفعل بمعنى من المعاني وأن يستعان على ذلك بالأجهزة الالكترونية الحديثة المهيأة لهذا النوع من التدوين وأن توزع الأعمال على أسر من الباحثين والخبراء في مستوى العالم العربي.

إن هذا العمل الضخم الطويل النفس لابد أن يبنى كما قلنا على مجموعة واسعة جدا من المعطيات أي على مسح كامل :

— لما يجري الآن استعماله بالفعل في الوطن العربي بأكمله،

— ولما كان مستعملا قديما وورد في النصوص الأدبية والعلمية والتقنية. وهذا يقتضي :

الرجوع إلى التراث الأدبي والعلمي العربي ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم القديمة.

أن يعتمد على الأجهزة الالكترونية (الحواسب) نظرا لضخامة المعطيات.

وستسدّ هٰذه الذخيرة فراغا كبيرا إذ كانت البحوث اللغوية (وما إليها من الدراسات التاريخية اللغوية والاجتماعية وغيرها) أكثرها فردية وجزئية ويدوية ولم تصر بعد إلى ما يجب أن تصير إليه من تنظيم الأسر من الباحثين وتوزيع المهام عليها بحيث يقوم هؤلاء بإجراء التحريات في الميدان لتجميع المعطيات (المستعملة بالفعل في جميع البلدان العربية) ويقوم أولئك بجرد كامل للأمالي والكتب والمنشورات العلمية وأسرة أخرى تكلف بتفريغ كل ذلك في جذاذات وهكذا. فهذا العمل الجماعي

(*) الورقة التي تقدم بها وفد الجزائر لمؤتمر التعريب السادس

الشامل هو الذي يضمن الموضوعية المطلوبة لأن **المسح المستفيض لجميع المعطيات بدون استثناء شيء منها هو شرط أساسي للعلم كما هو معلوم**. ثم إن المعلومات المجمّعة لابد أن ترتب الترتيبات المختلفة لتكون سهلة المنال والاستحضار ولابد أن لا يكتفى فيها بذكر المصطلح بل يحتاج الباحث أن يعرف أين يستعمل هذا اللفظ بالفعل وبأي معنى وفي أي مراجع قد ورد وكم مرة ؟ أي ماهي درجة تواتره أو انتشاره ؟ وغيرها من المعلومات المفيدة التي ستكون كالمقياس لاختيار الألفاظ وتوحيدها. وهذا العمل الجبار لن يتم إلا باستعمال الآلات الالكترونية العظيمة القوة. وقد طرحنا في عدة مناسبات هذا السؤال : كيف يمكن أن يضع الواضع منا للمسمى المحدث لفظا عربيا مناسبا يحظى بجميع الصفات التي ستجعله يذيع ذيوعا واسعا إن لم يكن لديه وتحت تصرفه مجمّعة ومرتّبة كل الألفاظ الفصيحة (قديمة أو مولدة) التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص بهذا المسمى ؟ فهذه المعطيات المجمّعة المرتبة هي التي سمّيناها بالذخيرة اللغوية العربية(1).

ـــ أوصاف الذخيرة وفوائدها وكيفية إنجازها

إن الذخيرة اللغوية هي عبارة عن **قاموس جامع للألفاظ العربية**. ويفارق هذا القاموس غيره من القواميس (الحديثة بالخصوص) في هذه الصفات الأساسية :

1 ـــ سيكون له ثلاثة أشكال :

شكل تسجيل في ذاكرة الرتّاب (الحاسب)

شكل جذاذية عادية من جهة ومصغرة (ميكروفيشات تحتوي كل واحدة على 60 صفحة) من جهة أخرى

شكل كتاب عادي (موسوعة لغوية)

2 ـــ يحصر جميع الألفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة والحديثة والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر مع الاشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصيح المسموع عن الفصحاء السليقيين(2) أو المولّد الذي جاء على قياس كلام العرب.

3 ـــ يذكر كل السياقات (**الحقيقية**) التي ورد فيها اللفظ ولا يخترع الأمثلة كما تفعله القواميس الحديثة بل يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب والآثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المرجع بدقة ولا يكتفى بالسياق الواحد.

4 ـــ ترتب فيه الأوضاع اللغوية (في ذاكرة الرتّاب) شتى الترتيبات :

ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ)

ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني)

ترتيب بحسب درجة تواتر الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص)(3)

ترتيب بحسب درجة شيوع الكلمة أي ذيوعها في البلدان العربية أي بحسب اتساع رقعة استعمالها(3)

---

(1) بالانكليزية : The Theasaurus (or Treasure) of the Arabic Language
هذه ورقة عمل أدرجنا فيها جزءاً من البحث الذي قدمناه لمؤتمر التعريب الخامس الذي انعقد في عمان في أكتوبر 1985.
(2) الذين أخذ منهم اللغويون العرب الأولون.
(3) أما ما سيطبع وينشر فستدمج فيه هذه المعلومات (التواتر والشيوع) ويكون الترتيب أبجديا عاما في طبعة ومفهوميا في طبعة أخرى.

. ترتيب بحسب العلوم والفنون.

هذا وتنقسم الذخيرة إلى قسمين :

. بنك المعلومات اللغوية (وفيه يندمج بنك المصطلحات)

. المعجم المحرّر

أما الأول فهو عبارة عن رصيد لغوي ضخم جدا جمعت ورتبت فيه المادة الخام (الألفاظ مع سياقاتها) التي دوّنها وجردها الباحثون مع ذكر كل المعلومات الاضافية الضرورية (التواتر والشيوع والمرجع أو مصدر الأخذ).

والثاني هو عبارة عن موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثا حول كل لفظة. فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على مايلي :

1 ـــ **تحليل دلالي للفظة انطلاقا من السياقات** وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك ب :

ـــ **التوضيح الدقيق :**

للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجذر)

للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية)

ذكر المقابل الانكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجد أو ما يقرب منه مع بيان الفوارق التصوّرية .

2 ـــ **تعليق نحوي صرفي وجيز** (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديما (مع ذكر المراجع) :

3 ـــ **تعليق تاريخي للمادة وفروعها** (انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة بينها) :

بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها

ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص التي لدينا (الأصيلة والدخيلة)

ذكر تاريخ أول تحوّل دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة)

ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.

وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة

بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الأصلية) .

4 ـــ **ذكر درجة تواتر الكلمة** حسب العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية والأدبية إن اقتضى الحال.

5 ـــ **بيان شيوع الكلمة** الجغرافي (حسب العصور أيضا) .

6 ـــ **ذكر المرادفات والأضداد** للكلمة إن وجدت وكذلك الألفاظ التي **تجانسها في المفهوم**.

7 ـــ **ذكر الدراسات التي خصصها** العلماء لهذه الكلمة أو تلك المادة.

أما فوائد هذه الذخيرة فهي كثيرة جدا ومتنوعة. فبالنسبة لوضع المصطلحات فإن الواضع إذا أراد أن يعرف هل يوجد في العربية أو في الاستعمال الراهن لفظ أو أكثر من لفظ يدل على مفهوم خاص فلا يمكنه في الوقت الراهن أن يجد مرجعا موثوقا يستجيب لطلبه بأن يجمع له كل الألفاظ التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص الذي يهمه اللهم إلا بعض المعاجم المحدودة المجال. وأما

القواميس المزدوجة اللغة الحالية فقد وضعت للاستعمال لا للوضع ثم حتى لو فرضنا أن المستعمل قد يكون واضعا في نفس الوقت إذا قصد ترجمة الألفاظ الأجنبية فإن هذه المعاجم هي الآن ضئيلة المادة ولا يمكن أن تستجيب لطلبات المترجمين الهائلة فضلا عن التخليط والاغلاط الفاحشة(4) التي يتصف بها أكثرها. أما القواميس الوحيدة اللغة (القديمة خصوصا) فاللغوي كما هو معروف يبحث السنين الطوال أحيانا حتى يقع بالصدفة على بغيته وهذا عمل اعتباطي غير علمي لأن العلم هو على حد تعبير علمائنا حس ونظر أي استقراء وتصفح كامل ثم صياغة عقلية. فأما إذا كان لدى الواضع ما يسمى ببنك المعلومات اللغوية كما سبق أن وصفناه فإنه يمكنه — أينما كان في الوطن العربي — أن يلقي أسئلة على الرتّاب بواسطة الآلات المهيأة لذلك(5) كأن يريد أن يعرف المجال الدلالي الخاص بأمراض الخيل أو الضأن أو المجال الخاص بالمرتفعات والتضاريس أو المجال الخاص بأدوات الحفر والتنقيب وهكذا، فإنه يكفيه أن يحرّر سؤاله على ملمس الطرف فتظهر بعد ثوان على الشاشة جميع الألفاظ العربية التي تدخل في هذه المجالات الدلالية القديمة والمولّدة بما في ذلك المصطلحات الحديثة أيضا. ويحصل إن شاء أيضا على جميع سياقاتها التي وردت فيها في زماننا أو في عصر من العصور ومراجع هذه السياقات وذلك بواسطة طابعة ملحقة بالدماغ الالكتروني وهكذا يستطيع الواضعون اختيار اللفظ المناسب من بين العشرات من الألفاظ المتجانسة المعنى فهي كلها محصورة وتحت تصرفه. وهذا يوفر له الوقت ويضمن موضوعية الاقرار للفظ وأهم شيء في هذه الموضوعية هي مقياس التواتر والكثرة والشيوع وبذلك يتفادى النادر والشارد وهو الذي سمع من رجل واحد مرة في حياته. (ولا يلجأ إلى هذا النوع من الألفاظ إلا عند الحاجة أي ليطلقه مثلا على المفهوم القليل الدوران أو الغريب)(6). ويجب التنبيه على أن هذه الذخيرة قد تخلو على الرغم مما تزخر به من ملايين السياقات وملايير الألفاظ المكررة في سياقات جدّ مختلفة قلنا قد تخلو من اللفظ المطلوب فعند ذلك — وعند ذلك فقط — يمكن أن يلجأ إلى التوليد بالاشتقاق من مادة معينة (ينتقيها الواضعون من هذه الذخيرة) وعلى صيغة تؤدي المعنى المطلوب. فالاعتماد على الذخيرة هو رجوع إلى التراث وفي نفس الوقت رجوع إلى كل ما أحدث اليوم أو منذ الأمس القريب في مجال دلالي معين مما دخل في الاستعمال (7).

ويمكن أن نمثل هذه الفوائد بمثال العلوم اللسانية التي هي من اختصاصنا. فقد عزمت على القيام بجرد لكل الألفاظ العربية التي استعملت قديما في هذه العلوم وخصوصا في الصوتيات وذلك انطلاقا من كتب العلماء العباقرة الأولين أمثال سيبويه والخليل — من خلال ما روي عنه — ومدرسة ابن السراج وابن جني وكذلك الأطباء العرب مثل ابن سينا وغيره والموسيقيين العرب مثل الفارابي ومباركشاه وغيرهما. فبهذه الذخيرة الصغيرة استطعنا أن نصلح الكثير من المسوخ التي دخلت في استعمال بعض الأفراد ودوّنت في مشروع معجم اللسانيات وذلك كاللفظة التي سبق أن ذكرناها Voile du palais فإن ابن سينا يستعمل في كتاب «أسباب حدوث الحروف» وغيره من الكتب عبارة : «صفاق الشجر» والصفاق هو جلد البطن الرقيق فأما الشجر فتحدده المعاجم بأنه

(4) بسبب التساهل المنهجي (المهول) وقد بيّن ذلك أكثر من واحد. ثم هذه القواميس لا تذكر أبدا مرجع الكلمة (في أي نص وردت).

(5) وهي جد متوفرة الآن في البلدان العربية. والسؤال يقع بواسطة «الطرف» (Terminal) وهو عبارة عن شاشة وملمس يتصلان بالدماغ الالكتروني من جهة وبالباحث (هاتفيا مثلا) من جهة أخرى.

(6) هذا فضلا عن الفوائد التي يجدها المؤرخ للغة والعالم الاجتماعي وغيرهما.

(7) أما ما لم يدخل فسيجده أيضا لكن مصحوبا بهذه الملاحظة : «وضعه الأستاذ فلان أو المجمع الفلاني ولم يرد في أي نص إلا في قائمة أو معجم كذا».

«مفرج الفم» وهذا تحديد غامض إلا أن النسبة إليه تطلق على جنس من الحروف مخرجها كلها من وسط الحنك وعلى هذا فإن «صفاق الشجر» تسمية جد لائقة وما يؤيدها هو وجودها بالفعل في الاستعمال (وعند أكبر علماء الصوتيات الفيزيولوجيين قديما). وهناك مفهوم آخر هو Allophone أو Variant فقد استعمل العرب لهذا المعنى «الوجه» من وجوه الأداء «والمخرج» كمصدر (انظر قول الجاحظ : «المخارج لا تحصى»، البيان 1 / 34) و«البدل» الجائز أو الواجب في معنى Free Variant أو Combinatory variant (أو Conditioned Variant).

ونذكر فائدة أخرى هامة جدا وهي المعلومات التي سيحصل عليها الباحث بعلاج الرتّابة للمعطيات واستخراج الجذور والصيغ وبالتالي إحصاؤها وحرصها مع الكشف عن أكثر هذه العناصر تواترا في الاستعمال وأكثرها تفريغا وأكثرها شيوعا في وقتنا الحاضر وفي غابر الأزمنة. ثم التحديد الدقيق لمعاني كل صيغة باستقرار كل الكلمات المصوغة عليها وهذا سيفيد الواضع لأنه سيجعل من هذه المعلومات الموضوعية — المستخرجة من واقع اللغة والاستعمال لا بالتخمين والانطباعات الذاتية — مقاييس لتوليد الألفاظ وتخصيص كل بناء ووزن بمفهوم علمي أو تقني على غرار ما يفعله الواضعون الغربيون بالسوابق واللواحق اللاتينية واليونانية. ولابد من التنبيه على أن التصفّح الكامل — بالآلات العظيمة — هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن الموضوعية والدقة العلمية[8].

أما كيفية إنجاز هذه الذخيرة فتكون بإنجاز العمليات التالية[9] :

1 — القيام بمسح تدويني كامل شامل لكل ما يجري استعماله في التخاطب الكتابي والشفاهي في جميع المؤسسات العلمية على مستوى العالم العربي كالجامعات ومراكز البحث والمختبرات والمصانع وورشات العمل والمناجم وسائر الأماكن التي يختص التخاطب فيها بلغة فنية معينة. وذلك بإجراء التحريات الميدانية الواسعة وبطرق ومنهجية معينة.

2 — القيام باختبار عينة كبيرة من الكتب العلمية والتقنية والأمالي والبحوث والمعاجم وغيرها القديمة والحديثة.

3 — القيام بتدوين كل هذه المعلومات بتخزينها في ذاكرة الرتّاب[10] (ويجب أن يكون من أكبر وأقوى طراز) — (**وهذا شيء قليل في حق لغة القرآن**). ثم القيام بالعلاج الآلي لها باستخراج الجذور والصيغ واستقراء السياقات وتعداد درجة التواتر ويتم كل ذلك بمنهجية قد أعدّت في معهد العلوم اللسانية بالجزائر. (وقد قام هذا المعهد كما قلنا سابقا بتخزين وعلاج أكبر قسط من الشعر الجاهلي وعلاج الرصيد اللغوي المغربي والرصيد اللغوي العربي).

هذا ولا ننسى دور الاستعمال — أي اختيارات الناطقين وإقبالهم على بعض الألفاظ ورفضهم للبعض الآخر. وهنا تظهر أهمية الدراسات التي ترمي إلى استكشاف أسرار هذه الظواهر وتفسيرها حتى يضع الواضعون ألفاظا يكون لها حظ كبير من النجاح. ومن هذه الأعمال نذكر :

4 — القيام باستفتاءات واسعة النطاق للحصول على موقف المستعمل من الألفاظ المقترحة

(8) ويستعان بما قد سبقنا به إلى ذلك علماؤنا القدامى للزيادة في الفائدة والمقارنة العلمية ونذكر خاصة كتاب الفارابي اللغوي (لا الفيلسوف) المسمى «بديوان الأدب» فيما يخص الصيغ. و«مقاييس اللغة» لابن فارس فيما يخص الجذور وكتاب «العين» للخليل (وكذلك بعض الأعمال الاحصائية الحديثة القيّمة).

(9) اقترحنا مثل هذه الخطة تقريبا في بحث سابق.

(10) أما التراث العلمي والأدبي القيم الغني بالمفردات والمصطلحات فيجب أن يواصل تدوينه طيلة سنين حتى يؤتى على كامله.

ويتم ذلك بإجراء التحريات في حقول محدودة على شكل استنطاق للأخصائيين وذلك بملء المستنطقات ونفس التحري في نطاق أوسع يجري على أمواج الاذاعة والتلفزة وعن طريق الصحف ليمسّ جمهور الناس. ثم القيام ــ في الوقت نفسه ــ بدراسة علمية لما وضعه الناس والمؤسسات منذ أكثر من خمسين عاما وخصوصا المجامع والجامعات والبحث عما دخل من ذلك في الاستعمال ومحاولات الكشف عن أسباب النجاح والفشل.

أما القائمون بكل ذلك فنظرا لضخامة العمل فإنه ينبغي أن توزع المهامّ على جميع البلدان بإشراف جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). ونقترح أن تنشأ لجان محلية تتكون من10 إلى 20 شخصا بين باحث ومساعد فني في داخل مؤسسة جامعية أو بحثية متخصصة يوكل إليها الاشراف على العمل. وتزود حكومة كل بلد هذه المؤسسة وهذه اللجنة بشيء من العدة (كأربعة أو ستة أطراف) لتدوين وتخزين المعطيات والاتصال المباشر في الوقت نفسه بالهيئة الفنية المكلفة بالتنسيق بين اللجان وتوزيع المهامّ وإدماج المعلومات في ذاكرة الرتّاب المركزي. وتكون هذه الأطراف أيضا وسيلة لكل الباحثين القاطنين في هذا البلد للسؤال عن المصطلحات.

والله وليّ التوفيق.

° ° °

التوصيات العامة المنشقة عن مؤتمر التعريب السادس

1 ـــ يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقر من توصيات في مؤتمراته الخمسة السابقة وقد ألح فيها بصفة خاصة على مايلي :

1) إن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية، وكل ضعف أو إضعاف يصيب اللغة هو خطر يتهدد الكيان العربي ووجوده.

2) إن تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغتها، ولذلك فإن لحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة ومواكبته لها، ومشاركته فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع مراحل التعليم وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك.

3) إن تأصيل اللغة العلمية لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة تعليمية دون مرحلة، وإنما يجب أن يساير مراحل التعليم كلها، منذ بدايتها وحتى المراحل العليا من البحث العلمي، بحيث يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد على تطويرها وإغنائها.

4) إن اللغة العربية قد دللت في مختلف تاريخها المديد، وبحكم خصائصها، أنها لغة حضارة ذات أبعاد إنسانية وعالمية، وهي بهذا قادرة كليا على أن تكون لغة العلم الحديث تدريسا وتأليفا وبحثا وتوليدا للمصطلح.

5) إن ما يهدف إليه التعريب هو بالدرجة الأولى توحيد المصطلح العلمي، وتطبيق هذا المصطلح، واستعماله، وتداوله في كل مجالات حياتنا أداء وإبلاغا.

2 ـــ يعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الذي حققه التعريب حتى الآن في الوطن العربي. وهم إذ يقدرون ما أسهم به العلماء والاختصاصيون العرب، وما قدموا من جهود كبيرة في تعريب فروع كثيرة من المعرفة والعلم، فإنهم يؤكدون مرة أخرى على أن جهودهم لا تؤتي ثمراتها كاملة إذا لم تتخذ الأمة العربية قرارها، ومن أعلى مستويات المسؤولية، بإلزام تداول واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربي كله. وفي الوقت نفسه بإلزام

مؤسسات التعليم العربية كلها بأن يكون التعليم فيها، تأليفا وتدريسا وبحثا، باللغة العربية.

3 ــ يوصي المؤتمر بالأخذ بما توصلت إليه الندوة التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الرباط في الفترة من : 18 ــ 30 فبراير ــ شباط 1981 لبحث منهجية تعريب المصطلحات الجديدة. ومن أهم ما جاء فيها حول المبادىء الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها، ما يلي :

1) ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

2) وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد أي المضمون الواحد في الحقل الواحد.

3) تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على المشترك.

4) استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معربة.

5) استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي : التراث فالتوليد.

6) تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة.

7) تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.

8) تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة.

9) عند وجود ألفاظ مترادفة في مدلولها ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها.

4 ــ يوصي المؤتمر بأن يتبع مكتب تنسيق التعريب منهجية للعمل في مشروعات تعريب المصطلحات تتناول مراحل العمل جميعها في الاعداد، والدراسة والاقرار، وأن يتولى تنسيق جهود مجامع اللغة العربية والجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية في الوطن العربي، وأن يستعين في جمع تلك المصطلحات ووضع مقابلاتها بلجان من الخبراء من ذوي الاختصاص ويقوم ممثلون من مجامع اللغة ومختلف الهيئات العلمية وأهل الاختصاص بدراسة هذه المصطلحات وإبداء الرأي بشأنها تمهيدا لعقد مؤتمر التعريب الذي يضم اللغويين والعلماء والمسؤولين ويقرّ تلك المصطلحات الموحدة بصفة نهائية ويكسبها الاعتراف اللغوي والعلمي القومي.

* * *

نبذة عن مؤتمر التعريب السادس والمؤتمرات السابقة

انعقد مؤتمر التعريب السادس باستضافة كريمة من حكومة المملكة المغربية بالرباط[1] من : 26 إلى 30 / 9 / 1988، ويشكل هذا المؤتمر الحلقة السادسة من حلقات مؤتمرات التعريب التي تعقد عادة كل ثلاث سنوات تقريبا قصد إقرار وتوحيد مشاريع المعاجم التي نسقها مكتب تنسيق التعريب والتطرق إلى بعض القضايا الكبرى المتعلقة باللغة العربية.

وهكذا انعقد المؤتمر الأول بالرباط (المغرب) سنة 1961 بدعوة كريمة من جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وفيه تم تأسيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

كما انعقد المؤتمر الثاني بالجزائر سنة 1973، حيث صادق على مشاريع المعاجم التالية : علم الحيوان، الفيزياء، الكيمياء، الجيولوجيا، النبات، الرياضيات : القسم الأول.

كما انعقد المؤتمر الثالث بطرابلس (ليبيا) سنة 1977، حيث صادق على مشاريع المعاجم التالية : مصطلحات الجغرافية والفلك، مصطلحات التاريخ، مصطلحات الفلسفة، مصطلحات الرياضيات : القسم الثاني، مصطلحات الصحة وجسم الانسان، مصطلحات الاحصاء، مصطلحات الفلك : القسم الثاني.

كما انعقد المؤتمر الرابع بطنجة (المغرب) سنة 1981، حيث صادق على مشاريع المعاجم التالية : الكهرباء، هندسة البناء، التجارة والمحاسبة، الطباعة، النجارة، البترول والجيولوجيا.

كما انعقد المؤتمر الخامس بعمان (الأردن) سنة 1985، حيث صادق على مشاريع المعاجم التالية : الكيمياء، التربية، اللسانيات، الفيزياء النووية والفيزياء العامة، علم الاجتماع.

هذا وقد درس مؤتمر التعريب في دورته السادسة مشاريع المعاجم التالية : القانون، الاقتصاد، الجغرافيا، الآثار، الموسيقى، في لجان متخصصة بغية إقرارها وتوحيدها.

أما البعد الثاني الذي تطرق إليه المؤتمر في مائدة مستديرة فهو موضوع «منهجية التعريب ومدى اللاالتزام بها في تعريب العلوم» حيث تقدم المكتب بورقة عمل تتطرق إلى منهجية تنسيق التعريب كمحور من محاور منهجية التعريب.

* * *

ملامح من حياة اللغة العربية

الدكتور مناف مهدي محمد

تعد اللغة العربية من اللغات الانسانية الراقية لدقة تعبيرها ووسع معانيها ووفرة مفرداتها فهي ذات خصائص فنية مما تجعلها تسمو على غيرها من اللغات الأخرى، ومنها شقيقاتها في اللغات السامية.

ومن الحقائق اللغوية التي تظهر مكانة اللغة العربية وسموها على غيرها من اللغات :

1 ــ ما أقرضته[1] اللغة العربية لسواها من اللغات البشرية أكثر من اقتراضها[2] منها «فما اقتبسته العربية من مختلف اللغات لا يجاوز ثلاثة آلاف لفظ على أكبر الاحتمالات، على حين دخل تلك اللغات من العربية، وغيرها، شيء كثير لم يحصه حتى اليوم الراسخون في علم اللغات[3].

2 ــ إن استجابة اللغة العربية للمطالب العلمية والاجتماعية والحضارية بوجه عام لبرهان قوي على ما تميزت به من سعة مادتها وغزارتها وتنوع أقيستها وطرائقها للوضع والاشتقاق من الألفاظ والتراكيب، وفي تعدد وسائلها لتأدية ألوان المعاني والدلالات، فهي عون لمن ينشد عندها التعبير عن كل ما يجد في الحياة، وما يرد في الخواطر من أفكار وآراء تجسدها ألفاظ وتعابير مختلفة، تطرب السامع، وتتلاعب بأحاسيسه وعواطفه عندما تكون بثوب شعري جميل.

* * *

يقول أحد الباحثين إنّ أهم مزيّة حفظت للغة العربية شخصيتها، بين أخواتها الساميات في عهدها الأول قبل مجيء الاسلام هي عزلتها عن الشعوب الأعجمية واكتفاؤها بمقدرتها الذاتية على التعبير، وعلى التخير والانتقاء في موطنها عينه وبيئتها نفسها، وبين شقيقاتها اللهجات الفصحى التي تبادلت معها التأثر والتأثير بينما كانت الساميّات يتفرقن عن موطن الساميّة الأم ويبتعدن في الوقت نفسه عن الأصالة والصفاء»[4].

ومن أهم النتائج الحسنة لتلك العزلة هي محافظتها على الاعراب الكامل، ومناسبة حروفها لمعانيها، وثبات أصواتها، وتنوع صرفها، واشتقاقها،

وتعدد أبنيتها وصيغها، وكثرة مصادرها وجموعها، وغنى مفرداتها بالاشتراك والترادف، والتضاد، واستعدادها الذاتي للنحت والتوليد والتعريب والاشتقاق..و«على الرغم من أنها من أحدث اللغات السامية آدابا فإنها قد احتفظت بخصائص اللسان السامي الأصلي — بما في ذلك التصريف — أكثر مما احتفظت العبرية وأخواتها من اللغات الساميّة الأخرى.

ومن هنا كانت اللغة العربية أحسن مدخلا لدراسة اللغات السامية»[5] لذلك بقيت اللغة العربية بتراثها الخالد أقوى من محاولات أعدائها والحاقدين عليها لتنحيتها من برجها العاجي بدعواتهم السافرة لنبذ الفصحى في الكتابة، واللجوء إلى العامية، أو بدعواتهم لترك الاعراب، وغيرها من الدعوات الضالة[6]، عن سوء قصد، أو بحسن نية مع سوء تقدير.

ويقول المستشرق الألماني يوهان فك : «لقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كلّ محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر».[7] فهذه اللغة بتراثها الخالد قد عرف عنها وسائل متعددة لتنميتها منها :

الوضع والارتجال، القياس اللغوي، الاشتقاق، النحت، القلب والابدال، المعرب والدخيل، تنوع الدلالة بين الحقيقة والمجاز، المشترك والتضاد، والترادف. وغيرها[8].

* * *

واللغة العربية الفصحى كغيرها من اللغات الأخرى تفرعت عنها لهجات، لأنها انتشرت في مناطق واسعة متباعدة من شبه الجزيرة العربية مما جعلها لهجات مختلفة، فمن «المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلمّ بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلا، فلا تلبث أن تنشعب إلى عدة لهجات ولم تفلت اللغة العربية — وما كان يمكن أن تفلت — من هذا القانون العام فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات»[9].

ونرى مظاهر اختلاف هذه اللهجات في المشترك[10] وفي التضاد[11]، وفي الترادف[12]، وفي القلب[13]، وبعد أن تصارعت هذه اللهجات لكثرة الاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع والتنقل وراء الكلأ، ومجاورة القبائل العربية بعضها لبعض، وكذلك تجمعها في المواسم المختلفة في الحج والأسواق، والحروب الأهلية، ظلت في صراع مرير حتى كُتب النصر أخيرا للهجة القرشية لأسباب مختلفة[14]. منها : العامل الديني، والسلطان الاقتصادي، والنفوذ السياسي، ولكونها أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوباً وأقدرها على التعبير، لذلك طغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة. وانفردت بميادين الأدب شعراً وخطابة ونثراً، فأصبح الشاعر يبتعد عن النظم بلهجة قبيلته، فينظم قصيدته بلهجة قريش والسبب في ذلك يتضح من قول الفراء : «كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات جميع العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ»[15].

هكذا تمت نشأة اللغة العربية المشتركة قبل الاسلام، وإن مجيء الاسلام ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين قوى من مكانة اللغة العربية وساعد

على انتشارها بين الأمم الأخرى من فرس ورومان ويونان.

واللغة العربية المشتركة النموذجية الأدبية لم تكن بعيدة عن آثار بقية اللهجات فهي — مثلا — لا تتضمن جميع الخصائص الخاصة بإحدى القبائل دون أن تطعمها بما استظرفته من خاصيات معينة لقبائل أخرى كأخذ اللغة العربية المشتركة خاصية تحقيق الهمز من لهجة تميم وترك خاصية تسهيل الهمز التي هي من خصائص لهجة قريش.

والمعروف أن اللغويين العرب أخذوا اللغة من «قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف، ثم هُذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم»[16].

وهذه القبائل — بطبيعة الحال — نزر قليل من مجموعة كبيرة من القبائل العربية المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية المترامية الأطراف، ومع أنّ غايتهم الحرص الشديد على سلامة اللغة العربية من تفشي اللحن في كلام الأعراب الذي أخَذَ يدبّ على ألسنتهم لاختلاطهم بالأعاجم، لكن هذا القيد بما فيه من حرص شديد على سلامة اللغة العربية قد كبّل اللغة — أحياناً — بطوق حديدي منعها من استنشاق بعض ما تحتاجه من ألفاظ أو تعابير مختلفة، كما أغلق في وجه الباحثين أبواباً واسعة هم بحاجة لولوجها لتفسير بعض الظواهر اللهجية الغامضة التي جاءت مبتورة حيناً أو ممسوخة أحياناً أخرى.

نمو مصطلحات جديدة في اللغة العربية

إن اللغة هي مادة حية وظاهرة اجتماعية تخضع كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الانساني إلى عوامل الزمن فتتأثر سلباً أو إيجاباً.

وهي وثيقة الصلة بالانسان وبيئته، وليست هي رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه، وإنما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل. وانتقال الثقافات عبر العصور لا يأتي إلا بهذه الوسيلة العجيبة[17].

واللغة العربية ظاهرة اجتماعية كبقية الظواهر الاجتماعية الأخرى تخضع لقانون التطور والنمو، فمرت بمراحل وأطوار عند تطورها ونموها منذ العصر الجاهلي — مروراً بالعصر الاسلامي بمختلف مراحله — حتى تفرعت إلى لهجات عامية في مختلف المناطق العربية فقد عُرف في الجاهلية انتشار الألفاظ المعقدة وما تنافر من حروف اللفظ، أو كلمات الجملة. أمثال السباسب، والبسابس، والذعلبة، والكوماء والأجرد، وكقول امرىء القيس :

غدائره مستشزرات إلى العُلا
تضلّ المَدارى في مثنّى ومرسل[18]

أو كقول أعرابي سُئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى الهعخع[19]، وغير ذلك من الألفاظ المتصفة بالخشونة، مبتعدين في كلامهم عن الألفاظ الجزلة السهلة. كل ذلك بتأثير محيطهم وبيئتهم الصحراوية الجافة، وتبعاً لظروف معيشتهم وأخلاقهم المتصفة بالغلظة والخشونة لأنهم مفترشون القفار وملتحفون السماء، قانعون بشظف العيش، وخشونة الملبس، مع احتفاظهم بتقاليدهم الجاهلية في الأخذ بالثأر والغزو، والحروب الطويلة الأمد.

ثم بَعَثَ الله نبيّ الاسلام محمد — عليه الصلاة والسلام — هادياً ومرشداً ورحمة للعالمين فجاء بالدين الاسلامي الذّي أثّرت أحكامه وتعاليمه الجديدة في نفوس الأعراب، وانطبع ذلك في لغتهم فصاغوا ألفاظاً جديدة، خاصة بعد نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين «أعان اللغة العربية على اكتساب قدسية التعبير عن وحي السماء... فأضفى عليها من جلاله، ونفخ فيها من سلطانه، ومن ثم كانت لغة للدين كما

هي لغة للدنيا»(20) فانتشرت كلمات : الصلاة، الزكاة، الصوم، العبادة، الثواب، العقاب، الايمان، الاعتقاد، الرحمة، المغفرة، وغيرها من الألفاظ الدينية والقرآنية.

وإنّ كثيراً من هذه الألفاظ قد عُرفت قبل البعثة النبوية المباركة، وخاصة عند النصارى قبل ميلاد النبي محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ ولكنّ استعمالها كان يختلف عن الاستعمال الجديد، فلما جاء الاسلام أكسبها معنى جديداً فصار للفظ ــ كما يقول ابن فارس(21) ــ «اسمان : لغوي، وشرعي».

وحدثنا ابن فارس ــ أيضاً ــ عن الألفاظ التي أماتها مجيء الاسلام لأن مدلولاتها قد اختفت من حياة المجتمع لاعتناقهم الدين الجديد كما تحدث عن ألفاظ أخرى جديدة المعاني قديمة الألفاظ تولدت معانيها من مفاهيم، وتعاليم الدين الجديد، فقال : «كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم... فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرِطت، فعفّى الآخر الأول، وشُغل القوم بعد المغاورات والتجارات... بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»(22).

من هذا نفهم أن القرآن الكريم قد هذّب ألفاظ الأعراب ورقّق كلماتهم، وبعث فيهم روح الحب والتعاون والاخلاص، فقال تعالى : «وتَعَاونوا على البِر والتَّقوى ولا تَعَاونـوا على الاثم والعدوان»(23).

بهذه الكلمات جَلاَ القرآن الكريم صدور الأعراب الجلدة، وأكسبها رِقّة صوّرتها ألسنتهم بألفاظ جزلة سهلة.

فقضى ناموس بقاء الأصلح ــ كما يقال ــ على الألفاظ الخشنة والتراكيب الثقيلة فتهذبت ألسنتهم بالألفاظ والمصطلحات الاسلامية الجديدة.

وليس ما أحدثه الاسلام من معان جديدة لبعض الألفاظ العربية يقف عند المعاني الدينية، بل أضاف إليها معاني أخرى لعلوم ومصارف مختلفة لم يعرفها العرب من قبل، نشأت نشأة قرآنية فظهرت مصطلحات النحو والعروض إلى جانب مصطلحات الفقه والتفسير، كل ذلك له اسمان لغوي وصناعي، أي له مدلولان : أحدهما لغوي بالوضع، والثاني اصطلاحي بالنقل.

إن اللغة العربية بعد ظهور الاسلام قد توسّعت في الدلالات المجازية لكي تنمو وتلبّي حاجات الحياة فنقلت الألفاظ من الاستعمال الحسّي إلى الاستعمال المجازي والاصطلاحي وكذلك تطورت الأساليب العربية، فخرجت عن أصل الوضع اللغوي إلى معان مجازية وأساليب بلاغية لملاحظة فنية جمالية.

ومثال ذلك خروج أساليب الخبر من دلالتها الأصلية إلى الدعاء والاسترحام والتفجع. وأساليب الأمر والنهي والاستفهام عن معانيها اللغوية الأولى، إلى الزجر والتقرير والالزام، أو الجحد والانكار والعدول في التعبير عن أصل استعماله اللغوي بالاستعارة والمجاز والكناية(24).

بهذه الطريقة أخذت اللغة العربية بالتطور من حال إلى آخر تبعاً للظروف والأحداث فتركت الحوشي والغريب والثقيل من الألفاظ وابتعدت عمّا تنافر في حروف اللفظ واتجهت صوب تهذيب اللغة وتنقيتها من الألفاظ الثقيلة وذلك باستعمال الألفاظ اليسيرة طلباً للسهولة والتيسير.

أول بوادر اللحن :

إن ما تناقلته المصادر المعتمدة من أخبار بداية

اللحن والانحراف عن مقاييس العربية يعود في الأغلب إلى دخول الشعوب غير العربية في الاسلام وامتزاج العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى التي اعتنقت الدين الجديد فوقع التأثير والتأثر وزاغت الألسن عما كانت عليه من فصاحة تامة وسليقة مطلقة فشاب أصوات العربية شيء من لكنات أعجمية وحرفت الصيغة عن شكلها الحقيقي واستعمل الكلم في غير مواضعه، ويروي لنا ابن فارس (المتوفى سنة 395 هـ) أن «اللحن بمعنى الخطأ محدث، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة»(25) كما يتضح ذلك من قول أبي بكر الزبيدي(26) (المتوفى سنة 379 هـ) : «ولم تزل العرب تنطق على سجينها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجاً، وأقبلوا إليه أرسالاً واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منه في الاعراب الذي هو حليّها، والموضح لمعانيها».

ويقال : إن أوّل بوادر اللحن والعُجمة ظهر في عهد الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقد قال أبو الطيب(27) اللغوي : «اعلم أنّ أوّل ما اختل من كلام العرب فاحوج إلى التعلّم الاعراب، لأنّ اللّحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روينا أن رجلاً لَحَنَ بحضرته فقال : (أرشدوا أخاكم فقد ظلَّ)(28) وهذا صُهَيْب بن سنان وهو من صحابة الرسول (ص) كما يروي لنا ذلك ابن حجر في الاصابة(29) وذكر أنّه كان ينطق العربية بلُكنة بيزنطة وذلك لأنّ البيزنطيين قد اختطفوه وهو صبي فتأثر بذلك لسانه، وهو يقول : «إنك لهائن يريد إنك لحائن»(30) كما ذكر لنا الجاحظ عن الشاعر سحيم المشهور بعبد بني الحسحاس وقال : إنه كان يرتطن لُكنة أجنبية(31) كما سُجلت بعض الروايات في اللحن بعد عهد الرسول. وفي عهد الخلفاء الراشدين انتشرت ألفاظ جديدة كالديوان، وأمير المؤمنين والخليفة، وغيرها من الكلمات التي تطلبتها الحياة الجديدة.

بوادر الاقتراض اللغوي :

إن الفتوحات الاسلامية شرقاً وغرباً أدّت إلى اختلاط العرب بالعجم، فاختلطت أفكار العرب بأفكار غريبة عن بيئتهم وبطباع تختلف عن طباعهم، وكان من نتيجة هذا الاختلاط أن احتاجوا إلى ألفاظ يعبرون بها عن هذه الأفكار الجديدة، والطباع الغريبة. ولمّا لم يجدوا مثل هذه الألفاظ ولو بطريق النقل أو المجاز، لجأوا إلى الاقتراض اللغوي من لغات تلك الشعوب، ولا يُعدّ هذا عيباً في اللغة، فإن أية لغة تواجه تجديداً لا عهد لها به وليس في ألفاظها ما يدل عليه تلجأ إلى اقتراض ما تحتاج إليه من ألفاظ، وقد فعلت لغتنا العربية ذلك فاقترضت من الفارسية والهندية والرومية وغيرها من لغات الشعوب التي اتصلت بها بعد خروجها من عزلتها في الجزيرة العربية، ثم أن بعض ما اقترضته من الألفاظ الأجنبية أبقت عليه بصورته دون تغيير وذلك ما أطلق عليه المعجميون اسم الأعجمي أو الأجنبي أو الدخيل.

وهناك ألفاظ أجنبية استعملها العرب بعد أن أخضعوها لنهجهم اللغوي، وهذا ما أسموه : المعرب كما قال الجوهري : (32) «تعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها».

وينبغي أن نفهم أن انتقال الكلمات الأعجمية من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية لم يكن ينظر إليه على أنه عجز أو تقصير منها، وإنما كان يُنظر إليه أنّه اتساع فيها ونمو لها. لذلك نرى كلمات أعجمية راجت في البيئة العربية وتغلبت على مرادفتها في لغة العرب، ربما لأنّها كانت أخفّ وأرقّ وأيسر في النطق من نظيراتها العربية.

ومن هذه الكلمات الأعجمية[33] :

• (الابريـــق)[34]، ومرادفــه العــربي : (التأمورة)[35]

• (الهاون)[36] ومرادفه العربي : (المِنْحاز)[37] أو المهراس[38] واللفظ الأخير لايزال يستعمل في اللهجة الجزائرية وينطقونه (مهراز) بإبدال السين زايا.

• (الطاجن)[39] ومرادفه العربي : (المقلى)[40].

• (الـمِسك)[41] ومرادفــه العــربي : (المشموم)[42].

• (السُكّر)[43]ومرادفه العربي : (المِبرّت)[44]

• (النَّرجس)[45]ومرادفه العربي : (العَبْهَر)[46].

• (الوَرْد)[47]ومرادفه العربي : (الحَوْجَم)[48].

• (البـاذنجان) ومرادفـه العربي : (المَغْد)[49]، و(الأنب)[50].

• (الخيـــار)[51] ومرادفـــه العربيه: (القَثَد)[52]، و(القِثّاء)[53].

• (التُـــوت)[54] ومرادفـــه العربي : (الفِرْصَاد)[55].

وهناك كثير من الأمثلة الأخرى تتضح معالمها عند تحقيقها بالرجوع إلى أمهات اللغة.

الترجمة

وجاء العصر الأموي، وهو يحمل حدثين مهمين لهما تأثير عميق في نمو اللغة العربية وانتشارها.

أولهما : تعريب الدواوين على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65 هـ ـــ 86 هـ)

والثاني : أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 هـ ـــ 101 هـ)بتدوين الحديث النبوي الشريف.

وجاء الحدث الثالث في العصر العباسي عندما أمر الخليفة المأمون (198 هـ ـــ 218 هـ) بنقل كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية[56].

وفي هذا العصر ـــ أي العصر العباسي ـــ بلغت حركة الترجمة أوجها حين عُرّبت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة، ولا يزال كثير من هذه الألفاظ صالحاً للتعبير عن هذه العلوم إلى يومنا هذا[57].

فقد استطاعت اللغة العربية أن تنقل التراث الحضاري عندما اتصل العرب بالتراث العلمي القديم اليوناني والهندي والفارسي، ولم تعجز الفصحى عن ترجمته، ولم تكن اللغة عقبة في سبيل حركة الترجمة في ذلك الوقت. فتُرجمت كتب في الطب والكيمياء وكذلك في الفلك والنجوم كما استوعبت الحركة العلمية آنذاك علوم الفلسفة والطبيعة والفلك والرياضيات. وبعد أن هضمتها جيداً، بدأت بتمثيلها على ضوء الفكر الاسلامي الأصيل، فأضافت إلى العلوم التي وصلت إليها أشياء جديدة مع الاحتفاظ ـــ بكل أمانة ودقة ـــ بتلك العلوم ثم انتقلت ـــ أخيراً ـــ تلك العلوم إلى العالم الأوربي عن طريق الأندلس وصقلية، وشمال إفريقيا، وسواحل فلسطين، كما شهد بذلك المنصفون من المؤرخين الأوربيين، فذكروا أن المرحلة الرائدة لعصر العلم الحديث تمت على أيدي العلماء العرب، في العصر القيادي للحضارة الاسلامية، وقد اعتمدت أوربا وجامعاتها في بدء نهضتها على كتب ومناهج عربية منها على سبيل المثال لا الحصر :

كتب جابر بن حيان (ت 198 هـ) في الكيمياء والخوارزمي (ت 236 هـ) في الحساب والجبر والمقابلة. وابن البيطار الطبيب (ت 646 هـ) والرازي (ت 311 هـ) وابن سينا (ت 428 هـ) في الطب والتشريح والحسن بن الهيثم (ت422 هـ) في البصريات.

ومؤلفات أطباء أندلسيين كأبي الواقد، وأبي القاسم الزهراوي (ت411 هـ).

ومثل الشريف الادريسي (ت 457 هـ) في الجغرافيا.

وغيرهم[58] كثيرون ممّن ألّفوا كتبهم باللغة العربية ودرست في أوربا فكانت هي المنار التي أضاءت للغرب طريق العلم، وأخرجتهم من ظلمات العصور الوسطى إلى عصر النهضة الحديث.

حركة تنقية اللغة :

نضجت في العصر العباسي حركة تنقية اللغة العربية نضجاً تاماً، خاصة في عهد ،هارون الرشيد كما يشير إلى ذلك المستشرق يوهان فك[59]، ويضيف قائلا : «كان عصر هارون الرشيد هو العصر الذي وجدت فيه لغة الشعب للمرة الأولى مساغاً في التعبير الأدبي، فكما في قصة جدّ معروفة، يروى أن هارون الرشيد بعد أن قضى على البرامكة منع الناس أن يبكوا القتلى في مراث تشيد بذكرهم، ولكن جارية لجعفر بن يحيى بن خالد بكت سيدها القتيل في قصيدة نظمتها باللسان الشعبي تختم أبياتها بقولها يا مواليا»[60].

وإذا كانت اللغة العربية الفصحى في أكثر الأوقات هي لغة العلم والأدب في حواضر الدولة العباسية، فإن اللغة الفصحى لم تستعملها الطبقات الدنيا أو الوسطى في حياتها اليومية[61] وهو أمر طبيعي عرفته حياة الجاهلية أيضاً، فهناك مقام الأدب والعلم يستوجب المستوى الفصيح، وهناك مقام التخاطب العادي والحوار الشعبي، ولا يتطلب هذه الفصحى المقيدة بضوابط كثيرة، وتختلف المستويات باختلاف المتكلمين.

كما أن اللحن لم يسلم منه حتى بعض كبار علماء اللغة العربية حين لا يتحفظون في كلامهم فها هو ذا الفراء (المتوفى سنة 207 هـ) يلحن في مجلس الرشيد ويعلل ذلك بقوله : «إن طباع أهل البدو الاعراب، وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لَحَنْت»[62]. واللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن منذ نشوئها في عصر الفتوحات الاسلامية الأولى، تعدّ عربية مولّدة في نظر التاريخ اللغوي ونماذج هذه العربية المولدة تتضح في العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى التي نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية، الذين لا صلة لهم بالبادية وعربيتها، بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة الدارجة، التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب التي أخضعوها، فصارت لغة التخاطب والتفاهم، والتي تتميز بسمات وخصائص مشتركة يمكن تلخيص ظواهرها اللغوية بما يأتي[63] :

1 ـــ في الأصوات، حيث مالت إلى السهولة والتيسير كحذف الهمز الذي استفاض في العصر الجاهلي في لهجة الحجازيين، وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب.

وتخففت من الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي خاصة تلك الأصوات التي لا نظير لها في اللغات الأخرى. فتغير حرف الضاد ـــ وهو خاص بالعربية بحيث يسمى العرب الناطقين بالضاد ـــ تحول إلى ظاء أو دال مفخمة أو عادية، أو طاء، أو لام مفخمة.

وهناك تغير صوتي آخر في العربية المولدة وهو يتعلق بالسين والصاد، ففي العربية القديمة نجد صيغاً مزدوجة مثل صراط وسراط[64]، وصويق وسويق[65]، وفي لهجة بلعنبر[66] ـــ أحد أفخاذ تميم ـــ يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين

أحد الحروف الأربعة التالية : (ط، ق، غ، خ) ولو بفاصل كما روى ذلك أبو الطيب اللغوي[67] نقلا عن الفراء وعلل ذلك بقوله : «إن الطاء حرف تضع لسانك في حنكك فينطبق الصوت فتنقلب السين صاداً صورتها صورة الطاء واستخفوها ليكون المخرج واحداً كما استخفوا الادغام. ويبدو أن هذا التعليل موافق لما ذهب إليه المحدثون[68] حيث ذكروا أن حروف الاطباق أو التفخيم — وهي الصاد والضاد والطاء[69] وأضاف بعضهم[70] الخاء والغين والقاف — حين النطق بها يرتفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق[70] لذلك أبدلوا الصاد بالسين كي يرتفع اللسان باتجاه واحد.

وقد ذهب متأخرو النحاة[71] إلى تعميم جواز ذلك التغير الصوتي بالشروط المذكورة وعلل ابن يعيش[72] سبب ذلك التغير بقوله : «إن هذه الحروف مجهورة مستعلية والسين مهموس مستفل فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صاداً لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف» ويقصد بقوله : «الاستعلاء» علو مؤخر اللسان في اتجاه الطبق وهو يعني الاطباق أو التفخيم حسب رأي المحدثين[73].

ونجد في بعض الألفاظ المولدة قد استعملت الصاد بدلاً من السين في أحوال لم تتوفر فيها الشروط السالفة مثل : (صَنَام) بدلا من (سنام). كما نجد في اللهجة الجزائرية[74] الحديثة يقولون (قاصح) بدلا من (قاسح) أي صلب فاستعملت الصاد بدلاً من السين والصاد والسين صوتان رخوان مهموسان ينطقان بطريقة واحدة مع فارق واحد هو أن مؤخر اللسان يرتفع ناحية الطبق مع الصاد ولا يرتفع مع السين، فالصاد صوت مطبق والسين صوت مرقق وقد حصل هذا التغير بعد أن حدث العكس حيث تقدمت القاف على السين.

وقد عارض النظر بن شميل[75] (المتوفى حوالي 203 هـ) الرأي القائل بأن السين تقع أحيانا موقع الصاد على حين روى عن الزّجاّج النحوي (المتوفى 321 هـ) أنه كان يرى جواز إبدال كل من الحرفين بالآخر[76].

وقد سجل الجاحظ (المتوفى سنة255 هـ) بعض العبارات من لغة الحديث اليومي والتي توضح بعض الظواهر الصوتية السائدة آنذاك ويظهر أثر الأصوات الأجنبية في نطق بعض المتكلمين باللغة العربية فيقول : «ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في عليا تميم، وسفلى قيس، وبين عجز هوازن خمسين عاما. وكذلك النّبطي القح... لأن النبطي القح يجعل الزاي سينا، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق ويجعل العين همزة»[77] كما ذكر الجاحظ في موضع آخر أن زياداً الأعجم كان يجعل السين شيناً[77]. وذكر كذلك أن بعض مواطن الدولة الاسلامية من غير العرب لم يكونوا يميزون تمييزاً واضحاً بين الذال والذال.

وأطلق الجاحظ على ظاهرة عدم قدرة المستعربين على النطق بالأصوات العربية اسم : اللُكنة بضم اللام فقال : «ويقال في لسانه لُكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول»[78].

2 — في البنية الصرفية :

أخذت اللغة المولدة طابعاً جديداً يتمثل بإدخال بعض الوحدات الصرفية على ما تمنع الفصحى دخوله عليه كإدخال أداة التعريف (ال) على ألفاظ (كل، بعض، غير) كقولهم : «الحيوانات الغير ناطقة»، وفي التراكيب العددية مثل : «ما فعَلَتْ

الثلاثة الأثواب»[79] فيعرفون الاسمين ويضيفون الأول منهما إلى الثاني، والصواب أن يعرف الأخير من كلّ عدد مضاف فيقال: «ما فَعَلَتْ ثلاثة الأثواب ؟».

وقامت اللغة المولدة بإثبات نون التثنية والجمع التي تحذفها العربية الفصيحة لدلالة نحوية معينة عند الاضافة مثلاً.

3 — في التركيب النحوي :

إنّ ترك الاعراب في أواخر الكلم يجعل من المُتَعَذّر تمييز الفاعلِ (إلا إذا كان في صورةِ ضمير يتميّز بصيغته) في آخر الجملة أو بعد المفعول كما يصعُب معرفة وظيفة الكلمة في الجملة لذلك استعاضت عنه اللغة المولّدة بترتيب الكلمات ترتيباً آخر: فلتمييز الفاعل من المفعول قامت بتقديم الفاعل على الفعل الذي يأتي بعده المفعول مباشرة وذلك حينما يكون الفعل متعدّياً.

أما إذا كان الفعل لازماً فهو مخيّر بين تقديم الفعل على الفاعل أو تأخيره عنه وبذلك نرى أنّ اللغة الدارجة تخلّت عن الاعراب الذي يَفْصُحُ عن الوظيفة النحوية للكلمة وقد صارت الوظيفة النحوية في الاحساس اللّغوي الحي موقوفة على علاقات مواضع الكلمات لا على إعرابها.

كما أنّ الخلط بين علامات الاعراب كان يعدّ طابعاً مميزاً لطريقة التعبير الشعبي وهذا ما يوضحه الجاحظ[80] في الأمثلة التي أوردها نماذجا للكلام الملحون مثل :

ذهبت إلى أبو زيد (بدل : ذهبت إلى أبي زيد)

ورأيت أبو عمرو (بدل : رأيت أبا عمرو)

كما ورد في الأمثلة :

«مكره أخاك لابطل» بدلاً من (مكره أخوك لابطل)

«وإذا عزّ أخاك فهن» بدلاً من (وإذا عزّ أخوك فَهُن)

وكذلك ظهر اختلاط علامات الاعراب في النصوص النصرانية العربية للقرن الثالث الهجري مثل : «لا يستطيع أحداً» أو «لايستطيعُ أحدٌ من الناس أمْرَ مثلِ هذا»

ومثل «يَدَيك خلقتاني»[81] بدلاً من «خلقتني يداك».

كما نرى بعض التراكيب الأعجمية في اللغة العربية قد انتشرت في أسلوب كتبة أهل العصر العباسي الأول وذلك يتضح فيما ينقلونه من الأفكار الأعجمية.

ويعتقد أن أسلوبهم قد دخله شيء من الضعف والركاكة ومثال ذلك :

إدخال الألف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي[82].

ومن التعبيرات التي اقتبست من اللغة اليونانية[82] :

ا— تركيب الألفاظ مع (لا) النافية وإدخال (ال) التعريف عليها كقولهم (اللانهاية) و(اللاضرورة).

ب — صوغ الاسم من الحروف أو الضمير مثل قولهم : الكيفية والكمية، والماهية.

ج — نقل الألفاظ الوصفية إلى الاسمية كقولهم : المائية ومن ذلك أيضاً اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم (صاحب الشرطة) و(صاحب الستار) وهو تعبير فارسي[82].

طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى فترة طويلة فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها.

وهكذا كان لابد أن ينطبق هذا المبدأ على اللغة العربية عند انتشارها بعد الفتوحات الاسلامية الواسعة وكما يقول أحد الباحثين(92) : فإن اللغة «فرضت نفسها لسانا للمتكلمين في البلاد التي أظلتها راية الفتح وكادت أن تمحو لغة الأوطان محوا، ولكنها مع ما أعطت أخذت من كل وطن بجديد، ودس فيها ما لم يكن منها وتأثرت اللهجات العربية الشائعة على ألسنة العامة هنا وهناك».

ولم تستطع العربية الفصحى أن توقف هذا التيار الجارف — تيار العامية — كما لم تستطع قواعدها أن تسيطر على ألسنة الناس فاستمر التحرر من قواعد الاعراب، واستمر توليد الألفاظ فتكونت بسبب ذلك لهجات عربية حديثة في كل إقليم عربي.

فكل لهجة اتخذت أسلوبا يختلف عن غيره من أساليب اللهجات الأخرى في النطق، على أن هناك شيئا واحدا وصلت إليه هذه اللهجات المنشقة عن الفصحى، وهو سقوط الاعراب من أواخر الكلم.

والانحراف عن الفصحى التي اتصفت به اللهجات العامية يحدث في أغلب الأحيان لأجل التخفيف في النطق ويتحقق هذا بعدة طرق يمكن أن أوجزها فيما يأتي : (93).

1 — بزيادة حرف — وغالبا ما يكون حرف لين — نحو قولهم : «راجل» بدلا من «رجل» و(دواية)بدلا من (دواة) في اللهجة المصرية(94) وقولهم : «رجّال» بدلا من (رجل)في اللهجة العراقية(95) وقولهم : «الحاسي» بدلا من (الحسْي) وهو للبئر(96) في اللهجة الجزائرية(97). والحرف الزائد الذي تولد في (راجل) و(الحاسي) هو نتيجة اشباع صوت الفتحة كما يبدو.

2 — بتخفيف الهمزة كقولهم «بير» بدلا من (بئر) في اللهجةالعراقية(98) والمصرية(99) وقولهم «رايح» بدلا من (رائح) في اللهجة العراقية(100) والجزائرية(101) ويقولون «أوميت» في (أومَأت) في اللهجة العراقية وينطقونها بضمة فوق الهمزة ممالة نحو الفتحة.

ومثل هذه اللهجة قد نهى عنها الجوهري في الصحاح(102) وقال : «ولا تقل أوْمَيْت».

وردّه الشهاب الخفاجي بقوله «الصحيح أنه لغة مسموعة» قال :

أومى إلى الكوماء هذا طارق
نحرتني الأعداء إنْ لم تنحري

وقال اللبلي في شرح الفصيح (أومأت إليه) أشرت بيد أو حاجب، مهموز.

قال ابن درستويه والعامة تقول أوميت.

وحكى ابن قتيبة في أدب الكاتب (أوميت) وعن ابن خالويه (وميت) وحكاه يونس في نوادره(103).

وتسهيل الهمزة وتخفيفها معروف منذ القدم فقد مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق(104). كما عرف عن الحجازيين تسهيل الهمزة فلا ينبرونها إلا إذا أرادوا محاكاة التميميين في تحقيقها استلطافا لهذه الصفة الحلوة من صفات لهجتهم(105) لهذا فلا عجب إن تخلصت معظم اللهجات الحديثة من تحقيق الهمزة لما يحتاجه تحقيقها من جهد عضلي.

3 — وقد يكون باتباع حركة أول الكلمة للحرف الليّن الذي في وسطها فتحدث الامالة كإمالة الفتحة نحو الكسرة كقولهم :

«زيتْ»(٭) بدلا من «زَيْت»

«دِين» بدلا من «دَيْن»

«سيف» بدلا من «سَيْف»

في اللهجة العراقية(106) وقولهم :

«بيت» بدلا من «بَيْت»

في اللهجة العراقية(106) والمصرية(107)

والامالة هي ضرب من الانسجام والتقريب والهدف منها كما يقول ابن يعيش (108) : «تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل» فسبب الامالة هنا هو لتناسب الأصوات وتقاربهما وذلك لأن النطق بالياء والكسرة مستفل منحدر، والنطق بالفتحة والألف مستعل متصعد ، ففي الامالة صارت الالف من نمط الياء في الانحدار والتسفل.

4 ـــ إبدال بعض الحروف بأخرى أسهل في النطق كقولهم :

«بحتر» بدلا من «بعثر»

في اللهجة المصرية(109) فأبدلت العين حاء.

والعين هو «صوت مجهور مخرجه وسط الحلق. فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى»(110) والحاء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، ومخرجها واحد، ولا فرق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين.

وقد نبه الخليل بن أحمد(111) إلى هذا الفرق بينهما فقال : «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها» وذكر مثل هذا ابن جني(112) وأضاف قائلا : إن الحاء فيها بحة يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصر النفس(112).

وكلام ابن جني هذا يرشدنا إلى السبب في إبدال العين حاء وذلك لأجل التخفيف وسهولة النطق لأن الحاء يجري معها النفس ولا ينحبس كما في العين.

وأبدلت الغين خاء في بعض اللهجات العراقية(113) كقولهم :

«خَسَل» بدلا من «غسل»

«خَصبَه، خَصبْاً» بدلا من «غصبه، غصبا»

و«اخْتَال» بدلا من «اغتال»

والخاء والغين صوتان حلقيان مخرجهما واحد، وكل منهما صوت رخو مرقق إلا أن الفرق بينهما هو أن الخاء النظير المهموس للغين، أي أن الأوتار الصوتية تهتز مع الغين ولا تهتز مع الخاء.«فعند النطق بالخاء يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم»(114).

لهذا أبدلت الغين خاء لأجل التيسير وللسهولة في النطق.

5 ـــ تخفيف النطق بإبدال الحرف المضعف ياء كقولهم :

«مِدّيت» بدلا من (مددت)، و«فُكّيت» بدلا من (فكَكْتُ) في اللهجتين العراقية(115) والمصرية(116).

وقولهم : «حِسّيت» بدلا من «حَسِسْت» في اللهجتين العراقية والجزائرية(117).

ويعرف مثل هذا الابدال عند علماء الأصوات(118) ب (قانون المخالفة)، وهو القانون الذي يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات

(٭) هذه العلامة (ب) ترمز لحركة الامالة أي : إمالة الفتحة نحو الكسرة أو إمالة الألف نحو الياء.

المتوسطة أو المائعة المعروفة وهي اللام والميم والنون والراء.

وورد في العربية القديمة إبدال الياء من الراء في (تسرّيت)[119] وأصله (تسررت) وأبدلت الياء من النون في (دينار)[120] وأصله (دِنّار) كما ورد (تظنّيت)[121] في (تظننت).

وقد نبّه اللغويون العرب على مثل هذه الظاهرة، فعقد سيبويه لها بابا سماه (باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد)[122]. كما علل اللغويون سبب ذلك الابدال بقولهم : «هروبا من اجتماع الأمثال»[123] أو «هروبا من ثقل التضعيف»[124] أو «كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد»[125].

6 ــ يكون التخفيف ــ أحياناــ ناشئا من القلب المكاني كقولهم :

«المعلقة» للملعقة في اللهجة المصرية [126].

وقولهم :«زميج» بدلا من (مزيج) في لهجة أرياف المنطقة الوسطى من العراق وحصل قلب مكاني للضمير (أنا) وأصبح (آنَ) في كثير من اللهجات العربية الحديثة كاللهجة العراقية [127] والتونسية وبعض القرى المصرية[128] والتلمسانية.

فتقدمت اللام التي هي (الالف في «أنا») على العين التي هي (النون) فاجتمعت الهمزة مع الألف الساكنة فتحولت إلى (مدة) : (آ) ومثل هذا الاستعمال للضمير (أنا) ليس غريبا عن اللهجات القديمة.

فقد حكى الفراء[129] (آنَ فعلت) كما نسب هذه اللهجة صاحب التهذيب إلى قُضاعة[130] واستشهد لها بقول عدّي[131] :

ياليت شِعري آن ذو عَجَّة
متى أرى شَرْباً حَوالي أصيصْ ؟[132]

7 ــ وقد يكون التخفيف ناشئا عن النحت، وهو تكوين كلمة أو قطعها من أحرف كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما، وغرضه الاختزال والاختصار.

فقالوا : «ايش بدك ؟ » [133] والاصل : «أي شيء بودّك ؟» في اللهجة السورية.

وقالوا : «منين ؟» في (من أين ؟) في اللهجة المصرية والعراقية[134].

وقالوا : «ليش ؟ » في (لأي شيء ؟) في اللهجة العراقية[135].

وقالوا : «ماعنديش» في (ما عندي شيء) في اللهجة الجزائرية[136] والمصرية.

وهكذا تطورت اللهجات المحلية في مختلف المناطق العربية عبر العصور المختلفة وسادت في ركب التطور نحو التيسير والتسهيل والسير من الصعب إلى السهل طلبا للاختصار والاقتصاد بالمجهود العضلي، وسرعة الأداء لمواكبة عصر السرعة.

ومن هذا العرض الذي أوضحت فيه ما آلت إليه اللهجات المحلية يمكن استخلاص النقاط التالية :

أولاً ــ مرّت اللغة العربية الفصيحة بأدوار كثيرة وظروف متنوعة تغيرت أصواتها ومفرداتها عبر العصور المتعاقبة حتى تحولت إلى لهجات مختلفة كل لهجة تتصف بصفات ومميزات معينة ولها جذور وظواهر خاصة تشترك أحياناً مع الظواهر التي تتميز بها لهجة القبائل التي انحدر منها أصحاب اللهجة الحديثة، كظاهرة الكشكشة والشنشنة والعجرفيّة وغيرها[137].

ثانياًــ استعمل في اللهجة الحديثة أصوات إضافية استعيرت من اللغات الأخرى كاللغة الفارسية والتركية والانجليزية والفرنسيّة وغيرها. ومن تلك الأصوات صوت الباء المهموسة والكاف الفارسية

(گـ) أو كما يطلق عليها الجيم القاهرية أو الكاف التميميّة وهو صوت سامي موجود في بعض اللغات الساميّة كالعبريّة والسريانيّة والحبشية[138] واستعملت أصوات أخرى مستقبحة (كما سمّاها سيبويه)[139] أو كما قال ابن دريد[140] : «الحروف التي لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة».

ثالثاً ــ تشترك معظم اللهجات العربية الحديثة بسقوط الاعراب من أواخر الكلم.

رابعاً ــ فقدت كثير من الأصوات العربية الفصحى من بعض اللهجات الحديثة كفقدان صوت القاف في لهجة أهل القاهرة والشام إلا في بعض الألفاظ التي احتفظ بالقاف كقولهم : (القاهرة)، والقاهر ويبدو أنه لم يبدل هذا الصوت خوفاً من الالتباس بلفظ آخر.

وكذلك استبدل صوت الثاء في لهجة أهل القاهرة بصوت التاء أو السين فقالوا : (تلات وتلاتين) في (ثلاث وثلاثين) وقالوا (سابت) بدلا من (ثابت).

خامساً ــ مالت معظم اللهجات الحديثة إلى التخفيف والتسهيل في النطق كتسهيل الهمزة. وهذه الخصيصة موجودة في العصر الاسلامي وقبله كذلك فقد مالت كثير من اللهجات العربية القديمة إلى تخفيف الهمزة والتخلص من تحقيقها لما يحتاجه تحقيقها من جهد عضلي وقد مالت كلّ اللهجات الساميّة إلى التخلص منها في النطق[141] كما عرف عن الحجازيين تسهيل الهمزة فلا ينبرونها إلا إذا أرادوا محاكاة التميميين في تحقيقها استلطافاً لهذه الصفة من صفات لهجتهم.

وبعد هذه الخلاصة لما توصل إليه البحث من نتائج يمكن وضع الاقتراحات التالية :

1 ــ بالامكان نشر الفصحى بتعميم التكلم بها في المدارس، وإجبارالأسر التعليمية على إلقاء الدروس باللغة العربية، وتحريم العامية المبتذلة عند إلقاء المحاضرات، لكي ينشئوا جيلاً يستخدم الألفاظ العربية الفصيحة. ومطّلعاً عليها منذ نشأته التعليمية الأولى، لأن اللغة العربية كغيرها من اللغات تعتمد على السماع والتلقين في تعليمها بالدرجة الأولى، وكذلك تهيئة معلمين سليمي اللغة بتكثيف الدورات التعليمية لهم.

2 ــ تخصيص لجنة في كلّ مجمع لغوي تكون متخصصة بالشعر العامي أو كما هو معروف «بالشعر الشعبي» ويكون ضمن اختصاصاتها فحص النصوص الشعرية العامية وخاصة الغنائية منها قبل قراءتها وتلحينها، لتهذيبها، وحذف الكلمات المنحرفة عن الفصحى ــ قدر الامكان ــ لئلا تشيع مثل هذه الكلمات بين الناس فتتوارث في الأجيال القادمة.

3 ــ تشجيع البحوث الأكاديمية لدراسة اللهجات الحديثة، لاظهار ما وصلت إليه في مراحل تطورها وتوضيح صلتها باللغة الأم (اللغة العربية الفصيحة) لتضييق هوة الاختلاف بين اللهجات العربية، لكي تنسجم جميعا وتقبع في أحضان اللغة العربية الفصيحة.

4 ــ ضرورة منع استعمال الكلمات الأجنبية في عناوين المحلات والمرافق العامة في كافة أنحاء الوطن العربي، وإبدالها كلمات عربية فصيحة. وإذا لم نجد ما يسد حاجتنا منها، فيمكن الرجوع إلى الألفاظ التي أقرها المجمع اللغوي، وعرّبها من المصطلحات الصناعية والطبية. ونترك الكلمات الدخيلة أمثال : (المسافر خانة) و(البانزين خانة) في اللهجة العراقية، والاكزخانة، واللوكنده في اللهجة المصرية وغير ذلك من الألفاظ الدخيلة.

وشائج القربى في العربيّة.!

بقلم : محمد السيد علي بلاسي

عربيّتنا.. لغة فذّة فريدة من نوعها، سواء من حيث ولادتها وتكوّنها ونشأتها، أو من حيث مقوّماتها ومكوّناتها وعناصرها، ومن حيث مبادئها وأسسها وقواعدها، ومن حيث نواميسها وسننها وقوانينها، ومن حيث خصائصها وسماتها ومميّزاتها، ومن حيث ـ بالتالي ـ فلسفتها وعلمها وفقهها ؛ وبذلك، فإنها لا تشبه لغة من اللّغات، كما إنّها لا تشبهها لغة من اللّغات، فهي نسيج بينها جميعا..![1]

ويتأتى كون اللغة العربية لغة فذّة فريدة في نوعها؛ من حيث إنّ المادّة فيها تدور حول معنى واحد، بمعنى : أنّ كلّ مادّة في العربيّة تدور حول معنى واحد مهما تصرّفت. وتلك ميزة، عزّت أن تكون في لغة من اللّغات إلا في اللّغة العربيّة..!

فالألفاظ في اللّغة العربيّة لها أصل ترجع إليه يمثّل المادّة الأصلية التي تدلّ على المعنى المصدريّ، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعدّدة بزيادة بعض الحروف، أو نقصها، أو تغيير الحركات، ومع ذلك فكلّ طائفة من الألفاظ تدور حول معني عام يجمعها، وكأنّها مجموعات أسريّة تتلاقى كلّ منها في إطار واحد، وتتجانس وتتشاكل إلى حدّ يمكن منه معرفة الشقيق والغريب والدّخيل، ويمكن منه كذلك معرفة نشوء اللّغة وكيف تطورت معالم ألفاظها ومعانيها وارتباطها بعضها ببعض...والاشتقاق يكشف هذه الحقيقة؛ فلو تتبعنا مادّة معجميّة ودرسناها وأمعنا النظر في المعاني التي تدل عليها ألفاظها، لوجدناها ترتبط بمعنى عام يشمل هذه المعاني ويعدّ مركزا لها تتفرّع عنه وتدور حوله.![2]

ولتوضيح هذا نسوق بعض الأمثلة :

أولا : مادّة (ج ب ر) : فهي أين وجدت وكيف وقعت من تقدّم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للقوّة والشدّة. وجهات تراكيب المادّة الست مستعملة كلّها لم يهمل شيء منها وهي : (ج ب ر)، (ج ر ب)، (ب ج ر)، (ب ر ج)، (ر ج ب)، (ر ب ج).

الأصل الأوّل : (ج ب ر) : تقول : جبرت

العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما. ومنه : الجبر : الملك لقوّته وتقويته لغيره.

الأصل الثاني : (ج ر ب) : تقول : رجل مجرّب : إذا جرّسته الأمور ونجّذته، فقويت مُنّته، واشتدّت شكيمته. ومنه : الجراب : لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حُفظ الشيء وروعي اشتدّ وقوى.

الأصل الثالث : (ب ج ر) : والأبجر والبُجرة : القويّ السرّة.

الأصل الرابع : (ب ر ج) : ومنه : البرج : لقوّته في نفسه وقوّة من عليه به. والبَرَج : لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف.

الأصل الخامس : (ر ج ب) : ومنه : رجبت الرجل : إذا عظّمته وقوّيت أمره. ومنه : رجب : لتعظيمهم إياه عن القتال فيه : الرُجبَة : فإنه إذا كرُمت النخلة على أهلها فمالت دَعَموها بالرجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به. ومنه : الراجبة : أحد فصوص الأصابع، وهي مقويّة لها.

الأصل السادس : (رب ج) : ومنه : الرَبَاجيّ : وهو الرجل الذي يفخر بأكثر من فعله. قال الشاعر :

* وتلقاه رَبَاجيًا فخورا» تأويله : أنه يعظّم نفسه، ويقوّي أمره...(3)

ثانيا : مادّة : (س ل م) : فإنها تدور حول معنى السلامة في تصرّفها، نحو : سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم : اللّديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة..(4)

ثالثا : مادّة : (ح د ق) : نجد أنها تدور حول الاحاطة والاستدارة، ومنها : حدقة العين، والحديقة، وأحدق بهم الخطر...ونحو ذلك.

من هنا، ندرك أن اللغة العربيّة تمتاز بدوران موادها، وتقلّباتها حول معنى واحد. وهذا الدوران حول معنى واحد قد توصّل إليه — قديمًا— علماء الاشتقاق، وعلى رأسهم العلاّمة ابن جني وابن فارس، ويعدّ هذا من ميزات لغة العرب التي لا تتمتّع بها اللغات الأخرى...!(5)

فمثلا كلمتا أخ وأخت ترجعان إلى مادة (أخو) في العربية، على حين نجدهما مختلفتين لا رابط بينهما في اللّغات الأجنبية، فهما في الفرنسيّة مثلا : soeur و frère، وفي الانجليزية : sister و brother، ونحو ذلك كثير... وتلك ميزة للغتنا الشاعرة؛فإنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت، اتّفق أو تقارب المعنى، والعكس بالعكس..!(6)

هذا بخلاف اللّغات الأخرى؛ فإننا نجد فيها كلمات لا يوجد ما يدل على أنها من أصل واحد مع تقاربها في الحروف، مثل كلمتا : canine وchien في الفرنسية؛ إذ المعنى مختلف بينهما تماما، فالأولى بمعنى (عادات) والثانية بمعنى (كلب).

كذلك نجد كلمات ذات أصل معنوي واحد، غير أنها لا تشترك في المادّة، مثل كلمتا : capitaine (رئيس فريق كرة) و chef (رئيس حكومة)، لهما أصل معنوي واحد هو الرئاسة، ولا يشتركان في مادّة واحدة — فحروف كل منهما تختلف عن حروف الأخرى — مع أنّهما يرجعان إلى كلمة : caput اللاتينية ومعناها (الرأس).(7)

كذلك لفظ (الصديق) في العربية من الصدق و(العدوّ) من العدوان، في حين أنّ كلمة : ami = صديق في الفرنسية وهي مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبّة وennemi عدوّ لفظ مركب يفيد نفي المحبّة أي بمعنى البغض. فالمفهوم العربيّ للصداقة مبنيّ على الصدق وللعداوة على العدوان، على حين

أنّه عند الفرنسيين مبنيّ على أساس الحبّ والبغض.. !(8)

من هنا، فإنّ اللّغة العربيّة ــ كما يقول الأستاذ العقّاد ــ : تعتبر في مقدّمة اللّغات جميعاً، تعبيرا ودلالة، وتصويراً للمجتمع الذي لهج ــ ويلهج ــ بها ؛ ففي ألفاظها التي قطعت الأزمان التاريخية المتطاولة ما يدلّ على أصلهم وتاريخهم وعقليّتهم، فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة. فالكتابة والشكل : بمعنى القيد. والرسم : أثر خطو الابل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم، والبلاغة : من الوصول إلى غاية المسير، والفصاحة : من اللّبن الفصيح الذي زال رغوه، والدّلالة للقافلة كالدّلالة في الكلام..(9)

وتلك صورة من صور التمام اللّغوي الذي اتسمت به لغتنا الخالدة، ولم يكن هذا التمام الكلّي الشّمولي الجامع للّغة العربيّة ناجما عن تطوّر تكاملي تدريجيّ مُتنام، استغرق أزماناً تاريخيّة مديدة، كما لم يكن ناتجاً عن عمل تشكيليّ مصنوع، نشأ على أيدي علماء اللغة ؛ وإنّما كان شيئاً ذاتيا مطبوعاً، فطرتْ عليه هذه اللّغة منذ أن وُجدتْ، ولازمها طوال حياتها، وسيكون ملازماً إيّاها أبد الآبدين..(10)

* * *

الهوامش

(1) إسماعيل العرفي : اللّغة العربيّة..أمّ اللّغات ولغة البشريّة. ص11 ــ بتصرف يسير ــ ط. أولى ــ دار الفكر بدمشق1406 هـ.
(2) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربيّة..خصائصها وسماتها. ص6، 175، 176ــ بتصرّف. ط3 ــ مطبعة الحضارة العربية 1406 هـ.
(3) العلاّمة ابن جنّي : الخصائص 2 / 135، 136 ــ بتصرّف ــ تحقيق.محمد علي النجّار. ط2ــ دار الهدى بيروت.
(4) المصدر السابق : 2 / 134.
(5) د.عبد الغفّار هلال : اللّغة العربيّة ..خصائصها وسماتها. ص7 ــ بتصرّف..
(6) انظر : المرجع السّابق : ص 178 وهامشها.
(7) نفس المرجع : ص7، 178 وهامشها. وراجع : خصائص العربيّة ومنهجها الأصيل : د.محمد المبارك. ص 29. تجد مزيداً من التفصيل.
(8) د.محمد المبارك : فقه اللّغة. ص 138. ط. جامعة دمشق 1379 هـ.
(9) عباس محمود العقّاد : اللّغة الشّاعرة. ص 42. ط. مصر1960 م.
(10) إسماعيل العرفي : اللّغة العربيّة.. أم اللّغات ولغة البشرية. ص 15.

الأصل في الفعل الماضي سكون آخره(*)

د. داود عبده

تمهيد

يرى النحويون أن الفعل الماضي يبنى على السكون إذا اتصلت به لواحق (suffixes) معينة، كما في **ذهبْت وذهبْنا وذهبْتم**، ويبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة، وعلى الفتح إذا اتصلت به تاء التأنيث أو ألف الاثنين أو لم يتصل به شيء (من اللواحق الدالة على الفاعل).

ويتضح من أقوال النحويين أن الأصل في الفعل الماضي أن ينتهي بفتحة، لأن هذه هي حركة آخره إذا لم يتصل به شيء.

وغاية هذه المقالة إثبات أن الأصل في الفعل الماضي هو السكون(1)، أي عدم وجود فتحة (أو أي حركة أخرى) في آخره، وإن الحركات التي تظهر في آخره هي إما لواحق، أو أجزاء من لواحق، تدل على الفاعل. أي أن أفعالا مثل **ذهبْت وذهبْن وذهبْتم**، بسكون الباء، جاءت على أصلها، وإن تقسيم اللواحق الدالة على الفاعل إلى ثلاثة أنواع لا مبرر له.

ولكي نصل إلى مثل هذا الاثبات، فإن علينا تفسير اللواحق التي تتصل بصيغ الفعل الماضي المختلفة.

لواحق الفعل الماضي :

يتصل بالفعل الماضي لواحق تدل على الفاعل، مثل «ألف الاثنين» في **ذهبا**، و«واو الجماعة» في **ذهبوا**. و«نون النسوة» في **ذهبْن**، و«تاء المتكلم» في **ذهبْتُ** الخ. وقد يلي اللاحقة التي تدل على الفاعل لاحقة أخرى تدل على المفعول، مثل **نا** في **أكرمونا**، و**هم** في **أكرمتهم** الخ.

(*) ألقيت هذه المقالة في الندوة الوطنية الأولى لتدريس اللغات في الكويت (1985)، وقد أجري عليها بعض التعديل.

ولا بد من التمييز بين هذين النوعين من اللواحق لوجود فرق جوهري بينهما. فالنوع الثاني ضمائر متصلة، في حين أن النوع الأول ليس كذلك، بل علامات مطابقة. فـ «واو الجماعة» و«ألف الاثنين» و«نون النسوة» الخ لا تختلف عن تاء التأنيث، كما لاحظ بعض اللغويين القدماء، وبالتالي لا يجوز اعتبارها فاعلين(2). وهذه اللواحق لا تختلف في وظيفتها عن السوابق (prefixes) التي تقع في أول الفعل المضارع (حروف المضارعة). فكما لا يجوز اعتبار أ في **أذهب**، أو نـ في **نذهب أو**تـ في **تذهب** ــ بصرف النظر عن أصلها التاريخي ــ ضمائر متصلة، فكذلك لا يجوز اعتبار ما يقابلها في الماضي (**تُ ونا وتَ**) ضمائر متصلة.

ولكن ماذا عن الفتحة التي تظهر في آخر **ذهبَ أو أكرمَ** ؟ وما علاقتها باللواحق التي ذكرناها ؟ لقد اعتبرها النحويون جزءاً من الفعل، كما أشرنا، في حين أنها ليست سوى لاحقة من النوع الأول، أي علامة مطابقة تدل على الفاعل، كبقية اللواحق الأخرى الدالة على الفاعل. فكما تدل الألف في **ذهبا** على المثنى (المذكر الغائب)، فكذلك تدل الفتحة على المفرد (المذكر الغائب)(3). ولعل السبب في اعتبار القدماء الفتحة جزءا من الفعل أنهم لاحظوا وجود هذه الفتحة في مثل **ذهب الولدان وذهب الأولاد**، رغم أن الفاعل ليس مفرداً. غير أن هذه الظاهرة يمكن تفسيرها في نطاق قواعد المطابقة في العربية. فقواعد المطابقة في العربية تدل على أن المطابقة بين الفعل والفاعل ليست تامة في جميع الأحوال. فهناك علامات مطابقة تميز بين المذكر والمؤنث في الغائب والمخاطب، ولكن مثل هذه العلامة غير موجودة في المتكلم (**ذهبتُ**). وكذلك هناك علامات مطابقة تميز بين المثنى والجمع في الغائب والمخاطب ولكنها غير موجودة في المتكلم (**ذهبنا**). وكما أن علامات المطابقة غير مطردة بالصورة السابقة، فكذلك هي غير مطردة فيما يتعلق بموقع الفعل والاسم. فعندما يقع الفعل بعد الاسم فإنها تكون أكثر اطرادا. فالمطابقة تكون تامة، تذكيرا وتأنيثا، وإفرادا وتثنية وجمعا، عندما يقع الفعل بعد الاسم ولكنها تقتصر على التذكير والتأنيث عندما يقع الفعل قبل الاسم، كما هو معروف(4) :

ذهب الولد / الولد ذهب

ذهب الولدان / الولدان ذهبا

ذهب الأولاد / الأولاد ذهبوا

ذهبت البنت / البنت ذهبت

ذهبت البنتان / البنتان ذهبتا

ذهبت البنات / البنات ذهبن

وباعتبار الفتحة علامة مطابقة تدل على المذكر المفرد الغائب، كبقية العلامات الأخرى يصبح من السهل إثبات أن الفعل الماضي نفسه لا ينتهي بحركة، وإن الحركات التي تظهر بعد لام الفعل ليست جزءا منه، كما سنرى.

وقد تبدو مسألة اعتبار الفتحة جزءا من الفعل أو لاحقة تليه مسألة هامشية ليس لها قيمة، وإن الخلاف حولها شكلي. غير أن هذه المسألة في الواقع مهمة على مستويين :

وكذلك حدث حذف مشابه في بعض صيغ الفعل الماضي المزيد. فالأصل أن تضاف السابقة (prefix) إلى جذع الفعل المجرد كاملا :

أحضر : ءَ + حَ ضَ رَ ← ءَ ح ضَ رَ

أعلم : ءَ + عَ لِ مَ ← ءَ ع لَ مَ [7]

غير أن هناك أمرين ملازمين لهذا الحذف في العربية الفصحى سواء أكان ذلك في الماضي أم المضارع :

الأول : إن الحذف يحدث عند إضافة سابقة لجذع الكلمة، في حين أنه لا يحدث عند إضافة لاحقة، كما هو واضح من أمثلة مثل **ضَرَبَكَ وضَرَبَهُ**. فمن الملاحظ أن العلل الأربع تبقى حينئذ جميعا دون حذف. بل إنّ إضافة اللاحقة **هما** إلى الفعل، حيث تصبح الكلمة مؤلفة من خمسة «أحرف متحركة» (فالألف ليست سوى فتحة طويلة)، لا يؤدي إلى حذف أي من الحركات : **ضَرَبَهُما** (ض ـَ ر ـَ ب ـَ هـ ـُ م ـَ ـَ)[8].

الثاني : العلة التي تحذف هي العلة الأولى في جذع الكلمة («حركة فاء الفعل») وليست العلة الثالثة («حركة لام الفعل»).

ومن هنا فإن سكون لام الفعل لا يمكن أن يكون للسبب الذي ذكره قطرب. فتفسير هذا السكون على أنه حذف للفتحة لأن العربية لا تجيز «أربعة أحرف متحركة» متوالية في الكلمة لا يقوم على أسس قوية، أولاً لاختلاف موقع الحركة المحذوفة، وثانيا لأنها لا تحذف عند إضافة اللواحق.

ولم تفت بعض قدماء اللغويين ملاحظة وجود «أربع حركات متواليات» في مثل **ضَرَبَكَ و ضَرَبَهُ**، غير أنهم برروا ذلك (ضمنا) بأن ضمير المفعول ليس جزءا من الكلمة، بخلاف «ضمير الفاعل». فقد ورد في **الانصاف** (ابن الأنباري، 1961، ج1 : 79) :

«... يسكن لام الفعل إذا اتصل به ضمير الفاعل، نحو **ضربْتَ وذهبْتَ** لئلا يجتمع في كلامهم أربع حركات متواليات في كلمة واحدة، ولولا أن ضمير الفاعل بمنزلة حرف من نفس الفعل وإلا لما سكنت لام الفعل لأجله».

وأجدني أخالف ابن الانبارى في مسألتين : الأولى اعتباره اللواحق الدالة على الفاعل ضمائر، فهي، كما أشرت سابقا، ليست سوى علامات مطابقة، والثانية اعتباره الفعل والفاعل بمنزلة ما يسمى في علم اللغة «مكونا جمليا» (constituent) واحدا، فقد ناقشت في موضع آخر (عبده، 1983) هاتين النقطتين، وقدمت بعض الأدلة التي تؤيد اعتبار الفعل والمفعول به ــ لا الفعل والفاعل ــ مكونا جمليا واحدا. وإذا كان وجود أربع «حركات متواليات» في مثل **ضَرَبَكَ** وخمس «حركات متواليات» في مثل **ضَرَبَهُما** لا يكفي للدلالة على أن سكون لام الفعل الماضي في مثل **ضربْتَ** لم ينتج عن حذف الفتحة، فإن ما يدل دلالة حاسمة على ذلك هو وجوب تسكين لام الفعل في صيغ الماضي التي لا تتوالى فيها أربع حركات. فإذا كان هناك مبرر لسكون اللام في مثل **قبلْتَ**، فما المبرر لسكون اللام في مثل **أقبلْتَ واستَقبلْتَ وتَقَبَّلْتَ**، حيث لا ينتج عن بقاء الفتحة أربعة «أحرف متحركة» متوالية أو أربع «حركات متواليات» ؟!

إن وجوب السكون في أمثلة كالسابقة لا يدع مجالا للشك في أن سكون آخر الفعل الماضي أصلي وليس طارئا، وأنه لا علاقة له ألبتة بمنع توالي أربع حركات.

وكذلك لو كان الأصل في الفعل الماضي وجود فتحة في آخره لما كان هناك تفسير للصورة الملفوظة لأفعال مثل **أَلْقَيْتَ واستغنيْتم**. فلو كان أصل **أَلْقَيْتَ : أَلْقَيَتَ**، بفتح الياء، وأصل **اسْتَغْنَيْتُم : اسْتَغْنَيَتُم**، بفتح الياء، لحولتهما القواعد الصوتية إلى ***ألقاتَ**(5) و***استغناتُم**، على التوالي. فوجود فتحة بعد شبه العلة (الياء)، يتطلب حذف الياء لوقوعها بين فتحتين (مما ينتج ألفا من الفتحتين المتواليتين). قارن :

ألقى : ءـَ ل قـَ ى ـَ ← ءـَ ل قـَ ـَ

ألقاك : ءـَ ل قـَ ى ـَ ك ـَ ← ءـَ ل قـَ ـَ ك ـَ

ألقيْتَ : ءـْ ل قـَ ي تـَ ← ءـَ ل قـَ ي تـَ (تبقى دون تغير).

وجدير بالذكر أن بعض اللغويين القدماء لاحظوا ضعف حجة توالي الحركات. فقد حاول ابن مالك تبرير سكون آخر الفعل الماضي في مثل **ضربْتَ وأكرمْنا** بطريقة أخرى، فقد جاء في **الهمع** (السيوطي، 1975، ج1 : 197) :

«وعلة الاسكان عند الأكثر كراهة توالي أربع حركات فيما هو كالكلمة الواحدة لأن الفاعل كجزء من فعله... وضعّف ابن مالك هذه العلة بأنها قاصرة إذ لا يوجد التوالي إلا في الثلاثي الصحيح وبعض الخماسي...وإنما سببه تمييز الفاعل من المفعول في نحو **أكرمْنا وأكرمَنا**، ثم حملت التاء والنون على **نا** للمساواة في الرفع وعدم الاتصال والاعتلال».

غير أن تبرير ابن مالك ليس أوفر حظا من التبرير السابق، فيما أرى. فاللغات مملوءة بالكلمات والتراكيب التي تؤدي أكثر من معنى دون أن ينتج عن ذلك تغيير يمنع اللبس. فالعربية، مثلا، لا تميز بين صيغة اسم الفاعل وصيغة اسم المفعول في مثل **محتل**، مثلا، أو **مختار**. فلم تصبح **محتَلّ** (اسم الفاعل) ***محتِلّ** (بكسر التاء) تمييزها من **محتَلّ** (بفتح التاء) الدال على اسم المفعول. ولم تصبح **مختار** (اسم الفاعل) ***مختير** تمييزها من **مختار** الدال على اسم المفعول.

وكذلك لم يحدث أي تغير في صيغة **أفعل** (الفعل الماضي) أو **أفعل** (أفعل التفضيل) للتمييز بين كلمتين مثل **أغنانا** (جعلنا أغنياء) **وأغنانا** (الأغنى بيننا).

ومن الصيغ التي لكل منها أكثر من معنى :

1 ــ صيغة **فعيل** الدالة على اسم الفاعل أو اسم المفعول.

2 ــ صيغ تدل على المثنى أو الجمع (**عيدان** : مثنى **عيد** أو جمع **عود**، **خُرْصان** : مثنى **خُرْص** أو جمعه).

3 ــ صيغ تدل على المؤنث المفرد أو الجمع (**جوعى، سكرى**).

4 ــ صيغ تدل على الجمع أو المصدر (**خِلال** : جمع **خلّة** أو مصدر **خالّ**).

5 ــ صيغ تدل على اسم المفعول من المزيد أو المصدر الميمي (**مُدْخل، مُستقْبَل**، بضم الميم وفتح ما قبل الآخر).

6 ــ صيغ تدل على مصادر أو أسماء (**قلْب، ضرْب، فصْل**).

كذلك لم تحل خشية اللبس دون حذف الحركة الأخيرة للوقف (أو غير ذلك من التغيرات التي تحول دون تمييز معنيين مختلفين) بحيث أصبح التمييز بين المعنيين المختلفين لمثال كالتالي يعتمد على السياق :

كتبْتْ (بسكون التاء : أنا أو أنت)

بل إن خشية اللبس لم تحل دون تطبيق قواعد صوتية يؤدي تطبيقها إلى الاعتماد على السياق وحده لفهم المقصود :

فتطبيق قاعدة إضافة كسرة لمنع توالي ثلاثة صحاح (منع «التقاء الساكنين» حسب تعبير القدماء) في مثل **اكتب المقال**، وتطبيق قاعدة تقصير العلة (الحركة) الطويلة لوقوعها قبل صحيحين متواليين (أي قبل ساكن» حسب تعبير القدماء) في مثل **اكتبي المقال** يؤدي إلى لفظ العبارتين السابقتين بصورة واحدة تجعل سامع غير قادر على تمييز المذكر من المؤنث :

ءـُ ك ت ـُ ب ـِ ل م ـَ ق ـَ ـَ ل ـَ (ـَ ـَ = ألف)

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تختار اللغة العربية إجراء تغيير في حالة واحدة محددة دون هذه الحالات الكثيرة ؟ !(15)

لكل هذا أرى أن التفسير العلمي المقبول لسكون آخر الفعل الماضي في مثل **ضربْتَ وأكرمْنا وذهبْتم** إن هذه الأفعال جاءت على أصلها، وإن الفتحة أو الضمة التي تظهر في مثل **ذهَبَ وذهَبَتْ وذهبوا** هي علامات مطابقة أو أجزاء من علامات المطابقة.

سكون آخر الفعل من الناحية التعليمية :

إذا اعتبرت الفتحة في نهاية الفعل الماضي جزءا من الفعل نفسه، أي «حركة لام الفعل»، فإن هذا يترتب عليه مايلي :

1 ــ **تقسيم اللواحق التي اعتبرناها ــ كما اعتبرها بعض اللغويين القدماء ــ علامات مطابقة إلى أنواع، دون مبرر :**

ا ــ **لواحق لا تحذف معها «حركة لام الفعل»، مثل تاء التأنيث.**

ب ــ **لواحق تحذف معها «حركة لام الفعل»، مثل «تاء المتكلم» و«تاء المخاطب» و«نون النسوة».**

ج ــ **لاحقة تحل فيها الضمة محل الفتحة، وهي «واو الجماعة».**

2 ــ عدم وجود تفسير علمي مقبول لحذف الفتحة عند اتصال الفعل بلاحقة من النوع (ب) كما ذكرنا سابقا.

3 ـــ عدم وجود تفسير علمي مقبول لتحول الفتحة إلى ضمة عند اتصال الفعل بواو الجماعة، إذ من الطبيعي أن تلفظ **ذهب** + و، مثلا : *ذهَبَوْا (بفتح الباء) وليس **ذهبوا** (بضمها). قارن : **دعَوْا، رَمَوْا، ألقوْا.**

4 ـــ عدم وجود تفسير علمي مقبول لعدم تحول أفعال مثل **ألقيْتَ واستغنيْتم** إلى ***القاتَ و*استغناتم**، كما ذكرنا سابقا. قارن : **دعا، دعاك، القى، القاه.**

5 ـــ التمييز دون مبرر بين علامة التأنيث في الفعل الماضي وعلامة التأنيث في الأسماء والصفات، فهي (حسب هذا الرأي) تاء فقط في الفعل، في حين أنها فتحة وتاء في الأسماء والصفات، كما سنرى.

6 ـــ التمييز دون مبرر بين علامة جمع المذكر في الفعل وعلامة جمع المذكر في الأسماء والصفات، فهي (حسب هذا الرأي) واو فقط في الفعل، في حين أنها ضمة وواو في الأسماء والصفات، كما سنرى.

أما إذا اعتبرت الفتحة في نهاية الفعل الماضي علامة مطابقة للمفرد المذكر الغائب، فإن تدريس تصريف الفعل يصبح أمرا سهلا، ويصبح لكل التغيرات التي **تبدو كأنها** تصيب آخر الفعل تفسير واضح مقبول على المستويين العلمي والتعليمي على السواء. أقول «تبدو كأنها» لأن آخر الفعل في الواقع لا يتغير. فالحركات التي تلي لام الفعل ليست سوى علامات مطابقة أو أجزاء من علامات المطابقة. ولكي تظهر هذه المسألة بجلاء فسأكتب الأمثلة التالية كتابة صوتية (حيث تظهر جميع رموز الأصوات، بما فيها الحركات) وأفصل بين الفعل واللاحقة بعلامة زائد (+) لتوضيح تركيب الكلمة. وسأكتفي بأمثلة من الفعل من المتكلم والغائب (لأن أمثلة المتكلم تغني عن أمثلة المخاطب) :

(أنا) **ذهبْتُ** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ت ـُ

(نحن) **ذهبْنا** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ن ـَ ـَ [11]

(هو) **ذهبَ** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ـَ

(هما) **ذهبا** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ـَ ـَ

(هم) **ذهبوا** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ـُ و[12]

(هي) **ذهَبَتْ** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ـَ ت

(هما) **ذَهَبَتا** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ـَ ت ـَ ـَ

(هنّ) **ذهبْنَ** : ذ ـَ هـ ـَ ب + ن ـَ

ويتضح من الكتابة الصوتية للأمثلة السابقة :

1) أن علامة المذكر المفرد الغائب هي فتحة.

2) وأن علامة المذكر المثنى الغائب هي فتحة طويلة أي ألف (وليست فتحة وألف)[13].

3) وأن علامة المفرد المؤنث الغائب هي فتحة وتاء (ـَ ت)، لا تاء فقط كما يوحي التعبير «تاء التأنيث». ويؤيد هذا أن علامة التأنيث في الأسماء والصفات هي أيضا فتحة وتاء (رغم أن هذه التاء تكتب «مربوطة» في الكتابة العادية)[14]، كما يتضح من مقارنة المذكر مع المؤنث في الأمثلة التالية :

ملكٌ : م ـَ ل ـِ ك + ـُ ن[15]

ملكةٌ : م ـَ ل ـِ ك + ـَ **ت** + ـُ ن

فرِحٌ : ف ـَ ر ـِ ح + ـُ ن

فرِحةٌ : ف ـَ ر ـِ ح + ـَ **ت** + ـُ ن

4) وأن علامة جمع المذكر الغائب هي ضمة وواو (تصبحان معا ضمة طويلة بقاعدة صوتية)، وليست واوا فقط كما يوحي التعبير «واو الجماعة». ويؤيد هذا أن علامة جمع المذكر في الأسماء والصفات هي أيضا ضمة وواو، كما يتضح من مقارنة المفرد مع الجمع في الأمثلة التالية :

معلِّم : م ـُ ع ـَ ل ل ـِ م

معلِّمون : م ـُ ع ـَ ل ل ـِ م + ـُ و(+ ن ـَ)[16]

فرِحٌ : ف ـَ ر ـِ ح

فرِحون : ف ـَ ر ـِ ح + **ـُ و** (+ ن ـَ)[17]

5) وأن المؤنث الغائب **ذهبتا** يحتوي على علامتي مطابقة متواليتين،هما علامة التأنيث (ـَ ت) وعلامة التثنية (ـَ ـَ) :

ذهبتا : ذ ـَ هـ ـَ ب + ـَ **ت** + ـَ ـَ

وهذا ينطبق أيضا على الأسماء والصفات :

ملكتان : م ـَ ل ـِ ك + ـَ **ت** + ـَ ـَ (+ ن ـِ)

فرِحتان : ف ـَ ر ـِ ح + ـَ **ت** + ـَ ـَ (+ ن ـِ)

وهذا الحل، أعني اعتبار صيغة الفعل نفسها ساكنة الآخر، يفسر عدم تحول **ألقيت** إلى **ألقات**، ويبين الفرق بين **ألقينا** و**ألقانا**. فكلمتا **ألقيْتُ** و**ألقيْنا** جاءتا على أصلهما لعدم وجود مبرر لحذف الياء :

ءـَ ل ق ـَ ي + ت ـُ ← ءـَ ل ق ـَ ي ت ـُ
ءـَ ل ق ـَ ي + ن ـَ ـَ ← ءـَ ل ق ـَ ي ن ـَ ـَ

فكل منهما تتألف من صيغة الفعل الساكنة الآخر وعلامة المطابقة الدالة على المتكلم (المفرد في الحالة الأولى والجمع في الحالة الثانية)، تماما كما في **ضربْتُ** و**ضربْنا** :

ض ـَ ر ـَ ب + ت ـُ ← ض ـَ ر ـَ ب ت ـُ
ض ـَ ر ـَ ب + ن ـَ ـَ ← ض ـَ ر ـَ ب ن ـَ ـَ

أما **ألقانا** فهي تتألف من ثلاثة أجزاء : صيغة الفعل الساكنة الآخر، وعلامة المطابقة (الفتحة) الدالة على الفاعل، والضمير المتصل (نا) الدال على المفعول به. وهي بهذا لا تختلف، من حيث التركيب من هذه الأجزاء، عن **ضرَبَنا** (بفتح الباء) أو **ضربَتْنا** أو **ضربونا** أي أن أصلها **ألقَيَنا** (بفتح الياء)

ء ـَ ل ق ـَ ي + ـَ + ن ـَ ـَ
ض ـَ ر ـَ ب + ـَ + ن ـَ ـَ
ض ـَ ر ـَ ب + ـَ ت + ن ـَ ـَ
ض ـَ ر ـَ ب + ـُ و + ن ـَ ـَ

أما لماذا تحولت **ألقَيَنا** (بفتح الياء) إلى **ألقانا**، فلأن قاعدة صوتية في العربية سبقت الاشارة إليها حذفت الياء لوقوعها بين فتحتين، فنتج من الفتحتين ألف (فتحة طويلة)، كما حدث في **ألقى** و**ألقت** و**دعا** و**دعت** الخ :

ء ـَ ل ق ـَ ي + ـَ ← ء ـَ ل ق ـَ ـَ
ء ـَ ل ق ـَ ي + ـَ + ن ـَ ـَ ← ء ـَ ل ق ـَ ـَ ن ـَ ـَ
ء ـَ ل ق ـَ ي + ـَ ت ← ء ـَ ل ق ـَ ـَ ت
← ء ـَ ل ق ـَ ت

وهذه القاعدة لا تنطبق على **ألقيْت** و**ألقيْنا** الخ لأن شبه العلة (الياء) ليست متلوة بعلة قصيرة، ومن هنا فإنهما بقيتا على أصلهما، كما سبق أن أشرنا.

ويلاحظ من المقارنة بين **ألقيْنا** و**ألقانا** أن علامة المطابقة نا للمتكلم الجمع والضمير المتصل نا، لهما صورة لفظية (وكتابية) واحدة، بخلاف علامات المطابقة الأخرى وما يقابلها من الضمائر المتصلة، وهو أمر يجب أن ينظر إليه من الناحية التعليمية ــ لا من الناحية التاريخية ــ على أنه مجرد مصادفة، كما يوضح الجدول التالي :

الضمير المنفصل	علامة المطابقة	الضمير المتصل
أنا	ت ـُ	ن ـِ ي (مع الأفعال وبعض الأدوات) ـِ ي (مع الأسماء وبعض الأدوات)
نحن	ن ـَ ـَ	ن ـَ ـَ
هو	ـَ	هـ ـُ (18)
هما (مذكر)	ـَ ـَ	هـ ـُ م ـَ ـَ (19)
هم	ـُ و	هـ ـُ م
هي	ـَ ت	هـ ـَ ـَ
هما (مؤنث)	ـَ ت ـَ ـَ	هـ ـُ م ـَ ـَ
هن	ن ـَ	هـ ـُ ن ن ـَ
الخ		

ولكن رغم أن **نا** في **ألقينا** لا تختلف في صورتها اللفظية عن **نا** في **ألقانا** إلا أن من الضروري التمييز بينهما بنفس الطريقة التي نميز بها بين **تـُ** و **ني**، أو **ـَت** و**ها** الخ.

ولعل أهم ما يمكن استخلاصه من الجدول السابق هو أن علامات المطابقة من حيث تركيبها الصوتي، ليست كلها مبدوءة بصوت صحيح. فعدم ملاحظة النحويين إلى أن بعض علامات المطابقة تبدأ بحركة، أو تتألف كليا من حركة (قصيرة أو طويلة)، هو الذي أدى إلى اعتبارهم تلك الحركات جزءا من الفعل[20].

وباتضاح هذه المسألة يتضح أن الأصل في الفعل سكون آخره[21]. ويتضح أن تقسيم الكلمة الفعلية إلى عناصرها الثلاثة : جذع الفعل وعلامات المطابقة والضمائر المتصلة[22]، يجعل عملية التدريس واضحة وسهلة.

* * *

الحواشي :

(1) أشار بعض اللغويين القدماء إلى أن الأصل في الفعل الماضي أن يسكن آخره، ولكنه حرك لأنه ينعت به كما ينعت بالمضارع .واسم الفاعل وغيرهما، وهي حجة غير مقبولة علميا. فقد ورد في **المقتضب** (المبرد،1963 : ج2 : 2 ــ 3) :

«وكان حق كل مبني أن يسكن آخره، فحرك هذا(يقصد الفعل الماضي) لمضارعته المعربة، وذلك لأنه ينعت بها. تقول : **جاءني رجل ضربَنا**، كما تقول : **هذا رجل يضربنا، وضاربنا**. ويقع موقع المضارعة في الجزاء في قولك : **إن فعلْتَ فعلْتُ**، فالمعنى : **إن تفعلْ أفعلْ**. فلم يسكنوه كما لم يسكنوا من الأسماء ما ضارع المتمكن ....»

(2) انظر : السيوطي، 1975، ج 1 : 95. وانظر أيضا برجشتراسر، 1982 : 80 ــ 81، وعبده، 1973 : 69 ــ 77.

(3) سقطت هذه الحركة في اللهجات المحلية المعاصرة، فأصبحت علامة المفرد المذكر الغائب عدم وجود علامة أخرى (أي علامة صفرية، كما سماها بعض اللغويين). وقد سقطت في اللهجات المعاصرة كذلك الحركة الأخيرة في علامتي المطابقة الدالتين على المتكلم المفرد والمخاطب المذكر المفرد، مما جعل التمييز بين **سافرتْ**(أنا)و**سافرتْ** (أنت) يعتمد على السياق.

(4) الاطراد في المطابقة كان موجودا في بعض اللهجات القديمة التي اعتبرت فصيحة. ومن أمثلتها في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر :

«وأسروا النجوى الذين ظلموا» (الأنبياء : 3)

«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» (ابن عقيل،1959، ج 1 : 271)

«كنّ أزواجُ النبي صلى الله عليه وسلم عنده»... (النووي، 1970 : 292)

«يلومونني في اشتراء النخيل أهلي»... (ابن عقيل، 1959، ج 1 : 269)

«رأين الغواني الشيب لاح بعارضي»... (ابن عقيل، 1959، ج 1 : 270)

وانظر أيضا : الراجحي، 1968 : 187 ــ 188.

(5) على اللغوي أن يفسر لماذا تختلف صورة الكلمة، أحيانا، باختلاف المجالات اللغوية التي تقع فيها، ويبين أي هذه الصور هي الأصل، ويحدد القواعد التي حولت الأصل إلى الصور الملفوظة. فلكلمة، مد، مثلا، صورتان إحداهما بالتشديد (حيث تتوالى الدالان دون وجود علة قصيرة بينهما)، كما في **مدّت ومدّا ومدّوا**، والأخرى بـ **«فك الأدغام»** (حيث تظهر علة قصيرة بين الدالين)، كما في **مَدَدْت ومَدَدْتم ومَدَدْن**. قارن : **مدّت (م ـَ د د ـَ ت) / مَدَدْن (م ـَ د ـَ د ن ـَ)**.

فالتفسير العلمي المقبول في هذه الحالة هو أن **مَدَدَ** هي الأصل، وقد حذفت الفتحة بقاعدة صوتية يمكن صياغتها كما يلي :

تحذف العلة القصيرة الواقعة بين صحيحين مثلين (دالين أو باءين أو سينين الخ) إذا لم يؤدّ حذفها إلى توالي ثلاثة صحاح متوالية («التقاء ساكنين» حسب تعبير القدماء). أما إذا كان حذف العلة القصيرة الواقعة بين الصحيحين المثلين يؤدي إلى توالي ثلاثة صحاح فيقلب مكانها مع الصحيح الأول من الصحيحين المثلين إذا لم يؤدّ هذا القلب المكاني بدوره إلى توالي ثلاثة صحاح. وإلا فإنها تبقى مكانها دون حذف. قارن :

مَدَّتْ : م ـَ د ـَ د ـَ ت ← م ـَ د د ـَ ت (تحذف الفتحة)

استمدَّتْ : س ت ـَ م د ـُ ـَ د ـَ ت ← س ت ـَ م ـَ د د ـَ ت (قلب مكاني)

يَمُدُّ : ي ـَ م د ـُ د ـُ ← ي ـَ م ـُ د د ـُ (قلب مكاني)

مَدَدْنَ : م ـَ د ـَ د ن ـَ ← م ـَ د ـَ دن ـَ (تبقى العلة القصيرة مكانها)

(6) لابد من التمييز بين الجذع (stem) والجذر (root) لأن الأول يحتوي على علل (حركات) والثاني يتألف من صحاح فقط.

(7) تصبح «حركة لام الفعل» فتحة (**بقاعدةصرفية**) في جميع الأفعال المزيدة :

ء ـَ ع ـَ ل ـِ م ـَ ← ء ـَ ع ل ـَ م ـَ

ء ـَ ك ـَ ر ـُ م ـَ ← ء ـَ ك ر ـَ م ـَ

(8) ـَ ـَ = فتحة طويلة (ألف).

(9) «النجمة» التي تقع قبل الكلمة (أوالجملة) تدل على أنها غير صحيحة.

(10) التغيرات الصوتية التي حدثت في بعض اللهجات المعاصرة أدت إلى أمثلة لا حصر لها من التطابق اللفظي لصيغ تختلف في المعنى أو لكلمات كانت في الأصل مختلفة. من ذلك ــ على سبيل المثال ــ كلمات مثل :

بلدي (**بلد** + ياء المتكلم أو**بلد** + ياء النسبة)

سافِرْ (فعل ماض أو فعل أمر في بعض اللهجات المصرية)

ضَرْبي (**ضَرْب** + ياء المتكلم أو**ضَرْبة** في بعض اللهجات اللبنانية)

جَبَل، **حَمَل** الخ (فعل أو اسم)

أَيَدْ، **أَشَرْ** الخ (بالقاف في الأصل أو الهمزة في كثير من اللهجات المعاصرة)

وقس على ذلك أمثلة كثيرة نتجت من تحول الثاء والذال والظاء إلى نظائرها من الأصوات غير المستمرة (التاء والدال والضاد) أو نظائرها من الأصوات الصفيرية (السين والزاي والزاي المفخمة أو المطبقة)، ومن تحول الضاد إلى ظاء الخ.

(11) يمكن أن يكتب رمز الفتحة الطويلة (الالف) كما في الكتابة العادية (ن ا) بدل فتحتين (ن ــَ ــَ).

(12) تتحول ــُ و بقاعدة صوتية إلى ضمة طويلة : ــُ ــُ

(13) وبالتالي لا يجوز وضع فتحة على الحرف السابق للألف في الكتابة العادية فكلمة نام، مثلا، يجب أن تكتب دون فتحة على النون، وكلمة **ذهبا** دون فتحة على الباء الخ.

(14) الأصل في التاء أن تكتب «مفتوحة» كما يتضح من كتابة كلمات مثل : **مدينتكم وحديقتان** الخ، ولكنها تكتب «مربوطة» إذا وقعت في آخر الكلمة (**مدينة وحديقة** الخ) لتذكير القارىء بأن عليه تحويلها عند الوقف إلى هاء (**مدينهْ وحديقهْ**). وقد وضع رمز التاء المربوطة (ة) على هذه الصورة لأنه يحتوي على مزيج من رمزي الهاء والتاء، فهو رمز الهاء وفوقه نقطتا التاء. والحقيقة أن التاء لا تتحول عند الوقف إلى هاء ، بل تحذف كليا وتبقى الفتحة وحدها. حاول أن تقرأ عبارة **المدينة الفاضلة**، مثلا، عبارة وقفية وقارنها بعبارة **نبيه الفاضل** تجد أن الأولى تنطق **المدينَلْفاضلة** (دون هاء بعد فتحة النون) والثانية **نبيهِلْفاضل** (بهاء). وإذا كان هناك من يلفظ هاء في مثل **مدينهْ** أو **حديقهْ** أو **فاضلهْ** عند الوقف فإن هذه الهاء مضافة («هاء السكت»، كما في **ماليَهْ وسلطانيَهْ**) وليست محولة عن تاء، إذ ليس هناك أي مبرر صوتي لتحول التاء إلى هاء.

(15) رموز الكتابة العادية للتنوين تمثل صوتين : ــُ ن، ــَ ن، ــِ ن.

(16) ــُ و تصبح ــُ ــُ بقاعدة صوتية كما ذكرنا في الحاشية[10].

(17) أما تحوّل **دَعَوْ** + ــُ و إلى **دَعَوْا** و**رَمَى** + ــُ و إلى **رَمَوْا** الخ، فهو نتيجة لنفس القاعدة الصوتية التي حولت **طَوُلَ** إلى **طالَ** و**خوِف** إلى **خاف** الخ، وهي سقوط شبه العلة (الواو أو الياء) الواقعة بين فتحة سابقة لها وعلة قصيرة أخرى تالية لها، وقاعدة صوتية ثانية معروفة هي تقصير العلة الطويلة (الألف) الناتجة بعد سقوط شبه العلة، أعني القاعدة التي تقصر العلة الطويلة إذا وقعت قبل «ساكن»، أي قبل صحيحين متواليين أو صحيح واحد في آخر الكلمة (غير متلوّ بحركة) :

ط ــَ و ــُ ل ــَ ← ط ــَ ــَ ل ــَ

خ ــَ و ــِ ف ــَ ← خ ــَ ــَ ف ــَ

د ــَ ع ــَ و + ــُ و ← د ــَ ع ــَ و (← د ــَ ع ــُ و)

ر ــَ م ــَ ي + ــُ و ← ر ــَ م ــَ و ــَ (← ر ــَ م ــَ و)

قارن :

دَعَتْ : د ــَ ع ــَ و + ــَ ت ← د ــَ ع ــَ ــَ ت(← د ــَ ع ــَ ت)

رَمَتْ : ر ــَ م ــَ ي + ــَ ت ← ر ــَ م ــَ ــَ ت (← ر ــَ م ــَ ت)

(18) تتحول هـ ــُ إلى هـ ــِ إذا سبقتها كسرة أو ياء. وهذا ينطبق على **هم** و**هما** و**هنّ** كما هو معروف : بِهِ،إليْهِم، فيِهِما الخ.

(19) لاحظ أن الضمير **هُما** يتألف من الضمير **هُم** وعلامة التثنية. وهذا ينطبق أيضا على المثنى في المخاطب، منفصلا ومتصلا (أنتما، كما).

(20) إن هذا الفرق الجوهري بين نوعي اللواحق الدالّة على الفاعل (وهو أن أحدهما يبدأ بعلة (حركة) والآخر يبدأ بصحيح) يفسّر وجود صورتين مختلفتين لبعض صيغ الأفعال. قارن :

(أ) 1 ــ **أقامَتْ** (ءـَ ق ـَـ ـَ م + ـَ ت)

2 ــ **أقَمْتُ** (ءـَ ق ـَـ ـَ م + ت ـُ ← ءـَ ق ـَ م ت ـُ)

تبقى الصورة الأولى (**أقامَتْ**) على أصلها، في حين تقصّر الألف في الصورة الثانية (**أقامْتُ ← أقمْتُ**) لوقوعها قبل صحيحين متواليين فتصبح فتحة.

(ب) 1 ــ **دعا** (د ـَ ع ـَ و + ـَ ← د ـَ ع ـَ ـَ)

2 ــ **دعَوْتُ** (د ـَ ع ـَ و + ت ـُ)

تحذف الواو في الصورة الأولى لوقوعها بين فتحتين (وينشأ من الفتحتين فتحة طويلة، أي ألف)، في حين تبقى الصورة الثانية على أصلها.

(ج) 1 ــ **مَرَّت** (م ـَ ر ـَ ر + ـَ ت ← م ـَ ر ر ـَ ت)

2 ــ **مَرَرْتُ** (م ـَ ر ـَ ر + ت ـُ)

تحذف الفتحة في الصورة الأولى (لوقوعها بين صحيحين مثلين) لأن حذفها لا يؤدي إلى توالي ثلاثة صحاح، في حين تبقى الصورة الثانية على أصلها لأن حذف الفتحة يؤدي إلى توالي ثلاثة صحاح (التقاء ساكنين حسب تعبير القدماء).

أما لماذا لم يلاحظ اللغويون القدماء هذا الفرق بين النوعين من اللواحق رغم أهميته فلأنهم بنوا تحليلاتهم اللغوية على الكتابة العادية التي تظهر فيها الحركات (إذا ظهرت) بطريقة لا تبيّن مواقعها الصحيحة في سلسلة الأصوات التي تتألف منها الكلمة، كما يتضح من مقارنة الكتابة العادية بالكتابة الصوتية في الأمثلة أ ــ ج أعلاه.

(21) رغم أن حديثنا في هذه المقالة اقتصر على مناقشة الفعل الماضي، فإن بإمكاننا أن نقول أن الأصل في الفعل، بجميع صيغه، أن يكون ساكن الآخر، وليس هناك خلاف حول فعل الأمر، فهو مشتق من المضارع المجزوم (انظر : ابن يعيش (دون تاريخ)، 7 : 58، وعبده (1979) : 59 ــ 62). أما الفعل المضارع، فإن ممايؤيد أن الأصل فيه سكون آخره هو عدم ظهور حركة قبل نون النسوة. فلو كان الأصل في الفعل المضارع أن ينتهي بحركة لظهرت هذه الحركة في مثل **يذهبْنَ**، لأن ظهورها لا ينشأ عنه أربع «حركات متواليات». وكذلك لو كان الأصل في الفعل المضارع أن ينتهي بحركة معينة هي الضمة لظهرت هذه الضمة قبل «نون التوكيد» في حالة الرفع. أما الفتحة التي تظهر في مثل **يذهبَنَّ**، فهي جزء من علامة التوكيد ذاتها. فعلامة التوكيد ليست النون وحدها، بل ـَ نّ (**أنَّ** دون همزة).

(22) العنصران الأول والثاني موجودان في جميع الكلمات الفعلية. أما العنصر الثالث (الضمير المتصل الدال على المفعول به)، فقد يكون موجودا وقد لا يكون (قارن : **ضربت / ضربتهم**).

المراجع :

1 ــ ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن. **الأنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1961.

2 ــ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، مكتبة صبيح القاهرة، 1959.

3 ــ ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. **شرح المفصل**، إدارة الطباعة المنيرية القاهرة (دون تاريخ).

4 ــ برجشتراسر، جوتهيلف. **التطور النحوي للغة العربية**، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1982.

5 ــ الراجحي، عبده. **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، دار المعارف، القاهرة،1968.

6 ــ الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن. **الايضاح في علل النحو**، تحقيق مازن المبارك، دار العروبة القاهرة، 1959.

7 ــ السيوطي، جلال الدين. **همع الهوامع**، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم، دار البحوث العلمية، الكويت،1975.

8 ــ عبده، داود. **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، بيروت،1973.

9 ــ عبده، داود. **دراسات في علم أصوات العربية**، مؤسسة الصباح، الكويت،1979.

10 ــ عبده، داود. «البنية الداخلية للجملة الفعلية»، **الأبحاث**، الجامعة الأمريكية بيروت،1983.

11 ــ المبرد، أبو العباس محمد. **كتاب المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة 1386 هـ .

12 ــ النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى. **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، تحقيق عبد الله أبو زينة، دار الشعب، القاهرة، 1970.

* * *

قياس الثنائية اللغوية
وتوظيفه في تعليم اللغة الثانية

دكتور محمد علي الخولي
جامعة الملك سعود

خلاصة

يهدف هذا البحث إلى معرفة طرق قياس الثنائية اللغوية الفردية والثنائية اللغوية المجتمعية وإلى استعراض كيفية توظيف نتائج القياس في تعليم اللغة الثانية.

ولقد تعرض البحث إلى خمسة أنواع من طرق هذا القياس. وهي الاستبيان والاختبار والمقابلة والتقدير الذاتي وتقدير ذوي العلاقة. وعرض البحث أمثلة لاستبيان الوالدين واستبيان اللغات المفضلة واستبيان التعرض اللغوي واستبيان الدوافع واستبيان المواقف واستبيان المردود.

كما تعرض البحث إلى أنواع الاختبارات المتوازية وأعطى مثالا على كل منها لبيان طرق قياس المهارات اللغوية الرئيسية الأربع والمهارات اللغوية الفرعية. وعرض البحث أحد عشر اختبارا خاصا بقياس الثنائية اللغوية. وهي اختبار رد الفعل واختبار اقتران الكلمات واختبار الاستخلاص واختبار القراءة المختلطة واختبار التدخل والاختبار تحت التوتر واختبار التوافق الدلالي واختبار التناوب اللغوي واختبار الاستماع المزدوج واختبار ستروب واختبار قوائم الكلمات.

وعرض البحث أهمية القياس في تعليم اللغة الثانية لأغراض التقييم الذاتي والترفيع والتحليل البندي والتشخيص والتجميع والتوزيع والتنبؤ وتحليل الأخطاء والتحليل التقابلي وتصميم المناهج ورسم السياسة اللغوية وقياس الدوافع وقياس المواقف وقياس المردود.

قياس الثنائية اللغوية
وتوظيفه في تعليم اللغة الثانية

في كثير من الحالات نرغب في قياس الثنائية اللغوية لدى الفرد أو المجتمع. نريد أن نعرف مثلا اللغة المهيمنة لدى الفرد واللغة الأقل هيمنة، أو نريد أن نعرف مدى إتقان الفرد لكل من اللغتين. وقد نريد أن نعرف اللغات المستخدمة في مجتمع ما وحدود استعمال كل لغة ونوع هذا الاستعمال، وهذا ما يدعى بالاحصاء اللغوي العام. فما هي وسائل جمع المعلومات أو ما وسائل قياس الثنائية اللغوية لدى الفرد ولدى المجتمع؟ وكيف يمكن توظيف هذا القياس في خدمة تعليم اللغة الثانية؟

1. أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى الاجابة عن الأسئلة الآتية :

1 ـــ كيف نقيس الثنائية اللغوية لدى المجتمع؟

2 ـــ كيف نقيس الثنائية اللغوية لدى الفرد؟

3 ـــ كيف نوظف نتائج القياس في تعليم اللغة الثانية وتصميم مناهجها؟

2. تعريف المصطلحات :

لابد في هذا البحث من تحديد المقصود ببعض المصطلحات الرئيسية :

1 ـــ الثنائية اللغوية : استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من درجات الاتقان ولأية مهارة من مهارات اللغة ولأي هدف من الأهداف.

2 ـــ الثنائية اللغوية المجتمعية : استعمال

لغتين في مجتمع ما.

3 ــ الثنائية اللغوية الفردية : استعمال فرد ما للغتين.

4 ــ ل 1 : رمز للغة الأولى.

5 ــ ل2 : رمز للغة الثانية.

3. من مشكلات القياس اللغوي :

يمكن أن نقول إن وسائل القياس في حالة الثنائية اللغوية تشبه وسائل القياس في حالة مجالات أخرى عديدة. فهناك الاستبيان، وهناك المقابلة، وهناك الاختبار. وفي كثير من الحالات، وخاصة في الاستبيان والمقابلة، تنشأ مشكلاتٌ منها :

1. التحريف المتعمد. فإذا سئل شخص عن اللغات التي يعرفها فقد يحرف الحقيقة عن طريق زيادة لغات لا يعرفها أو حذف لغات يعرفها. وقد يفعل ذلك طمعا أو خوفا أو لهوا وهزلا أو استهانة بقيمة الاستبيان.

2. غموض «يعرف». إذا سئل الشخص عن اللغات التي يعرفها، فقد يفهم المستجيب أن «يعرف» معناها معرفة كاملة في حين أن الباحث يقصد أية درجة من المعرفة أو درجة معقولة من المعرفة. وقد يفهم المستجيب أن «يعرف» معناها أية معرفة ولو ضئيلة جدا في حين أن الباحث يقصد المعرفة الجيدة التي تصل إلى حد الاتقان.

3. غموض «يتكلم، يقرأ، يكتب». فإذا سألنا عن اللغات التي يتكلمها، فقد يفهم المستجيب من ذلك التكلم المتقن أو البدائي في حين أن الباحث يقصد عكس ذلك. وينطبق الوضع نفسه على كل من القراءة والكتابة.

4. الأسئلة العامة. إن سؤالا من نوع «هل تتكلم لغة كذا؟» سؤال عام لا يفيد الباحث كثيرا. فقد يعني هذا السؤال القدرة على الكلام دون ممارسته في الحياة اليومية. كما أنه لا يدل على كمية الكلام باللغة س مقارنة بالكلام باللغة ص، فقد يتكلم اللغة س بمعدل دقيقة في اليوم أو جملة واحدة في اليوم، وقد يتكلمها بمعدل بضع ساعات أو آلاف الجمل يوميا. إن الجواب بنعم أو لا لمثل هذا السؤال العام لا يعطي إضافة هامة دقيقة في مجال قياس الأداء اللغوي.

وبعبارة أخرى، إن إجابة نعم أو لا ليست هي الاجابة الأفضل في أغلب الحالات. وهذا يستدعي صياغة السؤال بطريقة أخرى تتطلب إجابة متدرِّجة. ففي حالة «يعرف»، يحسن السؤال عن مستوى المعرفة : هل هو ممتاز، جيد جدا، جيد، مقبول، ضعيف، لا يعرف. وفي حالة يتكلم أو يقرأ أو يكتب لغة ما، يحسن السؤال عن مستويات معرفية مماثلة. كما يحسن السؤال عن المستويات الكمية في الاستعمال الفعلي على أساس سُلَّم اختيارات : كثيرا جدا، كثيرا، قليلا، نادرا، أبدا. كما يحسن إعطاء كل اختيار قيمة عددية مثلا (5، 4، 3، 2، 1، صفر) لتوازي (ممتاز، جيد جدا، جيد، مقبول، ضعيف، لا يعرف) على الترتيب، وإعطاء (4، 3، 2، 1، صفر) لتوازي (كثيرا جدا، كثيرا، قليلا، نادرا، أبدا) على الترتيب. هذه القيم العددية تسهل المعالجة الاحصائية للاستجابات وتسهل عملية وصف الاستجابات والتعامل معها ومقارنتها.

ويجب عند إعداد الاستبيانات والمقابلات الانتباه إلى الفروق بين اللغة الأولى واللغة المهيمنة واللغة المفضلة، فهذه المصطلحات ليست مترادفة على الاطلاق. فاللغة الأولى لدى شخص ما هي اللغة التي اكتسبها أولا، وهي اللغة الأم، أي اللغة التي اكتسبها من والديه عادة وهي أول لغة عرفها في حياته منذ ولادته، علما بأنه في بعض الحالات قد يكتسب الطفل لغتين أوليين (2 ل1) كما في حالة الثنائية

اللغوية المتزامنة[1]. ولكن هذه اللغة الأولى قد لا تبقى المهيمنة، بمعنى أن ل1 قد تتراجع أمام ل2. فقد يجد الطفل نفسه في ظروف الهجرة مثلا. فينسى ل1 شيئا فشيئا وتحل ل2 محل ل1 فتصبح ل1 أقل هيمنة وتصبح ل2 هي المهيمنة، أي الأكثر استعمالا والأكثر طلاقة. وهذا لا يعني أن ل1 تفقد الهيمنة في جميع الحالات، إن ل1 قد تتخلى عن الهيمنة للغة 2 في بعض الحالات. وهناك حالات تكون اللغة المفضلة مختلفة عن ل1 وعن ل2. ويقصد باللغة المفضلة اللغة التي يفضل المرء استخدامها في ظرف معين أو مكان معين أو لغرض معين. فقد يفضل الفرد استخدام ل1 في البيت ول2 في العمل ولهجة معينة من ل1 مع صديق ما ولهجة معينة من ل2 في الخطابات الرسمية، وهكذا. إذا هناك ثلاثة مصطلحات مختلفة : اللغة الأولى the first language واللغة المهيمنة the dominant language واللغة المفضّلة the preferred language.

وبما أن اللغة الأولى لا تعني أنها المهيمنة دائما أو أنها الأكثر طلاقة دائما أو أنها الأكثر استعمالا دائما، وبما أن اللغة المهيمنة قد لا تكون هي المفضلة في جميع الحالات، فإنه من المناسب التركيز على الاستفسار عن اللغة المفضلة (أي اللغة الأكثر استعمالا) في المجالات المختلفة : البيت، العمل، المدرسة، الأصدقاء، الأحلام، الغناء، التفكير، الحساب الذهني. إذا سألنا الفرد عن اللغة المفضلة لديه في كل حالة من الحالات السابقة، نحصل على معلومات ذات قيمة أفضل من سؤالنا عن لغته الأولى أو لغته المهيمنة نظرا لأن اللغة الأولى من المحتمل أن تكون قد تراجعت أمام ل2 ونظرا لأن هيمنة لغة قد لا تكون في كل المجالات.

4. قياس الثنائية اللغوية المجتمعية :

لقياس الثنائية اللغوية في مجتمع ما ضمن إحصاء لغوي language census أو ضمن إحصاء عام، لا بد مما يلي :

1 — إعداد وسيلة قياس فعالة شاملة خالية من الغموض.

2 — تجريب هذه الوسيلة بشكل استطلاعي لتنقيح الوسيلة وإكسابها مزيدا من العملية والدقة والوضوح.

3 — اختيار عينة ممثلة representative sample للمجتمع المراد إحصاؤه[2].

4 — تدريب مقابلين ماهرين للقيام بجمع المعلومات.

وفي بعض الحالات، يقوم بالاحصاء اللغوي باحث ما لأغراض البحث العلمي فقط. ولكن في بعض الحالات الأخرى، تقوم الحكومة بهذا الاحصاء لأسباب إدارية أو سياسية. فقد تستخدم نتائج الاحصاء في اتخاذ قرارات إدارية أو سياسية من مثل تقسيم البلاد إلى مقاطعات أو ولايات بالاسترشاد بالحدود اللغوية بين السكان. وقد تستخدم النتائج لتقرير ثنائية التعليم أو ثنائية وسائل الاعلام أو تبني الدولة للثنائية رسميا، أي جعل البلاد ثنائية اللغة. ولهذا إذا كانت الأهداف تتجاوز البحث العلمي، فقد يكون الاحصاء عاما لكل السكان، دون الاكتفاء بعينة ممثلة منهم.

ومن أجل قياس الثنائية المجتمعية لا يمكن بالطبع استخدام الاختبارات، إذ لا يمكن اختبار الناس في منازلهم أو اختبار مئات الآلاف أو الملايين منهم. ولكن من الممكن تضمين الاستبيان questionnaire أسئلة تعتمد على التقدير الذاتي self-rating من نوع : ما مدى إتقانك للغة س كلاما؟ كتابة؟ قراءة؟ فهما للمسموع؟ ويكون الجواب على سُلّم مُصَنّف بالكلمات من نوع (ممتاز، جيد جدا، جيد، مقبول، ضعيف، لا أعرفها).

5 ـ قياس الثنائية اللغوية الفردية :

يمكن لقياس ثنائية الفرد استخدام وسائل عديدة يكمل بعضها بعضا أو يُغني بعضها عن البعض الآخر في بعض الحالات. من هذه الوسائل ما يلي :

أ. الاستبيانات

ب. الاختبارات

ج. المقابلات

د. التقديرات الذاتية

هـ. تقديرات ذوي العلاقة

وسنتناول كلا من هذه الوسائل بشيء من التفصيل فيما يلي.

5 ـ 1. الاستبيانات :

إن الاستبيانات إحدى وسائل قياس الثنائية اللغوية. وهي أنواع عديدة من أهمها استبيان الوالدين واستبيان اللغات المفضلة واستبيان التعرض اللغوي واستبيان الدوافع واستبيان المواقف واستبيان المردود. وسنتناول كلا منها بشيء من التفصيل فيما يلي.

5 ـ 1 ـ 1. استبيان الوالدين :

لقياس الخلفية اللغوية لفرد ما، لابد من جمع المعلومات عن الآباء والأمهات وسلوكهم اللغوي ومقدراتهم اللغوية. مثال ذلك (المرجع8 : ص 16) :

1. ما اللغة التي تتكلمها الأم مع الأطفال في البيت؟

أ ـ ل1 فقط (القيمة صفر) (يذكر اسم لغة محددة)

ب ـ ل2 فقط (القيمة صفر) (يذكر اسم لغة محددة)

ج ـ ل1 + ل2 (القيمة1) (تحدد اللغتان)

2. ما اللغة التي يتكلمها الأب مع الأطفال في البيت؟

أ ـ ل1 فقط

ب ـ ل2 فقط

ج ـ ل1 + ل2

3. ماذا يتكلم الأطفال مع بعضهم البعض في البيت؟

أ ـ ل1 فقط

ب ـ ل2فقط

ج ـ ل1 + ل2

	أبدا	قليلا	بشكل مقبول	بطلاقة
4. هل تتكلم الأم ل1 ؟	0	1	2	3
5. هل تقرأ الأم ل1 ؟	0	1	2	3
6.هل تفهم الأم ل1 ؟	0	1	2	3
7. هل تكتب الأم ل1 ؟	0	1	2	3
8. هل تتكلم الأم ل2 ؟	0	1	2	3
9. هل تقرأ الأم ل2 ؟	0	1	2	3
10. هل تفهم الأم ل2 ؟	0	1	2	3

	أبدا	قليلا	بشكل مقبول	بطلاقة
11. هل تكتب الأم ل2 ؟	0	1	2	3
12. هل يتكلم الأب ل1 ؟	0	1	2	3
13. هل يقرأ الأب ل1 ؟	0	1	2	3
14. هل يفهم الأب ل1 ؟	0	1	2	3
15.هل يكتب الأب ل1 ؟	0	1	2	3
16. هل يتكلم الأب ل2 ؟	0	1	2	3
17. هل يقرأ الأب ل2 ؟	0	1	2	3
18. هل يفهم الأب ل2 ؟	0	1	2	3
19. هل يكتب الأب ل2 ؟	0	1	2	3

مثل هذا الاستبيان يساعد في جمع المعلومات عن الخلفية اللغوية للفرد في البيت، وعن اللغات التي يعرفها الوالدان، وعن مدى استخدام كل لغة في البيت، مما يعطي مؤشرا إلى اللغة المهيمنة واللغة المفضلة في البيت. ويمكن أن ندعو مثل هذا الاستبيان استبيان الوالدين parent questionnaire، لأنه يُعنى أساسا بالوضع اللغوي للوالدين ويجيب عنه الوالدان مباشرة.

5 ـــ 1 ـــ 2: استبيان اللغات المفضلة :

وهناك استبيان عن اللغات المفضلة في المقامات المختلفة ويدعى استبيان اللغات المفضلة preferred-language questionnaire. ويكون السؤال على مثل هذا النحو : ما اللغة التي تستعملها عادة في كل حالة مما يلي ؟

1. مع والدك ______________
2. مع والدتك ______________
3. مع جدك ______________
4. مع جدتك ______________
5. مع الأقارب من خارج الأسرة ______________
6. مع زوجتك ______________
7. مع أطفالك ______________
8. في المدرسة ______________
9. مع الأصدقاء ______________
10. في النادي ______________
11. في السوق ______________
12. في العمل ______________
13. وأنت مريض ______________

14. وأنت تلعب ________________

15. وأنت متعب ________________

16. في الغناء ________________

17. في الأحلام ________________

5 ــ 1 ــ 3. استبيان التعرض اللغوي :

ويمكن أن يتضمن الاستبيان أسئلة خاصة عن كل لغة من النوع الآتي على سبيل المثال (المرجع 5 : ص 89) :

	كثيرا جدا	كثيرا	قليلا	نادرا	لا
1. هل تقرأ مجلات باللغة س ؟	4	3	2	1	0
2. هل تقرأ جرائد باللغة س ؟	4	3	2	1	0
3. هل تسمع إذاعات باللغة س ؟	4	3	2	1	0
4. هل تشاهد أفلاما باللغة س ؟	4	3	2	1	0
5. هل تقرأ كتبا باللغة س ؟	4	3	2	1	0

ويجب أن نلاحظ أن الأسئلة من ١ ــ ٥ أمام كل منها سُلّم من خمس درجات : كثيرا جدا، كثيرا، قليلا، نادرا، لا. وتُعطى لكل درجة قيمة عددية هي (4، 3، 2، 1، 0) على الترتيب. ويمكن بالطبع تكرار الأسئلة ذاتها بالنسبة للغة ص. ويمكن أن ندعو هذا الاستبيان استبيان التعرض اللغوي language-exposure questionnaire.

5 ــ 1 ــ 4. استبيان الدوافع :

وهناك استبيان الدوافع motive questionnaire الذي يقيس نوعية وكمية الدوافع التي تجعل شخصا ما يتعلم ل ٢. ويمكن أن يكون هذا الاستبيان على شكل جمل يبين الفرد رد فعله لها على سلّم من خمس أو سبع درجات، طرف منه يشير إلى تأييد الجملة تماما والطرف الآخر يشير إلى رفضها تماما. وهذا مثال على هذا النوع من الاستبيانات، والمثال مأخوذ من بحث أجريته على معلمي العربية من غير العرب :

تعلمت العربية لأنها :

1. تساعدني في فهم العرب وطريقة حياتهم.
2. تساعدني في الحصول على وظيفة.
3. تساعدني على تكوين أصدقاء عرب.
4. تزيد من مكانتي الاجتماعية بين قومي.
5. تجعلني مثل العرب سلوكا وتفكيرا.
6. تزيد من ثقافتي.
7. أحب العرب.
8. تساعدني في فهم الاسلام.
9. قريبة من لغتي الأولى.

ويوضع أمام كل جملة أو تحتها سلّم من سبع درجات هكذا :

ليس هذا شعوري 1 2 3 4 5 6 7 هذا شعوري تماما. وعلى المستجيب أن يضع دائرة على الرقم الذي ينطبق على حالته.

بين إتقان ل 1 وإتقان ل 2، ويبين هل ثنائيته اللغوية طلقة أم غير طلقة، متوازنة أم غير متوازنة.

ويمكن أن تسير الاختبارات في عدة اتجاهات. يمكن أن نقيس كل لغة على حدة بوساطة اختبارات لغوية متوازية في درجة الصعوبة والطول والزمن ونوعية المهارة المقاسة، ويمكن أن نسمي هذه الطريقة طريقة الاختبارات المتوازية parallel tests. وهذا يعني أن نضع اختبارا في ل 1 على حدة واختبارا في ل 2 على حدة بشرط أن يتكافأ الاختباران في عدد الأسئلة ومستوى الصعوبة والزمن وطريقة الاجابة ونوع الأسئلة وموضوع الاختبار وظروف إجراء الاختبار. ويمكن أن ندعو هذه الاختبارات أيضا الاختبارات المتكافئةequivalent tests نظرا لتكافؤ أو تساوي الاختبارين في العوامل العديدة التي ذكرناها.

وليكون الاختبار صادقا(5)، يستحسن أن يزيد المجال الذي يغطيه ليشمل الجوانب اللغوية المختلفة. فهناك مهارة الكلام ومهارة الكتابة ومهارة فهم المقروء ومهارة فهم المسموع. هذه هي المهارات الأربع الرئيسية. وهناك مهارات فرعية عديدة من مثل اختبارات الأصوات المتنوعة(6) التي يمكن أن تتخذ أحد الأشكال الآتية :

1. اختبار القراءة الجهرية لقياس نطق الأصوات.
2. اختبار التمييز بين الثنائيات لقياس القدرة على تمييز الأصوات : هل تسمع كلمتين مختلفتين أم كلمة واحدة مكررة مرتين ؟
3. اختبار نطق الكلمات المكتوبة لقياس القدرة على النطق الصحيح.

وهناك اختبارات التراكيب النحوية التي يمكن أن تتخذ أحد الأشكال الآتية :

4. تعديل الصيغة. عدّل الكلمة التي بين قوسين لتناسب السياق. مثال : (يأتي) الولد أمس.
5. ملء الفراغ. املأ الفراغ بكلمة واحدة مناسبة. مثال : أراد ــ يتعلم.
6. الدمج : ادمج الجملتين في واحدة باستعمال الكلمة التي بين قوسين. مثال : درس الولد + نجح الولد + (لو).
7. كشف الخطأ. ضع خطا تحت الخطأ ثم صحح الجملة. مثال : كان جرى فسقط في الماء.
8. إكمال الجملة. أكمل الجملة الآتية. مثال : إن تسأل ــ .
9. الاعراب. أعرب ما تحته خط.
10. التحويل. حوّل الجمل الآتية من ماض إلى مضارع، أو من مفرد إلى جمع، أو من مذكر إلى مؤنث، أو من إخبار إلى استفهام، أو من مثبت إلى منفي...الخ.
11. الاختيار من متعدد. اختر الجواب الصحيح من بين أربع إجابات.
12. إعادة الترتيب. أعد ترتيب هذه الكلمات لتكون جملة مفيدة.

وهناك اختبار المفردات الذي يمكن أن يشمل الأشكال الآتية أو بعضها (المرجع 9 : ص ص146 ــ 154).

13. الاختيار من متعدد. اختر الكلمة المناسبة للفراغ. مثال : أكمل الولد ــ (الماء، الشراب، الطعام، الدواء).
14. المترادفات. أعط الكلمة المرادفة لكل مما يأتي.

15. الأضداد. أعط الكلمة المضادة لكل مما يأتي.

16. الشرح. اشرح معنى كل كلمة مما يأتي.

17. الاشتقاق. اشتق اسم الفاعل أو اسم المفعول أو المصدر أو فعل الأمر...الخ مما يلي.

18. ملء الفراغ. املأ الفراغ بكلمة مناسبة من عندك.

19. المزاوجة. اختر من القائمة ب كلمة ترادف كل كلمة في القائمة أ.

وهناك اختبارات الاملاء أو التهجية والتي يمكن أن تُجْرىٰ بعدة أشكال منها :

20. الاملاء المباشر. اكتب ما تسمع من الكلمات أو الجمل.

21. كشف الخطأ. ضع خطا تحت الكلمة التي فيها خطأ إملائي وصحح هذا الخطأ.

22. الاختيار من متعدد. اختر الكلمة الصحيحة إملائيا من كل مجموعة مما يلي.

23. الحرف المحذوف. أضف تاء مربوطة أو تاء مفتوحة لكل مما يلي. أو أضف ألفا ممدودة أو ألفا مقصورة.

24. الاشتقاق. مثلا أعط اسم الفاعل (على وزن فاعل) من الأفعال الآتية : سأل، ملأ، قال.

25. الدمج. ادمج الكلمتين في كلمة واحدة مع إحداث التغيير اللازم إذا دعت الحاجة : عن + ما ؟ إلى + ما ؟ أن + لا.

وهناك اختبارات الخط التي تهدف إلى قياس جودة الخط في ل1 أو ل2 :

26. انسخ الجملة الآتية.

27. اكتب سطرين من عندك عن أي موضوع تختاره.

وهناك اختبارات لقياس فهم المقروء وفهم المسموع (المرجع3 : ص215). والفرق بينهما مصدر المادة اللغوية. في فهم المقروء تكون المادة مكتوبة يقرؤها الفرد وفي فهم المسموع يسمع الفرد المادة اللغوية من شريط تسجيل أو من قارىء مباشرة. ويمكن أن تكون الأسئلة بعد القراءة أو الاستماع على النحو الآتي (المرجع11 : ص ص 190 — 209) :

28. أسئلة استيعاب مباشرة. أجب عن الأسئلة الآتية.

29. الاختيار من متعدد. اختر الجواب الصحيح من بين عدة إجابات.

30. الصواب والخطأ. ضع (خطأ) أو (صواب) بعد كل جملة مما يلي حسب مقتضيات النص.

31. ملء الفراغ. أضف الكلمة المناسبة لكل جملة حسب متطلبات النص.

32. المزاوجة. زواج بين الجمل في المجموعة أ وما يكملها في المجموعة ب.

33. الترتيب. رتب الجمل الآتية حسب تسلسل حدوثها زمنيا.

34. التلخيص. لخص ما فهمت.

وهناك اختبارات الكتابة الحرة :

35. كتابة الفقرة. اكتب فقرة في أحد الموضوعات الآتية.

36. كتابة المقال. اكتب مقالا من ثلاث فقرات في الموضوع الآتي.

37. تحويل المخطط. حوّل المخطط الآتي إلى فقرات مناسبة.

وهناك اختبارات التلخيص :

38. أسئلة على النص. أجب عن الأسئلة الآتية لتكون ملخصا للأصل.

39. السؤال الشامل. أجب عن هذا السؤال لتعطي ملخصا للأصل.

40. التلخيص المباشر. لخص النص التالي إلى الربع أو الثلث.

وهناك اختبارات الترجمة :

41. من ل1 إلى ل2. ترجم الجمل الآتية أو الفقرات الآتية من ل1 إلى ل2.

42. من ل2 إلى ل1. ترجم الجمل أو الفقرات الآتية من ل2 إلى ل1.

وهناك اختبارات الترقيم (أي وضع فاصلة، نقطة، علامة استفهام ...الخ) :

43. الاضافة المحددة بالنوع. أضف فاصلة (مثلا) حيث يلزم في الفقرة الآتية.

44. الاضافة غير المحددة. أضف أية علامة ترقيم تلزم إلى النص الآتي.

45. الاضافة المحددة بعدد. أضف خمس فواصل حيث يلزم إلى النص التالي. أو أضف خمس علامات ترقيم حيث يلزم إلى النص التالي.

46. الاضافة المحددة بالموقع. أضف في المواقع المبينة علامة الترقيم اللازمة في النص الآتي.

وهناك اختبارات التعبير الشفوي :

47. الموضوع الحر. تحدث في أي موضوع تختاره.

48. سؤال وجواب. أجب شفهيا عن الأسئلة الآتية.

49. شريط وجواب. استمع إلى الشريط وأجب عن الأسئلة التي تسمعها وتوقف عن الاجابة عندما تسمع السؤال التالي.

50. صورة وتعليق. ماذا ترى في هذه الصورة ؟

51. حوار. تحاور مع زميلك حول موضوع كذا[7].

هذا عرض موجز لأنواع الاختبارات المختلفة (المرجع1 : ص ص 103 — 110). ويمكن عند قياس الثنائية اللغوية لدى فرد ما أن نقيس المهارات الأربع في كل لغة أو أن نقيس إحدى هذه المهارات أو أن نقيس مهارة واحدة إنتاجية ومهارة واحدة استقبالية أو نقيس أي عدد من المهارات الفرعية، مثلا الترقيم ونطق الأصوات. وبالطبع كلما زاد عدد المهارات المقاسة، كان القياس أصدق وأثبت وأعم. وعند المقارنة يجب أن نتذكر أن نقارن المهارات المتماثلة بعضها ببعض، فلا يجوز مقارنة الكتابة في ل1 مع الكلام في ل2. ولا يجوز أن نقارن اختبار المفردات في ل1 باختبار التراكيب النحوية في ل2. علينا أن نقارن الكلام في ل1 مع الكلام في ل2 مثلا، أو الترقيم في ل1 مع الترقيم في ل2، أو الكتابة الحرة في ل1 مع الكتابة الحرة في ل2.

ويمكن بالطبع أن نقارن الدرجة العامة في ل1 مع الدرجة العامة في ل2. ويقصد بالدرجة العامة مجموع الدرجات في المهارات الأربع. هذه المقارنة

في كل مهارة على حدة أو في الدرجة العامة توصلنا إلى الاستنتاج المطلوب من حيث مدى القدرة في كل مهارة في كل لغة على حدة ومن حيث الكفة الراجحة في كل مهارة : هل ترجح الكفة لصالح ل1 أو لصالح ل2 في كل مهارة على حدة ؟ كما نتوصل إلى الاجابة عن الكفة الراجحة في اللغة عموما : هل ترجح كفة ل1 أم كفة ل2 بشكل عام في مجموع المهارات ؟ وهل الفرق بين إتقان اللغتين فرق صغير أم كبير ؟

5 ـــ 3. الاختبارات الخاصة :

الاختبارات المتوازية التي تحدثنا عنها في المبحث السابق يمكن أن نسميها اختبارات أحادية أو اختبارات أحادية اللغة، لأن الاختبار الواحد يقيس لغة واحدة دون الأخرى. ولكن في هذا المبحث هناك اختبارات خاصة بقياس الثنائية اللغوية سنشرحها واحدا واحدا فيما يلي.

5 ـــ 3 ـــ 1. اختبار رد الفعل :

يعتمد هذا الاختبار (المرجع 2 : ص 74) على قياس الزمن الذي يستغرقه رد الفعل لدى فرد معين لمثيرات بكل لغة على حدة، ثم مقارنة الزمن في حالة ل1 مع الزمن في حالة ل2. وبالطبع إذا قل زمن رد الفعل في ل1 (مثلا) عن الزمن في ل2، دل هذا على هيمنة ل1 على ل2، أي أن الفرد موضع الدراسة أمهر في ل1 منه في ل2، ويمكن أن ندعو هذه الطريقة اختبار زمن الاستجابة reaction-time test.

ويمكن أن يتم الاختبار إجرائيا بطريقة عرض مجموعة من الصور لأشياء مختلفة مثل أنواع من النباتات والحيوانات والمصنوعات والأدوات، ويطلب من الفرد أن يسميها باللغة 1 ثم اللغة 2، ويحسب الزمن في كل حالة. ولاعطاء اللغتين فرصة متساوية في ترتيب العرض، يُسمى النصف الأول من الصور باللغة 1 والنصف الثاني باللغة2، ثم يسمى النصف الأول باللغة2 والنصف الثاني باللغة1.

ويمكن أن يتخذ اختبار رد الفعل شكلا آخر، تعرض مجموعة من الأسئلة شفويا يجاب عنها باللغة1 ثم باللغة2 ويحسب الزمن المستغرق في كل لغة على حدة. وكيلا يكون هناك تحيز للغة ما دون الأخرى، يجاب عن النصف الأول من الأسئلة باللغة1 والنصف الثاني باللغة2، ثم يجاب عن النصف الأول باللغة2 والنصف الثاني باللغة1. ويحسب زمن ل1 وزمن ل2. والزمن الأقصر يدل على هيمنة لغة محددة.

ويجب ألا ننسى، مهما كان نوع الاختبار، عاملي الصدق validity والثبات reliability اللذين يتطلبان بالضرورة زيادة عدد بنود الاختبار. كلما زاد عدد بنود الاختبار أو عدد الأسئلة زاد صدق الاختبار وزاد ثباته، أي زادت درجة الاعتماد عليه كمؤشر لما يراد به. ففي حالة اختبار رد الفعل، لا يجوز الاكتفاء بخمسة مثيرات لكل لغة، ولا بعشرة. قد نحتاج مثلا خمسين مثيرا على الأقل، للكشف عن الفرق بين ل1 و ل2 لدى فرد ما.

5 ـــ 3 ـــ 2. اختبار اقتران الكلمات :

في هذا الاختبار تُعطى سلسلة من الكلمات باللغتين بالتناوب : كلمة من ل1، ثم كلمة من ل2، ثم من ل1، ثم من ل2...وهكذا. ويطلب من الفرد موضع الفحص أن يقرن بكل كلمة أية كلمات تخطر بباله بلغة الكلمة ذاتها. مثلا، إذا كانت الكلمة (مدرسة)، يستطيع الفرد أن يقول : معلم، كتاب، مدير، تعليم، صف، كلية، جامعة، أستاذ، تلميذ، طالب...الخ. ويُضبَط الوقت بحيث لا يتعدى دقيقة واحدة لكل كلمة. ثم يحسب عدد الكلمات في كل لغة على حدة، ويقارن بينهما. واللغة التي يزيد عدد كلماتها عن الأخرى تكون هي المهيمنة لدى ذلك

الفرد. وإذا تعادل العدد في اللغتين، دل ذلك على أن الفرد ذو ثنائية متوازنة. ويدعى هذا الاختبار باللغة الانجليزية word-association test.

5 ــ 3 ــ3. اختبار الاستخلاص :

هنا تُعطى كلمات لا معنى لها في ل1 ولا في ل2، ويطلب من الفرد أن يستخلص من حروف كل كلمة كلمات من ل1 وكلمات من ل2. مثال ذلك كلمة dansonodend (المرجع2 : ص 75). يمكنه أن يُكَوِّن منها الكلمات الانجليزية الآتية : end, and, an, no, son, send, odd, on, sand...الخ. وإذا كانت ل2 لديه هي الفرنسية، فعليه أن يستخرج أو يستخلص من الكلمة ذاتها الكلمات الفرنسية التي يستطيع تذكرها. والافتراض هنا أن اللغة المهيمنة هي التي ستحظى بالعدد الأكبر من الكلمات المستخلصة. ويصلح هذا الاختبار في حالة اللغات التي تكتب بنظام ألفبائي واحد، مثل اللغات الأوروبية. ولا يصلح مثلا في حالة الانجليزية والعربية نظرا لاختلاف النظام الكتابي بينهما. ويدعى هذا الاختبار بالانجليزيةextraction test.

5 ــ 3 ــ 4. اختبار القراءة المختلطة :

في هذا الاختبار تُخْلَط عشرون أو ثلاثون كلمة من ل1 مع عشرين أو ثلاثين كلمة من ل2 تناظرها في المعنى. ويطلب من الفرد أن يقرأها جهرا بصوت عال. ويحسب زمن القراءة العام ليدل على درجة الثنائية اللغوية لدى ذلك الفرد. كلما زادت درجة الثنائية، قل الزمن المستغرق. ويدعى الاختبار بالانجليزية mixed-reading test.

ويمكن تعديل هذا الاختبار بحيث تُفصل كل لغة على حدة. ويقرأ الفرد كلمات ل1 ثم كلمات ل2، ويحسب الزمن في كل حالة على حدة، ثم يقارن الزمنان. ولابد هنا من اعتبار عامل الصحة، عن طريق زيادة زمن معين لكل قراءة خاطئة. واللغة الأقصر زمنا في اللغة الأكثر هيمنة.

5 ــ 3 ــ 5. اختبار التدخل :

في هذا الاختبار يطلب من الفرد أن يتكلم أو يكتب بحرية أو استجابة لأسئلة معينة. أي ينتج اللغة1 ثم اللغة2. ثم يُجْرى تحليل لما قال أو كتب في ل1 و ل2. فإذا وجدنا أن ل1 تتدخل في ل2، فهذا يعني أن ل1 هي المهيمنة. وإذا وجدنا ل2 تتدخل في ل1، فهذا يعني أن ل2 هي المهيمنة. وقد نجد تدخلا باتجاهين : ل1 تتدخل في ل2 ول2 تتدخل في ل1. في هذه الحالة، نقارن بين قوة التدخلين، فإذا كان تدخل ل1 هو الأقوى، كانت الهيمنة للغة 1. وإذا كان تدخل ل2هو الأقوى، كانت الهيمنة للغة 2. ويدعى هذا الاختبار بالانجليزية interference test.

وهناك اختبار خاص من اختبارات التدخل (المرجع2 : ص 75). تُعطى قائمة من كلمات مشتركة بين ل1 و ل2. ويطلب من الفرد قراءتها جهريا باللغة1 ثم قراءتها جهريا باللغة2. ويُراقَب نطقه : هل تتدخل ل1 وهو ينطق باللغة 2 ؟ وإلى أي مدى ؟ وهل تتدخل ل2 وهو ينطق باللغة1 ؟وإلى أي مدى؟ وهذا الاختبار، كما ذكرنا، يقيس التدخل الصوتي بوجه خاص. فإذا كان يميل إلى تغليب أصوات ونبر ل1، كانت ل1هي المهيمنة لديه. وإذا كان يميل إلى تغليب أصوات ونبر ل2، كانت ل2 هي المهيمنة. وإجرائيا، يكسب الفرد درجة واحدة لكل كلمة ينطقها صحيحة ضمن ل1 أو ضمن ل2. أي تعطى للفرد درجة للغة1 ودرجة للغة2. وفي حالة الثنائي المتوازن، نراه يأخذ درجتين متعادلتين تقريبا.

5 ـ 3 ـ 6. الاختبار تحت التوتر :

يستند هذا النوع من الاختبارات إلى فرضية تقول إن اللغة المهيمنة تكون هي المفضلة، أي الأكثر استعمالا، في حالات المرض أو التعب أو التوتر. فإذا كان الشخص مريضا مثلا، تراه يتكلم باللغة الأقوى لديه، لأنها الأيسر إنتاجا(المرجع2 : ص 76). ويبدو أن اللغة الأضعف تكلّفه جهدا أكبر لا يستطيع أن يبذله وهو في حالة المرض أو التعب. واستنادا إلى هذا الافتراض، تجرى اختبارات لغوية للفرد يطلب منه فيها أن يستجيب بأية لغة يشاء لأسئلة تُوجَّه إليه بلغتين. وتوجيه السؤال ذاته باللغتين ضروري لتحييد عامل لغة المثير، لأنك إذا سألت شخصا ما باللغة1 فهناك احتمال قوي أن يرد عليك باللغة التي سألته بها. ثم تجرَى دراسة استجاباته : هل يستجيب باللغة1 أم باللغة 2 ؟ أو هل استجاباته باللغة 1 أكثر أم باللغة 2 أكثر ؟ إذا كانت الاستجابات باللغة 1 مثلا فقط رغم أنه كان يسأل باللغتين، فهذا يدل على أن ل1 هي المهيمنة. وإذا كانت أكثر استجاباته باللغة 1 مثلا، فهذا يدل على هيمنة ل1 أيضا. وإذا كانت الاستجابات باللغتين متساوية في عددها أو كميتها زمنيا، فهذا يدل على أنه ثنائي متوازن. ويدعى الاختبار بالانجليزية under-stress test.

5 ـ 3 ـ 7. اختبار التوافق الدلالي :

في هذا الاختبار تُعطى أفعال في جمل بكل لغة على حدة، ثم يطلب من الفرد أن يختار الحال الملائم للفعل من بين عدة أحوال. وفي اللغة الانجليزية، يناظر الحال ما يدعى adverb of manner. مثال ذلك : قاتل الجندي ــ (كريما، ضاحكا، مستبسلا). قدرة المرء على التوافق الدلالي الصحيح بين الفعل والحال ترتبط ارتباطا موجبا بقدرته اللغوية العامة في لغة ما. ثم تقارن درجته في ل1 مع درجته في ل2 للاستدلال على هيمنة لغة ما على أخرى لديه أو على توازن اللغتين. ومثل هذا الاختبار يصح أن يعد من بين الاختبارات المتوازية، وسبب وضعه بين الاختبارات الخاصة أنه شاع استخدامه لقياس الثنائية اللغوية. ويدعى هذا الاختبار بالانجليزية semantic-congruity test.

5 ـ 3 ـ 8. اختبار التناوب اللغوي :

تستخدم هنا مادة قرائية مختلطة الجمل. تبدأ الفقرة باللغة1، ثم تقدم المعاني باللغة2، ثم باللغة 1 وهكذا. أي تتناوب اللغتان كوسيلة للتعبير. وهذا لا يعني أن المعنى الواحد يقدَّم باللغة 1 ثم باللغة2، أو أن الجملة الواحدة تقدم باللغة1 ثم تترجم إلى ل2. بل يعني أن الفقرة تحتوي على جمل تتناوب اللغتان في أدائها وأن كل جملة تكمل ما قبلها ولا تكررها، ولكن تختلف عنها في اللغة فقط. بعد أن يقرأ الفرد المادة، تُقدم له أسئلة تقيس مدى استيعابه. ويمكن أن تكون الأسئلة باللغة1 أو باللغة2 أو باللغتين متناوبتين. فإذا كانت ل1 هي المهيمنة لديه، تراه يجيب أفضل عن الأجزاء التي ظهرت في النص باللغة1. وإذا كانت ل2 هي المهيمنة، كانت إجاباته أفضل عن الأجزاء المكتوبة باللغة2. وإذا كان متوازن الثنائية، كانت درجته عن الأجزاء المكتوبة باللغة1 معادلة لدرجته عن الأجزاء المكتوبة باللغة2. ويمكن أن توضع له درجة استيعاب عامة دون الالتفات إلى ل1 أو ل2 للكشف عن درجة ثنائيته. فكلما علت درجة استيعابه للنص الثنائي، زادت درجة ثنائيته اللغوية. ويدعى هذا الاختبار بالانجليزية language-alternation test.

5 ـ 3 ـ 9.اختبار الاستماع المزدوج :

هنا يستمع الفرد إلى مادتين لغويتين مختلفتين، مادة باللغة1 بالأذن اليمنى ومادة باللغة2 بالأذن اليسرى، في وقت واحد عن طريق سماعة خاصة بكل أذن متصلة بمصدر صوتي مختلف. ثم تتغير الأذن

المستقبلة في منتصف المادة اللغوية : أي تستقبل الأذن اليمنى ل2 بدلا من ل1 وتستقبل الأذن اليسرى ل1بدلا من ل2. وهذا التغيير في الأذن المستقبِلة ضروري لتحييد هيمنة الأذن اليمنى أو الأذن اليسرى في بعض الحالات. ثم تقدم أسئلة استيعاب خاصة بكل لغة وتوضع درجة لكل لغة، ثم تقارن الدرجتان لتحديد اللغة المهيمنة أو تقرير حالة التوازن. ويدعى هذا الاختبار بالانجليزية dichotic listening test.

5 ـــ 3 ـــ 10. اختبار ستروب :

دعي هذا الاختبار باسم العالم الذي صممه وهو ستروب Stroop ويدعى الاختبار بالانجليزية Stroop test (المرجع2 : ص 87). في هذا الاختبار تكتب كلمات مثل أحمر، أزرق، أخضر، أبيض، أي كلمات يدل معناها على ألوان، تكتب باللغة1 واللغة2 بالتناوب، وتظهر الكلمة بحبر يخالف معناها. فكلمة أحمر مثلا تكتب بحبر أسود مثلا. ويطلب من الفرد أن يسمي لون الحبر باللغة2 إذا كانت الكلمة المكتوبة على بطاقة باللغة1، وباللغة1 إذا كانت الكلمة مكتوبة باللغة2. مثال ذلك إذا كانت كلمة أحمر مكتوبة بحبرأسود، فعليه أن يقول black. وإذا كانت كلمة white مكتوبة بحبر أخضر، فعليه أن يقول أخضر. ثم توضع له درجة لكل لغة وتقارن درجتاه. أو توضع له درجة عامة توضح درجة ثنائيته. وتوضع الدرجة هنا على أساس احتساب الزمن اللازم لانتقال الذهن من ل1 إلى ل2 ومن ل2 إلى ل1. وكلما قل الزمن، زادت درجة الثنائية واقتربت الثنائية من التوازن.

وفي مثل هذا الاختبار من الممكن استخدام كلمات لا تعني ألواناً، ولكنها مكتوبة بألوان مختلفة. وعلى الفرد أن يسمي اللون بلغة غير لغة الكلمة المكتوبة. ووجد هنا أن الوقت اللازم للاستجابة أقل منه في حالة استخدام كلمات تعني ألوانا.

ويقارن الوقت الذي يستغرقه الفرد بوقت معياري يُتوصَّل إليه عن طريق احتساب معدل الأوقات التي يستغرقها أفراد ذوو ثنائية طلقة متوازنة أخذوا الاختبار ذاته. وتبين أنهم متوازنو الثنائية من خلال مقاييس أخرى أو من خلال دراسة حالاتهم الفردية.

5 ـــ 3 ـــ 11. اختبار قوائم الكلمات :

في هذا الاختبار يستمع الفرد إلى قائمة كلمات تحتوي على ست إلى عشر كلمات متناوبة باللغتين : أي كلمة من ل1 وكلمة من ل2 وكلمة من ل1 وكلمة من ل2.. إلخ بشرط أن تتساوى كلمات اللغتين من حيث درجة المألوفية والسهولة والحقل الدلالي. ويحتوي الاختبار على عدة قوائم مماثلة. بعد أن يستمع الفرد إلى القائمة، يطلب منه أن يعيد ما سمع. وتوضع لكل قائمة درجتان : درجة لما تَذَكَّرَ من كلمات ل1 ودرجة لما تَذَكَّرَ من كلمات ل2. ثم تُجْمع درجات ل1 ودرجات ل2 في سائر القوائم. فيكون للفرد درجة في ل1 ودرجة في ل2. والافتراض أن الفرد يستعيد اللغة المهيمنة أفضل من استعادته اللغة الأضعف. فإذا كانت درجة ل1 في تذكر قوائم الكلمات أعلى، كانت ل1 هي المهيمنة . وإذا كانت درجة ل2 أعلى، كانت ل2 هي المهيمنة. ويدعى هذا الاختبار بالانجليزية vocabulary-list test.

ويتوجب أن نتذكر في الاختبارات جميعا ضرورة مناسبة الاختبار للهدف منه، وضرورة ملاءمته لعمر الأفراد موضع الدراسة، وضرورة أن يكون طول الاختبار مناسبا حتى يزداد صدقه وثباته. وإذا أريد استخدام الاختبار عدة مرات فلابد من تقنينه standardization أو تعييره، وهذا يستدعي تجريبه وتنقيحه والتأكد من معامل صدقة validity coefficient ومعامل ثباته reliability coefficient. كما

يستدعي هذا وضع سُلَّم لدرجاته لتفسير دلالة كل درجة.

5 ــ 4. المقابلة :

من الممكن استخدام المقابلة لجمع البيانات أو استخدامها للتأكد من معلومات وردت بطريق آخر كطريق الاختبار أو طريق الاستبيان. كما أن المقابلة قد تكون ضرورية في مرحلة إعداد الاستبيان اللغوي، وذلك للتأكد من أن الأسئلة واضحة المعنى، لا غموض فيها، تنقل المعنى الذي يقصده الباحث، ولا تنقل معنى آخر. ويتحقق هذا الهدف عن طريق تفاعل المقابِل مع المقابَل وما يصحبه من استفسارات واستيضاحات.

وفي الحالات الثلاث (أي المقابلة لجمع البيانات والمقابلة للمتابعة والمقابلة للاعداد)، لابد من أن تعتمد المقابلة على استبيان مُعَدٍّ سلفا. ففي حالة المقابلة لجمع البيانات، لابد من وجود استبيان مع المقابِل الذي يقوم بتوجيه الأسئلة التي يحتوي عليها الاستبيان ويقوم أيضا بملء الاستبيان وفقا لاجابات المقابَل.

وفي حالة المقابلة للمتابعة follow-up interview، يذهب المقابِل interviewer إلى الشخص ليسأله بعض الأسئلة الواردة في الاستبيان ذاته الذي سبق أن ملأه الشخص ذاته بقصد الاستيضاح أو التأكد من ثبات الجواب. وفي حالة المقابلة للاعداد، يذهب المقابِل أو الباحث إلى المقابَل interviewee ومعه استبيان تجريبي يجيب عنه المقابَل بحضور المقابِل أو على الأقل يقرؤه بحضوره ليطّلع الباحث على ردود الفعل ومواضع الغموض. وفي ضوء هذه الردود، يقوم الباحث بإعادة صياغة الاستبيان وتعديل الجمل الغامضة.

وفي الواقع، لابد من الانتباه إلى أمر هام هنا. وهو أن بعض الاستبيانات تسمح بالمقابلة، أي لا تتعارض طبيعة أسئلتها مع طبيعة المقابلة. ولكن بعض الاستبيانات لا تسمح بالمقابلة، لأن المقابلة قد تقضي على حرية الشخص في الاستجابة. فإذا كان الاستبيان يحتوي على أسئلة خاصة لا يرغب المقابَل أن يعرفها الناس عنه، فإن المقابلة تصبح عائقا ويجب عدم استخدامها.

5 ــ 5. التقديرات الذاتية :

هذه وسيلة أخرى لقياس الثنائية اللغوية. وهنا يُسأل الفرد أسئلة مباشرة عن تقديره هو لمستوى أدائه في كل من ل1 ول2 كلاما وقراءة وكتابة واستماعا. ويعطي الجواب على سُلَّم يتكون من خمسة اختيارات : ممتاز، جيد جدا، جيد، مقبول، ضعيف. ويمكن أن يضاف إليها اختيار سادس هو (لا أعرفها).

كما يمكن أن نستخدم التقديرات الذاتية self - rating في أسئلة تتعلق بمدى استخدام كل لغة في حالات متعددة. ويمكن أن يكون شكل هذا الاستبيان هكذا، على سبيل المثال، مع التقديم له بسؤال عن درجة استخدامه للغة كذا واللغة كذا في كل من الحالات المذكورة :

الحالة	اللغة	التقدير				
		كثيرا جدا	كثيرا	قليلا	نادرا	لا
مشاهدة التلفزيون	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
الاستماع إلى الاذاعة	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
قراءة الكتب	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
قراءة الجرائد	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
قراءة المجلات	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
مع الأصدقاء	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
في البيت	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
في الملعب	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0
في المدرسة	ل 1	4	3	2	1	0
	ل 2	4	3	2	1	0

والتقديرات الذاتية تتخذ شكل استبيان يقوم الفرد بالاجابة عنه مُقدِّما معلومات مباشرة عن قدرته في كل لغة وعن استخدامه لكل لغة. وهو بذلك يختلف عن استبيانات الوالدين واستبيانات الدوافع واستبيانات المواقف، حيث إن هذه الاستبيانات يملؤها الوالدان (كما في حالة استبيان الوالدين) أو يملؤها الفرد نفسه ولكنها تتعلق بالمواقف والدوافع وليس بالمقدرة اللغوية. كما أن استبيان التقدير الذاتي يختلف عن استبيان التعرض، لأن الأول يهتم بالمقدرة اللغوية والاستخدام اللغوي (أي التعرض اللغوي)، في حين أن الثاني يهتم بالتعرض اللغوي فقط.

5 ــ 6. تقديرات ذوي العلاقة :

يمكن جمع المعلومات عن الثنائية اللغوية لفرد ما في أناس ذوي علاقة قوية به، مثل والده ووالدته ومعلميه. ويمكن أن نوجه إليهم الأسئلة ذاتها التي وردت في مبحث التقديرات الذاتية، أي بدلا من أن يجيب هو يجيب والده أو والدته أو معلمه. ويمكن أن تشمل هذه الأسئلة أسئلة عن قدرته في ل1 ول2 في المهارات اللغوية الرئيسية (الكلام والكتابة والقراءة والاستماع). كما يمكن توجيه أسئلة عن اللغات التي يتكلمها في حالات مختلفة وعن مدى استخدامه أو تعرضه لها.

6. الاستفادة من نتائج القياس :

إن قياس الكفاءة اللغوية أو المقدرة اللغوية language proficiency هام من عدة نواح منها :

1. بالقياس تتحدد مقدرة الفرد اللغوية في ل1 أو ل2 أو كليهما.

2. في الجو المدرسي يزوِّد القياس المعلم بوسيلة لتقييم عمله التعليمي والتعرف على مدى نجاحه في تحقيق الأهداف.

3. تُستخدم نتائج القياس لأغراض الحُكْم على المتعلم من حيث مستواه وأهليته لاجتياز مقرر ما.

4. تستخدم الاختبارات ذاتها عن طريق التحليل البندي item analysis لمعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف لـدى المتعلمين.

5. يزودنا القياس بأسس جيدة لتجميع الطلاب في فئات متجانسة فيما يعرف بالتجميع المتجـانس homogeneous grouping.

6. يزودنا القياس بأسس صادقة لأغراض وضع الطالب في المستوى الذي يلائم قدراته، ويدعى مثل هذا الاختبار placement test.

7. يزودنا القياس بمؤشرات موثوقة من حيث التنبؤ بمقدرة الطالب على الالتحاق ببرنامج ما. ويعرف هذا الاختبار باختبار التنبؤ prognostic test.

8. يزودنا القياس بمادة صالحة للتحليل بقصد اكتشاف أنواع الأخطاء وأسبابها ضمن ما يعرف بتحليل الأخطـاء error analysis.

9. نوظف نتائج التحليل التقابلي والتحليل البندي وتحليل الأخطاء في تصميم مناهج تعليم اللغة الثانية على أساس إعطاء مزيد من الاهتمام لنقاط الصعوبة من حيث نوعية المعالجة وكميتها، إضافة إلى الاهتمام بمعالجة الأخطاء الناجمة من التدخل اللغوي.

10. إن القياس بمعناه الواسع، وإذا استخدم لقياس الثنائية اللغوية المجتمعية، فإنه يساعد الدولة في رسم السياسة اللغوية language policy لبلد ما، كما يساعدها في رسم سياسة التعليم وتقرير أية لغة أو لغات يجدر تبنيها في مجال التعليم ومجال الاعلام.

11. إن قياس دوافع المتعلمين لتعليم ل2 يساعد العربي ومصمم المنهج على أخذ فكرة عن درجة الدافعية لدى المتعلمين ومعالجة الأمر إذا كانت هذه الدرجة منخفضة.

12. إن قياس مواقف المتعلمين من ل2 وأهلها يساعد المعلم ومصمم المنهج في الاحاطة بمشاعر المتعلمين نحو اللغة المنشودة ومعالجة الأمر إذا كانت هذه المواقف سلبية.

13. إن قياس مردود تعلم ل2 يعطي المعلم ومصمم المنهج فكرة عن فوائد ل2 للمتعلم أو المشكلات التي يعاني منها المتعلم بسبب ل2. وهذا يعين الجهات المعنية من معلمين ومصممي مناهج وإداريين على عمل شيء ما لتحقيق مزيد من الفوائد ومساعدة المتعلم على التغلب على المشكلات.

8. خاتمة :

تقاس الثنائية اللغوية المجتمعية ضمن إحصاء لغوي أو إحصاء عام عن طريق المقابلة أو الاستبيان. أما الثنائية اللغوية الفردية فتقاس بالاستبيان أو الاختبار أو المقابلة أو التقدير الذاتي أو تقدير ذوي العلاقة أو باستخدام أكثر من وسيلة واحدة.

ومن أنواع الاستبيانات التي تستخدم في قياس الثنائية اللغوية استبيان الوالدين واستبيان اللغات المفضلة واستبيان التعرض اللغوي واستبيان الدوافع واستبيان المواقف واستبيان المردود. كما أن الثنائية اللغوية تقاس بالاختبارات المتوازية التي تقاس بها الكفاءة اللغوية للفرد في اللغتين. وتقيس هذه الاختبارات مقدرة الفرد في المهارات اللغوية الرئيسية الأربع (الكلام والاستماع والقراءة والكتابة) والمهارات اللغوية الفرعية.

وهناك اختبارات خاصة لقياس الثنائية اللغوية. منها اختبار ردّ الفعل واختبار اقتران الكلمات واختبار الاستخلاص واختبار القراءة المختلطة واختبار التدخل والاختبار تحت التوتر واختبار التوافق الدلالي واختبار التناوب اللغوي واختبار الاستماع المزدوج واختبار ستروب واختبار قوائم الكلمات.
قوائم الكلمات.

ومن وسائل قياس اللغوية المقابلة بقصد جمع البيانات أو المتابعة أو إعداد الاستبيان. وهناك وسيلة التقدير الذاتي ووسيلة تقدير ذوي العلاقة كالوالدين والمعلمين. وقد لا تستطيع وسيلة واحدة الايفاء بالهدف على النحو المنشود، ولذلك يحسن استخدام أكثر من وسيلة واحدة بقصد الحصول على نتائج صادقة ثابتة.

ولا شك أن للقياس مردودا تربويا واضحا. فهو تقييم للعملية التربوية يساعد على تصحيح المسار وفي تصميم المناهج وفي توجيه التدريس وفي التعرف على المصاعب التي تواجه المتعلمين.

* * *

دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح

من خلال دراسة :

«تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية» لابن كمال باشا المتوفى ٩٤٠ هـ

القسم الثاني(**)

دراسة وتحقيق :
د. حامد صادق قنيبي
قسم الدراسات الأسلاميه والعربيه
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهران .

الباب الثاني : في التعريب والمصطلحات

أولا :
رسالة ابن كمال في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة «في التعريب»

اللغة أداة اتصال بالتجربة الانسانية، وهذه التجربة عرضة للتغاير والاختلاف بين مجتمع وآخر، وبين عصر وآخر إلاّ أنها على كلا الحالين تحدد رؤية أصحابها لحقائق الكون والحياة. ولقد أثبتت العربية مقدرتها على نقل الفكر الانساني، وتقبل الروافد الحضارية، واستعدادها لتعريب الألفاظ والدلالات.

وقد أشهد هذا لها بالمرونة، ولأهلها بالرقي، وأبعدهم عن الجمود بما أضافوا للعربية من مفردات احتاجوا إليها كما أعطوا غيرهم ما ينقصهم.. ولا عجب فهذه سنة اللغات اقتراض وتبادل.

ولمصطلح «التعريب» أكثر من معنى غير أن ما نعنيه هنا هو تعريب الكلمة الأعجمية، وقوامه : نقل الكلمة مع عرفها الأجنبي ومحاولة إنزالها على صيغ العربية وأوزانها ويقتضي هذا الانزال بعض الابدال(*) والتغيير في بنية الكلمة إما بالزيادة أو الحذف أو إبدال الحركة وأحيانا الابقاء

(*) عرف النحويون واللغويون القدامى الابدال بأنه إقامة حرف مكان آخر في الكلمة (انظر : الصاحبي في فقه اللغة ص 173، والمزهر1 / 460، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص 204).

(**) انظر القسم الأول من البحث في العدد 30.

على الأصل. وجاء في المعجم الوسيط (مادة ــ ع رب) : «المعرّب : هو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب» وعرّفه عبد الحميد حسن (الألفاظ اللغوية، ص 65) : «المعرّب : هو الكلمات التي نقلت من الأجنبية إلي العربية، سواء وقع فيها التغيير أو لم يقع».

لقد شاع العرف بين العلماء أن الكلمة المنقولة من لغة أخرى تنقل ومعها معناها في اللغة الأصلية قبل أن تعرب، قال التهانوي (ت 1158 هـ) ــ الكشاف ص 204 ــ : «المعرّب عند أهل العربية : لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع» وقد يطرأ تبدل في دلالات الكلمات المنقولة.

ويحسن بنا هنا أن نعرض باختصار لمفهوم التعريب عند أئمة اللغة المتقدمين، ثم نقابل ذلك بما قال شيخهم سيبويه (ت 181 هـ).

فالجوهري (ت 393 هـ) عرّف المعرب (الصحاح مادة ع رب) : «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، نقول، عرّبته العرب، وأعربته أيضا».

والزمخشري (ت 538 هـ)، قال في الكشاف 3 / 507 : «إن معنى التعريب : أن يجعل عربياً بالتصرف فيه، وتغييره عن منهاجه وإجرائه على وجه الاعراب».

والجواليقي (ت 540 هـ)، قال في المعرب ص 54 : «اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بَعُد مخرجه أيضا، والابدال لازم. لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم. وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب. وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أوإبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن. وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيّروه».

والسيوطي (ت911 هـ)، قال في المزهر 1 / 268 : «المعرّب : مااستعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».

والخفاجي (ت 1068 هـ)، نقل كلام سيبويه إلاّ أنه أضاف فكرة هامة في ميدان المعرّب كانت محل خلاف نظري وتطبيقي عند المتقدمين ــ قال :

«اختلف في وزن الأسماء الأعجمية فذهب قوم إلى أنها لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصلي والزائد، وذلك لا يتحقق في الأعجمية» (شفاء الغليل ص 23).

أما سيبويه (181 هـ)، فإن مقولته في التعريب قد ظلت الاطار التي مازال العلماء ينهلون منها، ولابأس من اثباتها، قال في (الكتاب 4 / 303) : «اعلم أنهم ممّا يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه. فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرْهَمٌ، ألحقوه ببناء هِجْرَع. وبَهْرَجٌ ألحقوه بسَلْهَبٍ. ودِينارٌ ألحقوه بديماسٍ. ودِيباجٌ ألحقوه كذلك. وقالوا إسْحاق فألحقوه بإعصار، ويعقوب فألحقوه بيَرْبُوع، وجَوْرَبٌ فألحقوه بِفوْعَلٍ... لما أرادوا أن يُعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يُلحقون الحروف بالحروف العربية... وربما غيّروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم، لأنه أعجمي الأصل، فلا تبلغ قوّته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم.. وربما حذفوا كما يحذفون في الاضافة، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم، وذلك نحو : آجُرّ، وإبريسم، وإسماعيل، وسراويل... قد فعلوا ذا بما ألحق ببنائهم

وما لم يلحق من التغيير والابدال، والزيادة والحذف، لما يلزمه من التغيير. وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن، نحو خراسان، وخُرّم... وربما غيّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيّروه عن بنائه في الفارسية نحو : فِرِند، وبَقّم، وآجُر، وجُرْبُز».

وإنما أطلنا في نقل هذا النص لأن كلام العلماء بعد سيبويه لم يكن في الغالب إلاّ شرحا لمجمله، أو توضيحا لما استبهم منه، أو استدراكا لما أغفله.

وإن تباين تعريفات المتقدمين للمعرّب سببها عنايتهم بيان إجراءات التغيير والتعديل لينسجم اللفظ في نطقه مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية ليصير موافقاً للذوق العام للسامعين.

ولاشك أن مقولة سيبويه تحتاج لالقاء الأضواء عليها ومقابلتها بالآراء الحديثة، فنقول :

ـــ إن المعوّل عليه في تعريب الكلمة الأعجمية هو تغير الحروف الأعجمية، أي الصوت الأعجمي، وزاد سيبويه الأمر توضيحا بقوله (الكتاب 4 / 306) : «فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم». وأحينا يمكن إلحاق الكلمة التي غيرت من حروفها بوزن عربي. أو تترك دون إلحاق أحيانا أخرى خاصة إذا كانت حروف الكلم الأعجمي من جنس العربية .

والواقع أن تطويع الأصوات الأعجمية ومواءمتها وفق أصوات العربية يأتي بالدرجة الأولى عند اقتراض الكلمات الدالة على المفاهيم الحضارية الجديدة.

أما إبدال الحرف العربي ـــ أحيانا ـــ بعربي غيره فسببه الحرص على انسجام التركيب ليتفق مع العادات الصوتية العربية. وقد يقتضي ذلك تغيير الحركات أو إبدال موضع الحرف. ولقد زاد ابن كال الأمر توضيحا فقال (ورقة 106أ) : «واعلم أن اللفظ المعرّب إن كان موافقاً لواحد من أبنية العرب، جارياً على وفق أصل من أصولهم (كَخرّم) فلا حاجة في تعريبه إلى التغيير، وإلاّ فلابد فيه من نوع تغيير، إما للالحاق بأبنيتهم كما في (درهم)، على ما تقدم بيانه، وإما للتوفيق لأصولهم كما في مهندس.. وأصله بالفارسية إندازه».

وما يؤكد أن العرب أولت الجانب الصوتي الاعتبار الأول عند التعريب أنهم اقترضوا بعض الألفاظ رغبة في التأنق ليس إلاّ، ويصدق هذا على جملة من الألفاظ المعرّبة التي لها مقابلات عربية من مثل ما أوردها (أنستاس الكرملي) في كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ص 96 ومابعدها)، وفي الفقرة التالية بيان أكثر حول هذه النقطة.

ـــ ومسلك التغيير عند سيبويه، هو تغيير صوتي يرافقه تبدل من خيث الهيئة العامة form بحيث يأتلف اللفظ المعرّب صوتيا مع طبيعة اللغة العربية في طرائق نطقها. ومعلوم أن هذا اللفظ الجديد على اللغة العربية لن يتساوى مع اللفظ الأصيل لعلة الاشتقاق في أبعادها بينهما، وقول سيبويه (اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف ما ليس من حروفهم ألبتة) فهو لا يفهم على إطلاقه، فما لم يكن من حروفهم ألبتة غيروه دون خلاف، ولكننا نلحظ أنهم ربما حولوا بعض الأصوات في الكلم الأعجمي رغم وجود نظائرها في العربية حرصا على تحقيق الانسجام الصوتي «harmony phonetic» على نحوما تم في (مهندس) حيث أبدلت السين من الزاي رغبة في إحداث التناسق مع الصوت المجاور.

ويقول السيوطي فيما ينقله عن ابن فارس (المزهر 1 / 272) : «حدثني علي بن أحمد الصباحي، قال : سمعت ابن دريد يقول : حروف لا تتكلم العرب بها إلاّ ضرورة. فإذا اضطروا حوّلوها عند

التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها، وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل(بور) إذا اضطروا قالوا : (فور). قال ابن فارس : وهذا لأن (بور) ليس من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربي عند تعريبه إيّاه أن يصيره فاء»؟

وذكر الجواليقي (المعرب ص 55) : أن العرب قالوا : (سراويل) و(اسماعيل)، وأصلها (شروال) و (إشماويل) وذلك لقرب الشين من السين في الهمس. فالضرورة الصوتية هي التي ألجأتهم هنا للابدال لثقل الشين في اللفظ كتركيب صوتي ـــ مقارنة بتغيير الحرف الواحد في اللفظ لأعجمي عندما لا يكون له نظير في اللغة العربية ـــ على نحو مسلكهم في (جاموس = گاوميش) و(ابريسم = ابريشم).

ولكن لا يطرد إبدال السين من الشين، فقد قال العرب : (شَرحبيل) و (شَراحيل) و (شِمْهيل) و(شُبارق) وهو بالفارسية (بيشباره)[1] لملاحظة عدم خروجها عن الانسجام الصوتي عند العرب. وقد أشار سيبويه لهذه المسألة، يقول[2] : «وأما ما لا يطرد فيه الابدال فالحرف الذي هو من حروف العرب، نحو سين (سراويل)، وعين (اسماعيل)، أبدلوا للتغيير الذي قد لزم، فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالاضافة، فأبدلوا من الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا، وأبدلوا من الهمزة العين، لأنها أشبه الحروف بالهمزة».

ومعنى (فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالاضافة)، أي من تشبيه الشكل = form الذي آل إليه المعرّب ـــ بعد تغيير شكله ـــ كما يحدث للفظ العربي عند النسبة كقولهم حضرمي نسبة إلى حضرموت، وبصري نسبة إلى البصرة.

ـــ وقول سيبويه : (فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم... وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم...)

لابدّ لنا أن نتساءل هنا : هل تمّ إلحاق المعرّبات على أساس الوزن الصرفي أو العرفي ؟.

لقد وردت ألفاظ من المعرّب صادفت وزنا عربيا، ولها نظائر في العربية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : جوهر. جورب. جوسق. جردق. كوسج. موزج. خندق. سوسن... وغيرها. فهذه طائفة من المعرّبات تناظر في العربية لفظ (كوثر) وبناؤها بوزن (فَوْعَل)، ولكن نواة المعنى منحصرة في (ك ث ر) والواو زائدة. والذي يبدو للوهلة الأولى تساوي المعرّب مع العربي. تُرى لو ذهبنا نتعرف على الزائد في مثل (جوهر) فهل لنا أن نقول : إن نواة المعنى هي (ج هـ ر) أو (ج و ر) أو... أو... الخ، إن البحث عن أبنية ـــ حجج صرفية ـــ لتعيين إلحاق المعرّب عمل صناعي لا طائل من ورائه. جاء في القاموس المحيط (كربس : الكِرباس : بالكسر : ثوب من القطن الأبيض، معرب فارِسيَّته بالفتح، غيَّروه لعزة (فِعلال). والنسبة كرابيسي، كأنه شبه بالأنصاري، وإلاّ فالقياس كِرباسيّ).

ـــ وواضح أن التغيير هنا لسبب صوتي لا لحجة صرفية فحسب.

لقد كان هذا مما شغل المتقدمين فسهل وصف أعمالهم بالوهم والارتجال، وعندما ننظر في ترتيب مداخل المعجم العربي نقع على مفارقات في ترتيب بعض المعربات فـ (اسطرلاب) تجدها تارة في (ل وب)، وأخرى في (س ط ر). و(ميناء) نجدها تارة في (و ن ي)، وأخرى في (م ن ي)، وثالثة في

(1) المعرّب : ص252 ـــ 253. و(شمهيل) عَلَم، قيل هو أخو العتيك و(شبارق) : ألوان من اللحم المطبوخ.

(2) الكتاب : 4 / 306.

(م ي ن). و(أنجر)[3] مرة على الأصل في الرباعي، وأخرى في الثلاثي (ن ج ر). ولنا عود لتفصيل القول في هذه المسألة.

لقد أصاب الخفاجي في قوله (شفاء الغليل ص 3) : «إن الأسماء الأعجمية لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصل والزائد وذلك لا يتحقق في الأعجمية». ومن هنا يتضح لنا قول سيبويه (ودينار ألحقوه بديماس)، فالدينار عنده دخيل جديد ألحق بديماس المعروف، وكلاهما لفظان معربان ولقد تم الالحاق على أساس القياس الابداعي عند (فرديناند دوسوسير)، أو القياس الخاطىء[4] عند العرب. وخلاصة القول أن الالحاق هنا تم على أسس صوتية لا على أساس قياسي اشتقاقي صوتي. وهو يتفق مع طبيعة التبادل بين اللغات حيث يجري النطق بعيدا عن أحكام النحاة ومقاييسهم. وهو داخل في باب ما عممه ابن جني في مقولته المشهورة : «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[5]، وقال أبو هلال في (التلخيص في أسماء الأشياء 1 / 217) : «والكلمة الأعجمية إذا عرِّبت فهي عربية، لأنَّ العربي إذا تكلم بها معرّبة لم يقل إنه يتكلم بالعجمية».

ـــ قول سيبويه (وربما لم يلحقوه...) ملحظ دقيق في جعله حد التعريب مقتصرا على نقل الكلمة الأعجمية واستعمالها على الاطلاق سواء أتمَّ الالحاق بأبنية العرب كدرهم إذ ألحقوه ب «هجرع»، أم لم يتم كخراسان، لا يثبت به (فعالان).

أقول : كأن سيبويه ومن شايعه من العلماء المتقدمين قد نظروا إلى ظروف العربية المعاصرة وقد انهالت عليها المفاهيم العلمية المستجدة بمعدل مائة مصطلح في كل يوم كما ورد عن مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط[6].

وإذا كانت أوزان العربية الأصلية لن تتسع لتضمَّ كلَّ ماتفرزه اللغات الأجنبية من مصطلحات لا يمكن حصرها فيجب ـــ حالئذ ـــ أن لا نلتزم بإقامة المعرب على وزن عربيّ بصورة كاملة. ورغم أننا نجد ألفاظا كثيرة قد عرِّبت وشاع استعمالها مع وجود نظائرها في العربية، فإنَّ هذا لم يفقد اللغة حيوتها ومرونتها لتقبل الأنماط المتجددة في الحياة. ومع ذلك لا يجوز فتح الباب على مصراعيه لكي يدخل إلى لغتنا كلُّ ما نطق به الأعاجم بل علينا أن نختار بقدر حاجتنا من مثل الأعلام الأعجمية واللباس والشراب والطعام والأثاث والأدوية وأسماء الأعيان وأعلام الجنس مما لايعرفه العرب كالاكسجين، والهيدروجين، والانزيم، والأيون. ولقد كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة متحفظا في قراره بخصوص التعريب الذي ينصُّ : «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـــ عند الضرورة ـــ على طريقة العرب في تعريبهم»[7]. وإنما قال عند الضرورة ـــ لأنه أتبعه بقرار آخر «يفضل اللفظ العربي القديم على المعرّب إلاّ إذا اشتهر المعرب»[8] ـــ كما أن بابي الاشتقاق والتوليد واسعان ولا يُلجأ إلى النحت إلاّ عند الضرورة.

---

(3) انظر : الجواليقي، المعرب ص 75، والأنجر : مرساة السفينة معرّب لنكر.

(4) هو الذي تكون فيه المشابهة بين الكلمتين قائمة على الصورة مثل توهم أصالة الياء في (أعياد) حملا على (عيد)، وجمع (معيشة) و(مصيبة) على (معائش) و(مصائب) حملا على (صحائف)، والصواب فيهما : معايش ومصايب (انظر للمزيد : عبد الصبور شاهين، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ص ص 243 ـــ 248، وحامد قنيبي، المؤنثات السماعية ص 20).

(5) الخصائص 1 / 357.

(6) عبد العزيز بنعبد الله، التعريب ومستقبل اللغة العربية، ص 29، وانظر للمذكور مجلة اللسان العربي، مجلد14، الجزء الأول1979، ص 159.

(7) نقلاً عن ملحق (مجموعة قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) المثبت في معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، أحمد شفيق الخطيب ـــ قرار رقم32.

(8) المصدر السابق قرار رقم33.

كما أقرت (ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي)(9) التي عقدت تحت مظلة (مكتب تنسيق التعريب بالرباط) في شباط (فبراير) 1981، مجموعة من المبادىء والاقتراحات عند اختيار المصطلحات بهدف الارتقاء بعلم المصطلح حتى يصبح تخصصاً لا هوىً يشارك فيه الاصطلاحيون واللغويون والمعجميون والاختصاصيون والمترجمون والاعلاميون.. ومما ورد في باب تعريب الألفاظ الأجنبية ما يأتي :

أ ـــ ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعرّبة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ب ـــ التغيير في شكله، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا.

ج ـــ اعتبار المصطلح المعرّب عربيا، يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والالحاق مع موافقته للصيغة العربية.

د ـــ تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ ـــ ضبط المصطلحات عامة والمعرّب منها خاصة بالشكل حرصا على صحة نطقها ودقة أدائها.

لقد سجل التاريخ المعجمي عند العرب أن صاحب أساس البلاغة (ت 538هـ) كان أول من خرج على شرعية عصر الاحتجاج اللغوي حين استشهد الأدباء وشعراء عصره وما قبلهم من المولدين. وكانت حجته في ذلك أن روح اللغة تكمن في تراكيبها الدلالية لا في ألفاظها فحسب. والألفاظ المعرّبة لا تشكل خطرا على اللغة ما لم تزعزع النظام النحوي والصرفي لهذه اللغة. لأنها في مستوى دون التراكيب الدلالية. واللغة ليست مجرد ألفاظ مفردة، بل هي بناء ملتحم قوامه الحروف والأفعال والأسماء تبرز في مجموعها ما تنضوي عليه اللغة من فكر وذوق وحضارة. والألفاظ المعربة تسبك في هذا البناء دون أن تؤثر على كيانه اللغوي، بل ربما زادته قوة وسعة. ودلت على مرونة العربية.

ـــ كثيرا ما تخضع الكلمات المقترضة من اللغات إلى كثير من التحريف في أصواتها مما يعدها عن صورتها الأصلية. وليس غريبا أن الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات فتغدو وكأنها كيان مستقل عندما تأتلف مع الأساليب الصوتية في كل لغة نقلت إليها حتى تصل لدرجة التباين المطلق. وبهذا الفهم أمكن تعليل صلة هجرة الألفاظ على نحو : admiral الانجليزية، وهي مأخوذة عن الفرنسية القديمةamiral. والأصل عن العربية (أمير البحر). ومثلها : arsenal الانجليزية، وهي مأخوذة عن الايطالية aresnale، وهي في التركية (ترسانة). والأصل عن العربية (دار الصناعة). و(الموسلين) لنوع من الحرير الرقيق كان يأتي من العراق واسمه منسوب إلى مدينة (الموصل). و(الزعتر) أو (الصعتر) أو (السعتر) : وهو نبات عشبي جبلي، طيب الرائحة بعض أنواعه يؤكل أخضر أويابساً مع السُّماق، ويعتبر في فلسطين غذاءً شعبياً يؤتدم به مع زيت الزيتون. وأصل اللفظ من الآرامية (زوترا)، وهو في اللاتينية satureja وانظر إن شئت في طائفة الألفاظ المعربة في بحث (الدخيل في اللغة العربية لفؤاد حسنين علي، مجلة كلية الآداب ـــ جامعة فؤاد الأول ـــ مجلد 12، 1590م).

ومن المؤكد في هذا الباب أن للعرب مقدرة خاصّة على نطق أصوات اللغات كلّها بحكم ما تتميز

(9) اقرأ تفصيل وقائع هذه الندوة في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ج 11 ـــ 12، ص 220.

به أصوات العربية من تنوع ساعدهم على «التمشي» في نطق الأصوات مهما صعبت، يقول المرحوم صبحي الصالح[10] : «والعربيـة ـــ على اتساع مدرجها الصوتي ـــ ازدادت سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتا تقاربها مخرجا أو صفة، إذ عربت هذه الأصوات الدخيلة، وحددت لها مواقعها من جهاز النطق، فلم تستعص على ألسنة العامة فضلاً عن الخاصة، فقطع بذلك الشوط الأول من التعريب : ألا وهو تعريب المادة الصوتية، وتطويعها لأصوات العربية».

ولكن هذه المقدرة وحدها لاتكفي، فلكل لغة نظامها النطقي الخاص، فالعرب قد رفضوا الصوت الأعجمي كخطوة أولى في مسلك التعريب، ثم تأتي الخطوة التالية وهي الالحاق بأبنية كلامهم، وهو الغالب، أو تركها على حالها إذا كانت حروفها من حروفهم وهذا معنى قول سيبويه (وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيّروه عن بنائه في الفارسية نحو : فِرِند، وبقّم، وآجُر، وجُرْبُز).

إن مسلك التغيير في التعريب ـــ أعني الابدال الصوتي للحروف العربية من الأعجمية ـــ لم يضبط بقوانين محددة، وإن محاولة المتقدمين وضع القواعد والقوانين لذلك لم تتجاوز كونها تعميمات غير مطردة[11] لأننا نجد لكل قاعدة استثناء، ويقول انستاس الكرملي : «إن التعريب في كل عصوره يرجع إلى عضوية لاطائل منها في نقل المعربات، أو لأن الذين تناولوه كانوا من سواد الناس، وتلقفها منهم حملة الأقلام بدون نقد، أو من باب التعصب»[12].

نفهم من قول الكرملي أن العُرف العام هو الذي يسمح بدخول المعرب إلى اللغة العربية، وأن عنصر السماع في تقبله هو العامل الأهم، ولا بدّ له من الخضوع لطبائع العربية من حذف أو إضافة أو وزن أو إيقاع صوتي متجانس مع لغة العرب حتى إذا شاع استعماله واستشرى خطوه صنف مع نظائره في الاستعمال اللغوي، وبعد ذلك يأتي دور الدرس اللغوي من قبل العلماء لتسويغ وجوده في لغة العرب إذ لا يعقل وضع مواصفات مسبقة للمعرب كظاهرة لم تتضح معالمها أو تتعين ملامحها.

ولكننا نزيد على قول الكرملي : إن الدافع إلى التعريب هو الحاجة إلى التعبير، والحاجة إلى التعبير أقوى من صحة اللغة أحيانا، فنحن نقول اليوم (سويتش = switch) للمفتاح الذي يُبدئُ عمل آلة، وكان بإمكاننا أن نقول (البادىء) = اسم فاعل فعله بدأ... ونقول (ترموجراف = thermograph ـــ المِحَرّ، اسم آلة من (حرّ)، ولكن مجمع اللغة العربية قبله من باب التعريب مع إبدال(th = ث) إلى (ت)، وجاء تعريفه في المعجم الوسيـط (1 / 85) : «جهاز يسجِّل بالرسم البياني درجة حراة الجو».

إن (البادىء) و (المِحرّ) نموذجان للألفاظ العربية سيئة الحظ في الاستعمال اليومي في حياتنا المعاصرة وذلك لقوة المصطلح الدخيل أو المعرب. ومثلهما : راديو Radio (مذياع). بريك brake (كابحة ـــ فرملة). هالو Hello (أهلاً). استنسل stencil (ورق الشمع). كربوريتر carburettor (جهاز الاحتراق). دينامو dynamo (مولـد كهربائي). hardware (مستلزمات آلية). software (مستلزمات فكرية)...

ولقد عرضت هذه المسألة لرشيد عطية في

---

(10) دراسات في فقه اللغة ص 319.

(11) انظر : المغربي، الاشتقاق والتعريب، ص 44. 83.

(12) مجلة المجمع العلمي بدمشق، المجلد الثالث ص13.

معجمه (الدخيل) فقال في (الترمومتر) ص 481 : «انجليزية من اليونانية معناها ميزان الحرارة عرّبتها بالمحرار اسم آلة من حرّ. أو نعرّبها بالنحت من مدلولها فنقول (قسحار) منحوتة من (مقياس وحرارة). هذا وإن في هذه اللفظة وأمثالها عبرة ودرساً لنا نحن أبناء الضاد، فإنّ اللفظة يونانية كما تقدم ومع ذلك لم يأنف الانجليز والفرنسيون والاسبانيون والبرتغاليون والايطاليون وغيرهم من نقلها إلى لغاتهم مشيرين في معاجمهم إلى الأصل المأخوذة عنه، ولذلك سهل على أبناء كل لغة أن ينهضوا بلغتهم جريا مع مقتضيات العصر.

أما نحن فإذا نقلنا كلمة بعد أن يتعذر وجود مرادف لها في العربية وبعد أن نشذبها لكي تنطبق على منهاج عربي قامت علينا قيامة المتعنتين، وإذا حاولنا أن نجد لها لفظة عربية تلابسها أو نشتق لها اسماً من مادة ينطبق معناها على المعنى الأجنبي أو يشبهه قلبوا شفاههم ونادوا بالويل والثبور، وقالوا قد كفرَ ـــ وأتى أمراً فرياً. فماذا نفعل وأي سبيل نسلك لكي يخفف العناء عن المعربين وكيف تنهض الأمة إذا ظلت لغتها جامدة، وهل معنى الجمود غير الموت».

لقد فات الشيخ رشيد عطية أن يضيف أن ما يحتاج إليه المصطلح الحضاري عربياً مولداً كان أو دخيلاً معرباً هو أن نكفل له مقداراً من الشيوع حتى يستساغ سماعه فيغدو مألوفا في الاستعمال اليومي.

ولفظ (السيارة) اكتسب هذه الدلالة الاصطلاحية على تلك الآلة التي تسير لسهولة التلفظ وشيوع الاستعمال، وإلاّ فليس له من صفات ال autocar إلاّ المشاركة في السير، وكثير من الأشياء تشاركه تلك الصفة.

والحق أن الذين تناولوا دراسة الألفاظ المعربة لم يستطيعوا تصنيف المعرب على نسق مطرد لأن لكل لفظ ظروفه وملابسات تعريبه من جهة، ولأن همهم كان وصف ما وقفوا عليه لا وضعه ضمن معايير ثابتة، زد على ذلك اختلاف اللغات التي تم الاقتراض منها. وفي الأمثلة التي ساقها ابن كمال ما يؤكد ما نذهب إليه. لقد كان يعوزهم المعرفة الكافية للغات الأخرى، وكان أول ما اعتمدوا عليه في تأصيل الكلمات (الأعجمية) هو السماع. فاللفظة المسموعة من العرب الاقحاح ـــ وإن تشابهت عليهم ـــ مالوا إلى اعتبارها عربية، وراحوا يبحثون لها عن أصل اشتقاقي... وإن أفضى بهم المقام إلى إدراك عجمتها لم يقطعوا في نسبة الكلمة إلى أيٍّ من اللغات تمَّ الاقتراض منها لافتقارهم إلى دليل نقلي، فاعتمدوا في ترجيحهم العجمة على ما تعارفوا عليه من قواعد يعرف بها الأعجمي من غيره. وربما اكتفوا بالقول : (لا أحسبها عربية، أو قيل كذا، أو عزوها إلى الفارسية) وفي المعرب للجواليقي تتردد كثيرا أمثال هذه العبارات، من نحوه : ليس بعربي صحيح. لا أدري أعربي هو أم دخيل. لا أحسبها عربية محضة(13)... وغيرها.

* * *

بقي أن نقول : إن تقبل ظاهرة الألفاظ المعربة أمر بدهي، وهي نتيجة الاتصال الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم. وهذه الألفاظ يمكن تقسيمها إلى جنسين : ألفاظ حضارية عامة. وألفاظ علمية خاصة. وكلاهما يخضعان عند الانتقال إلى عدة عوامل : العرف اللغوي السائد في البيئة التي انتقلت إليها الألفاظ الدخيلة، والمستوى التعليمي للناطقين

(13) انظر المعرب للجواليقي، صفحات : 242، 243، 244، 266، 269، 287، 315، 343.

الجدد، والطريقة التي تمَّ بها النقل أهو سماعي أم كتابي ؟، ودرجة إجادة اللغة الأجنبية التي نقلت منها الألفاظ وفرق بين أخذ الألفاظ من أفواه العلماء والأدباء ووسائل الاعلام الرصينة، وبين أخذها من أفواه العامة، ووسائل الاعلام الرخيصة، واللهجات المحلية، أو أشرطة الأغاني والفيديو.

يقول صاحب الاشتقاق والتعريب ص 41 : «والعرب لم يكونوا يخالطون الأعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد. ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف نحن. لذلك كانت ألسنتهم غير ممرَّنة على النطق بالكلمات الأعجمية. وأسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمتها استئناسنا نحن بهما» وفي مقدمة (المساعد 1 / 45) نقرأ تذييلا لهذه الفكرة : «إن كثيراً من تلك الكلم لما صورت بحروف عربية اختلفت قراءتها على الجاهلين بنطقها ومعناها وصحة التلفظ بها، فاضطروا إلى أن يتوهموا فيها ما أرادوا وعلى ما يوحي إليهم وهمهم وخاطرهم أو علمهم، فجاءت بعيدة عن أصولها الأولى، ووضعوا لها تفاسير غريبة ظاهرة التكلف كلَّ الظهور».

لذا فإن الألفاظ الحضارية العامة من المعربات خضعت لظروف عفوية دعت إليها ضرورة الاستعمال، وكان من الصعب وضع معيار لضبطها، أو تقعيدها فهي أشبه بكيانات مستقلة تعامل كل لفظة منها في إطار ملابسات نقلها واستعمالها، ومن أمثال هذه المعربات الحديثة مانجده من اختلاف في نطق مثل : تكسي من الانجليزية taxi، وعربيتها سيارة أجرة، وهي تلفظ ب : طاكسي. تكسي. تكس. وتلفون من الانجليزية telephone، وعربيته : الهاتف. يلفظ : تَلِيفُون. تيليفون.

والسَّلَطَة من الايطالية salata، وهي مخلوط من الخضروات والملح (حرفيا : مملحة)، تلفظ : سلاطه. صلاطه، زلاطه.

وطازه من الفارسية (تازه)، ومعناها : جديد. الطري. الجديد من الألبان والفاكهة وخلافه، تلفظ : تازة. طازجة. طازج. طاظجة... وغيرها.

أقول : إن سبب تعدد نطق مثل هذه الألفاظ هو شيوعها على ألسنة العامة والخاصة على السواء، وأنها من ألفاظ الحضارة العامة التي تخضع للعرف اللغوي السائد، والعوامل السماعية الأخرى التي صدّرنا بها هذه الفقرة... وقديماً ذكر المسعودي في مروج الذهب (نقلاً عن معجم الألفاظ الهندية المعربة ص 122) إن العرب حرصوا على الأخذ بالألفاظ المحلية في مختلف المناطق التي ترددوا إليها، يقول : «إنما نعبّر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم»... و«إنما نخبّر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم».

أما الألفاظ والمصطلحات العلمية فهي لغة طائفة مخصوصة من أهل العلم، وهم يتواضعون فيما بينهم على أسس وقواعد في التعريب. وأهم ما يميز مسلكهم في تلقي المعربات أنهم يعتمدون على الكتابة والنظر لا على السماع والنطق فحسب. وفي أروقة المجامع العربية ومن خلال جهود مجموعات اللجان المختلفة يقررون ما تكون عليه صيغة المعرّبات والمصطلحات. من ذلك قرار المجمع اللغوي بمصر إساغة بعض اللواحق الأجنبية في اللفظ : «عند تعريب أسماء العناصر الكيماوية التي تنتهي بالمقطع (ium) يعرّب ب (يوم)، (مالم يكن لاسم العنصر تعريب أو ترجمة شائعة)، كما في : ألمنيوم وبوتاسيوم وكلسيوم»

و«نحاسوز تعريباً لقولهم cuprous
ونحاسيك تعريباً لقولهم cupric

وعلى ذلك الباب كلّه. وذلك فيما اصطلح عليه أهل الكيمياء أن يدلّوا باختلاف الزيادتين ous

وic في الاسم على اختلاف حالتي كفاءة المادة الواحدة».

و«يرسم حرف G في الكلمات المعرّبة (جيما) أو (غينا) نحو : غرام، انجلترا».

و«تترجم اللاحقة logy للدلالة على العلم ب (التاء) في آخرها فيقال : جيولوجية. بيولوجية. سوسيولوجية»... وغيرها مما هو مثبت في (مجموعة المصطلحات العلمية والفنية).

وغني عن البيان أن أمثال هذه المعالجات إنما تعالج كلمات علمية، والمعنيون بها يتعاملون مع هذه الكلمات في مراجعها ومعاجمها. والرمز (مج) في (المعجم الوسيط) يشير إلى طائفة الألفاظ المعجمية، وهي جانب من الألفاظ المحدثة، غير أن هذه الألفاظ تتضمن ألفاظا معربة ومولدة ودخيلة. وكان دور المجمع في الواقع دورا أساسياً في وضعها الاصطلاحي، وتحديد مفهومها الجديد الذي يمكن أن نطلق عليه (المفهوم المقنن)، ولذلك نجد في المعجم الوسيط أن اللفظ المعجمي يصحبه دائما تعريف دقيق، أشبه بالتعريفات المنطقية[14].

أما مصادر هذه الألفاظ فنستطيع أن نميز فيها طائفة أجنبية تولاها المجمع بالتعريب، أو ارتضى تدخيلها في العربية كما هي. وطائفة من الألفاظ قامت على أساس التوسع في دلالتها بطريق المجاز، وطائفة ثالثة كان للمجمع فضل اشتقاقها أو على الأصح : توليدها على قياس اللغة، وطائفة أخيرة هي عبارة عن تعبيرات مركبة شائعة على ألسنة العوام والمثقفين فتولاها المجمع بالتحديد العلمي، حين ظهر له انتشارها وخاف من وقوع اللبس في دلالتها إذا ما تركها دون تحديد. وعليه يمكن تحديد دور المجمع إزاء هذه الألفاظ بأنه لا يعدو أحد موقفين[15] :

1 ــ إما أن يضع التعاريف العلمية لألفاظ موجودة فعلاً، عربية أو أجنبية.

2 ــ وإما أن يضع ألفاظاً على سبيل الترجمة أو الصوغ الابداعي، ثم يحدد معانيها بطريقته.

وفيما يلي عرض لأمثلة مما ورد من الألفاظ المجمعية كما وردت في المعجم الوسيط :

بلاتين : عنصر فلزي فضي اللون.

بنسلين : عقّار من العقاقير التي توقف نموّ الجراثيم، ويفيد في كثير من أمراض التقيح.

بوتاسيوم : عنصر فلزي لين من مجموعة القلويات.

جلوكوما : مرض يتميز بارتفاع الضغط داخل العين.

نِيون : عنصر غازي إذا أُمِرَّتْ فيه شرارة كهربية وهو في حالة التخلخل توهج بضوء أحمر برتقالي، وكثيراً ما يستعمل في الاعلانات والاشارات الضوئية.

لقد بلغ ما وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه حتى الآن مائة ألف مصطلح أو يزيد، والعمل مستمر.

وكذلك تفعل المجامع الأخرى. و في تصدير المجمع العلمي العراقي لمصطلحات الولادة (مجلة المجمع ج 19) ذكر لبعض القواعد التي روعيت عند صوغ المصطلحات ومنها :

1 ــ إيثار استعمال اللفظ العربي على اللفظ الأجنبي.

2 ــ إحياء المصطلح العربي القديم إذا كان

---

(14) انظر : عبد الصبور شاهين. اللغة العربية لغة العلوم. ص368.

(15) المرجع السابق، ص 369.

مؤديا للمعنى العلمي الصحيح.

3 ـــ تفضيل اللفظ العربي الأصيل على المولّد، والمولّد على الحديث، إلاّ إذا اشتهر الأخير.

4 ـــ استعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذا منه.

5 ـــ تجنب النحت ما أمكن ذلك.

6 ـــ تجنب تعريب المصطلح الأجنبي إلاّ في الأحوال التالية :

أ ـــ إذا أصبح مدلوله شائعا بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره.

ب ـــ إذا كان مشتقاً من أسماء الأعلام.

جـ ـــ في حالة الأسماء العلمية لبعض العناصر والمركبات الكيماوية.

د ـــ إذا كان من أسماء المقاييس والوحدات الأجنبية.

هـ ـــ إذا كان مستعملاً في كتب التراث.

7ـــ روعيت قواعد معينة في التعريب منها :

أ ـــ البدء بالهمزة إذا دعت إلى ذلك ضرورة تجنب البدء بحرف ساكن مراعاة لطبيعة اللغة العربية.

ب ـــ استعمال حرف الغين الذي يقابل حرف الجيم غير المعطشة.

جـ ـــ كتابة الألفاظ المعرّبة كما ينطق بها في لغتها مع إيثار الصيغة التي نطق بها العرب.

د ـــ تفضيل الصيغة الاوربية الأقرب إلى طبيعة العربية.

8 ـــ النطق بأسماء الأعلام الأعجمية وكتابتها كما ينطق بها في مواطنها ما أمكن ذلك.

ثانيا : نظرات تحليلية أخرى في رسالة تحقيق الكلمة الأعجمية.

التأصيل اللغوي Etymology مصطلح جديد في الدرس اللغوي عند العرب يُعنى ببيان الأصول اللغوية للكلم الأعجمي الذي دخل لغةالعرب كأن ينسب تلك الألفاظ إلى أصولها السامية أو الفارسية أو الهندية أو اللاتينية. والمتقدمون من الأسلاف جعلوا الاشتقاق Derivation وسيلتهم لتأصيل الكلم وتمييز الدخيل من العربي، قال أبو البقاء الكفوي (الكليات ج 1 / 179) «الاشتقاق : ردّ كلمة إلى أخرى لتناسبها في اللفظ والمعنى. وهو من أصل خواص كلام العرب، فإنّهم أطبقوا على أن التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق».

وعرّفه صاحب (اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ص 260) : «هو صوغ كلمة فرعية من كلمة أصلية على أساس قياس مطرد، كاشتقاق الصفات وأسماء الزمان والمكان ونحوها» وبناء على هذا التعريف يصبح المصدر، والفعل الماضي ـــ كلاهما صورة اشتقاقية كسائر المشتقات، لا أصلاً اشتقاقياً، كما ذهب إليه القدماء على خلاف بين البصريين والكوفيين.

ومسلك القدماء في الاشتقاق قادهم إلى تأثيل لغتهم العربية على جانب هضم حق اللغات الأخرى في باب الدخيل لأنه باعد بين أصل الدخيل ونسبته إلى لغته التي أخذ منها، ذلك لأنهم اكتفوا بأدنى سبب يمتّ إلى المعنى بصلة يطمئنون إليه يعتبرونه وجها من وجوه الاحتمال في أصل المعنى ولهذا وجدنا تعدد لغات الدخيل، ومثال ذلك : ما أورده صاحب المساعد للفظ الآبش (1 / 116) ، قال : «الآبش ـــ بمد الألف وكسر الباء بعدها شين معجمة ـــ ضرب

من الآجرّ العريض المربع الملون بألوان مختلفة، وهو المعروف اليوم في بغداد بالكاشي وعند السوريين بالقاشاني». ويستعمل لتزيين أفنية المنزل وردهاته.

واللفظ معرّب من اليونانية abakhos، أو من الرومية abacus وهو في الفرنسية abaque... «إلاّ أن الأولين لما رأوا في بناء اللفظة اسم الفاعل تصوروا أن من يكون كذلك لايكون إلاّ إذا عقل، وأرادوا أن يصلوا معاني اللفظة بعضها ببعض فقالوا ما قالوا وهو غريب. وهذه ملاحظة دقيقة ما كانت تظهر وتتجلى غوامضها للبصائر لو لم يعرف أصل الكلمة... ومن الغريب أنهم عربوا الكلمة المذكورة بصورة ثانية، وهي صورة التفخيم فقالوا في (آبش) أُحبش، وقالوا في تعريفه الذي يأكل طعام الرجل ويجلس على مائدته ويزينه (عن التاج في مستدرك ح ب ش)».

وانظر أمثلة أخرى من قبيل هذا التأصيل في المعجم الكبير، والمعجم المساعد، نحو : أسطم، أصص، برطلة، أردمون... وسنتناول أمثلة أخرى بالتحليل.

لقد أدى مسلك المتقدمين في الدخيل من خلال الاشتقاق القياسي إلى فتح باب الاجتهاد والجدل إلى ما لاطائل من ورائه مما حدا بمحمد مرتضى الزبيدى إلى القول في مقدمة التاج فيما نقله عن الجواليقي (المعرب 51) : «مما يحذر منه كلّ الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادّعى أنّ الطير وُلِدَ من الحوت» وزاد الزبيدي على هذا قوله : «وجملة الجواب أن الأعجمية لا تشتق، أي لا يحكم عليها أنها مشتقة وإن اشتق من لفظها، فإذا وافق لفظ أعجمي لفظاً عربياً في حروفه فلا تَرين أحدهما مأخوذاً من الآخر كإسحق ويعقوب فليسا من لفظ أسحقه الله إسحاقاً أي أبعده، ولا من اليعقوب اسم الطائر، وكذا سائر ما وقع في الأعجمي موافقاً للفظ العربي».

ولكن علينا أن نفرق بين النظر إلى الدخيل من باب الاشتقاق من حيث التأصيل وبين جواز القياس على الدخيل. وقد انتهى مجمع اللغة العربية إلى الأخذ بمبدأ القياس بشكل عام دون ارتباط بحدود الزمان والمكان استناداً إلى القاعدة المشهورة (أن ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب)، والأمران مختلفان، وإنما نرفض مسلك التأصيل اللغوي من خلال الاشتقاق فقط، أما القياس فهو ما ندعو إليه. وفي (مجموعة القرارت العلمية والفنية) تأكيد على أن القياس ممكن في أغلب مقولات اللغة ــ أسماء وأفعال وحروف معان ــ العربية الأصل والمعربة فنقول من الجامد في اللغة العلمية : مهدرج ومكربن ومبلمر ــ كصفات للمواد المعالجة بالهيدروجين والكربون والكبريت أو بالبلمرة... وتوسّعوا في قياسية الاشتقاق من أسماء الأعيان والمصدر الصناعي... واسم الآلة... وصيغ المبالغة والتكثير... والصفات الدالة على المرض... والصوت... والاضطراب... وغير ذلك من الصيغ القياسية التي يستعان بها لتطويع اللغة العربية لاستيعاب مفاهيم الحضارة الحديثة في جميع مجالات المعرفة العلمية والحضارية.

ولقد سلك المتقدمون في الاشتقاق من الاسم المعرب فقالوا : هَنْدَس ودرهم وخندق وجنَّق. ويمكننا اليوم أن نقول : تلفن وتلفونية من التلفون. وكهرب وكهربائية من الكهرباء. وتلفز تلفزة من التلفزيون. وأكسد من أكسيد ــ توسعا في القياس للتعبير عن معاني الحضارة والعلم.

* * *

وتأتي أهمية رسالة ابن كمال في باب التأصيل اللغوي في باب المعربات شهادة مستعرب غير عادي

فهو شيخ الاسلام في دولة آل عثمان (ت 940 هـ)، عظيم الشبه في مكانته العلمية بالامام جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) حتى وصفه بعضهم بسيوطي الترك لكثرة مؤلفاته بالعربية إذ كان ذا باع طويل في علم اللغة والفرائض والأحكام، وأتقن النحو والصرف يساعده في ذلك اضطلاعه في علم اللغة وإتقانه اللغتين الفارسية والعربية إلى جانب لغته التركية. وتبدو مكانته في اللغات الشرقية فيما أثبتناه له من مؤلفات في فصل سيرته الذاتية.

لقد حدّد ابن كمال غرضه من وضع هذه الرسالة وأنه قد جعلها للتأصيل اللغوي في البحث عن أصول الكلمات المعرّبة Etymology فهو يقول (ورقة 103 أ) : «وبعد، فهذه رسالة مرتبة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، وتفصيل أقسامه، وتمييزه عما يشابهه وليس منه فإنه دقيق جدا، قلما يُتَطَفَّن له وذلك أن العرب كما تستعمل الكلمة الأعجمية وتجعلها جزءا من الكلام بعد التعريب، كذلك تستعملها وتجعلها جزءا منه قبله».

لقد نقلنا ابن كمال إلى صلب القضية، قضية تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، ولقد ساوى بين المعرب والدخيل، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله (فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه) — ولقد سبق أن وقفنا عند هذه المسألة... لقد اتسمت دراسات المتقدمين بطغيان الجانب التطبيقي في البحث على حساب الجوانب النظرية وتحليل الأدلة التأصيلية، فدراساتهم تخلو من الدراسة التقابلية، أو الموازنة بين العربية واللغات التي اقترضوا منها. فمن الملاحظ — مثلا — أن الجواليقي (ت 540 هـ) في كتاب (المعرب) عندما كان يعزو لفظا إلى لغة أعجمية أنه كان يتوكأ على أسانيد من قول الأئمة السابقين كأبي عبيدة والأصمعي وابن دريد وابن قتيبة وابن السكيت.

وقد حفلت مقدمات كتب (المعربات) على البدائل الصوتية لما لا نظير له من الأعجمي عندهم، وما سنوه من أحكام حول الاشتقاق والالحاق بالصيغ والأوزان العربية، وهي أحكام ما تزال مصدرا للمحدثين بما تضمنته من نتائج قيّمة مستنبطة من الملاحظة المتأنية والخبرة الطويلة بدقائق العربية ومزاياها، ولكن على حساب إهمال هذه الجوانب في الألفاظ المعربة ذاتها، فالتأصيل اللغوي اتسم بالحدس والتخمين وافتقر إلى تعزيز الدراسات المساندة من نحو دراسات اللغات الأخرى، ومعرفة خصائصها، وفصائلها، والصلات بينها.

ففي مقدمة المعرب للجواليقي (ت 540 هـ) يصرح بالغرض من تأليف كتابه فيقول : «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، وما نطق به القرآن الكريم... ليعرف الدخيل من الصريح» ثم يعقد (ص 59) بابا سماه (ما يعرف من المعرب بائتلاف الحروف) — وهي عنده :

1 — الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية، نحو : جرندق...

2 — لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، نحو : الجص والصولجان...

3 — «وليس في أصول العرب اسم فيه نون بعدها راء. فإذا مرَّ بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرب»، نحو : نرجس...

4 — «وليس في كلامهم زاي بعد دال إلاّ دخيل، من ذلك الهنداز والمهندز...»

5 — «ولم يحك أحدٌ من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء، فإذا جاء ذلك في كلمة، فهي دخيل». أي (بست)، نسب إليها الامام الخطابي البستي.

والشهاب الخفاجي (ت 1069 هـ) سمّى المعرب بالدخيل، وأطلق على كتابه (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل). وكرر ما أورده الجواليقي من وسائل معرفة المعرب.

وفي المقدمة التي عقدها محمد أمين المحبي (ت 1111 هـ) لكتابه الموسوم بـ «قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل» (ورقة 2)، يقول : «... أجمع فيه كتابا حافلا يكون لبيان مفرداته كاملا، علما أن من ألّف فيه لم يستوف المقصود. ومنهم من وعد في ديباجته بأشياء فلم يوف بالموعود، وكتاب الجواليقي وإن كان جليلا إلا أنه يعد[16] الناظرين نزرا قليلا. وأما الخفاجي فإنه اقتصر على ما جنح إليه فكره، ولم يستوعب ما يلزم في هذا الشأن ذكره... فكتابي هذا قد جمع ما في هذه الكتب من مواد مذكورة، مع زيادات تربو عليها، أرجو أن لا تكون منكورة، فإني ضممت إليه المولّد، وغلط الخاصة والعامة، وبهذا تكون فائدته».

إلا أن الدارس لهذه المقدمة التي تقع في اثنتين وعشرين ورقة يلحظ أنه لم يضف إضافات أصيلة لما ورد في معرب الجواليقي، وشفاء الخفاجي. بل إنه عمد إلى النقل الحرفي لما فيهما : وكان هذا هو شأن معظم الدراسات القديمة إذ ينقل اللاحقون عن السابقين.

إن هذه القواعد التي صدر بها المتقدمون أعمالهم، كانت قواعد عامة، ولم تنضو تحتها المعرّبات جميعاً. ولعل السبب في ذلك أنهم نظروا إلى اللفظ الأعجمي من خلال اللغة العربية دون إحاطة باللغات الأخرى، يقول إبراهيم السامرائي(فقه اللغة المقارن ص 174) : «ولم يكن القول بعجمة لفظ من ألفاظ العربية عند الأقدمين مبنياً على البحث والدرس... وإنما كانت أقوالهم مبنية على الظن والتوهم. وعندهم أن كلّ كلمة لم يشتهر فيها استعمال جاهلي دخيلة، وإذا كانت دخيلة فهي[17] إن تكون عند أحدهم فارسية، وعند آخر عبرانية أو سريانية أو حبشية، ولم يهتدوا إلى أن بين العربية والعبرانية والسريانية والحبشية ولغات أخرى علاقات تاريخية. وربما عزوا كلمات دخيلة إلى العربية وأخضعوها لقوانين الاشتقاق في العربية».

كما أنهم لم يفرقوا بين مصطلحي (المعرّب) و (الدخيل). وقد جرت العادة لديهم أن أطلقوا العجمة على كل لفظ ليس من وضع العرب. أما المحدثون فقد انتهوا إلى التفرقة بينهما. والمعجم الوسيط رمز للدخيل بالرمز(د)، والمتتبع للألفاظ التي أوردها يلحظ أنها أسماء لمسميات لا علاقة لها بجذور العربية ولم يطرأ على نطقها أدنى تغيير، وعليه عرّف الدخيل (مادة د خ ل) : «كلّ كلمة أُدخلت في كلام العرب وليست منه» وزاد حسين نصار (المعجم العربي : نشأته وتطوره 1 / 71) : «الدخيل ـــ يطلق في معناه اللغوي الراهن على الألفاظ الأعجمية، التي لم تغيّرها العرب، وأبقتها على صورتها الأصلية في لغاتها، أو على بنائها الأعجمي على الأقل» وقد أشار ابن كمال إليها بقوله(... كذلك نستعملها ونجعلها جزءاً منه قبله) وقد أوضح المقصود من هذه العبارة في موضع آخر من الرسالة وذلك عندما أورد مفهوم التعريب عند كلّ من الجوهري صاحب الصحاح، والزمخشري صاحب الكشاف، وخلص إلى أنهما لم يجعلا الدخيل من المعرب بقوله (ورقة 104 ب) (مع أنه يكون جزءاً من كلام العرب).

لم يهدف ابن كمال في هذه الرسالة إلى حصر الألفاظ المعرّبة كما تعودنا من الدارسين في هذا الميدان، ولكنه رغب في تحقيق الكلمة المعرّبة على حد تعبيره. ولقد رأينا فيما قدمنا به هذه الدراسة أن السلف من

(16) كذا في الأصل ولعل الأصح أن يقال : يعد عند الناظرين، أو لدى الناظرين.
(17) كذا في الأصل ولعل الأصح أن يقال فهي تكون، أو : فهي إما تكون. ويكون مقابل ما بعد إما متأخراً. وقول السامرائي لا يقبل على اطلاقة كما سيأتي.

علمائنا قد شغلتهم مسألتا التغيير والالحاق بأوزان العرب دون أن يستوعبوا مقولة سيبويه بشموليتها() فجاءت محاولة ابن كمال تقديم تصور شمولي للتعريب لذلك نراه بعد أن بيّن صعوبة الموضوع حدّد أنواع التعريب، وجعل الكلمة المعربة في أربعة أقسام هي (103 ب) :

أحدها : مالم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلامهم كخُراسان.

وثانيها : مالم تتغير ولكن كانت ملحقة بأبنية كلامهم كخرّم.

وثالثها : ما تغيّرت ولكن لم تكن ملحقة بها كآجرّ.

ورابعها : ما تغيّرت ولكنْ كانت ملحقة بها كدرهم.

وهذه الأقسام الأربعة تتفق مع ما ذهب إليه سيبويه في مقولته التي سبق أن وقفنا عندها. وقد مثّل ابن كمال لهذه الأقسام الأربعة، فذكر من شواهد القسم الأول (معربات لم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلام العرب ـــ الدخيل ـــ) : كخراسان...

ومن شواهد القسم الثاني (معربات لم تتغير، ولكن كانت ملحقة بأبنية كلام العرب ـــ دخيل صادف وزناً عربياً ـــ) : كخرم. قز. بخت. سُختٌ. دست. بَقم. خُرّم.

ومن شواهد القسم الثالث (ما تغيرت، ولكن لم تكن ملحقة بها ـــ معرب صوتي للتجانس دون وزن) كآجرّ. زنديق. مهندس. جرموق. سرادق. سمرقند. دارابجرد. منجنيق. ابراهيم. فِرند. ابريسم. دست. ساباط.

ومن شواهد القسم الرابع(ما تغيرت، ولكن كانت ملحقة بها ـــ معرّب بالتغيير والالحاق) كدرهم. باذق. بريد. طست. موق. كسرى. دهقان. سياسة (سه يساه). كنيسة. قابوس. قيروان. بستان.

ثم انتقل بعد ذلك ليعرض نماذج من تحقيق المعرب (التأصيل اللغوي) ولا تخلو رسالته من إشارات لقضايا التعريب من نحو :

ـــ المعرب القرآني،

ـــ شروط التعريب،

ـــ الاشتقاق من المعرّب،

ـــ التوسع الدلالي في معنى المعرّب.

وقبل أن نأتي على عرض لنماذج من منهجه في التأصيل، نقول ابتداءً : إن ابن كمال قد لاحظ أن الذين تصدوا لدراسة المعرّب قد خلطوا فيه خلطاً شديداً، فرغم محاولتهم وضع قوانين يقعّدون فيها المسألة إلاّ أن عملهم ظلّ ينقصه الانضباط العلمي، فالشروط شائعة، والحدود غير جامعة، وكلّ قاعدة لها استثناء، وكلّ قول فيه خلاف. ولمّا كان متمكنا من اللغة الفارسية ـــ فضلا عن تمكنه من التركية والعربية ـــ وهي أكثر اللغات تأثرا وتأثيرا باللغة العربية فقد رأى نفسه مؤهلا للحكم في هذا الباب.

هذا، ويمكن اعتبار هذه الرسالة في منهجيا التأصيلي نموذجاً عشوائياً للحكم على أعمال المتقدمين في باب التعريب سواء في المعاجم أو كتب المعربات. ولقد كان همّ الباحثين من العرب محصورا في تعيين إلحاق الألفاظ المعرّبة بأوزان عربية، ولم يخل عملهم من تمحل وتحايل أحيانا، ومن ذلك ما نجده في المعرّب للجواليقي، إذ وضع (أنجر) في باب الألف باعتبارها فارسية معرّبة، على حين وضعها في باب النون. ولهذا

( ) فابن كمال عندما أثبت قول الزمخشري و الجوهري (ورقة105 أ) قال : إنّ الأول اشترط في التعريب التغيير عن منهاج أمثله، والثاني فقد اشترط الالحاق بأبنية كلام العرب. ثم قال : والمنقول عن سيبويه خلوه من الشرطين.

قال صاحب شفاء الغليل (ص 4) : «إن الأسماء الأعجمية لا توزن، لتوقف الوزن على معرفة الأصل والزائد وذلك لا يتحقق في الأعجمية».

وسنحاول في الصفحات التالية أن نلقي الضوء على ما اشتملت عليه الرسالة من قضايا التعريب من خلال بعض النماذج التي عرضها : على أن جميع الأمثلة التي أوردها ابن كمال تشتمل على إشارات من توهم المتقدمين في تأصيل الألفاظ المعربة، وقد أصاب في الأمثلة التالية : الشطرنج. الزنديق. الباذق. البريد. الطست. الجرموق. السرادق. دهقان. المنجنيق. كنيسة. البستان. الدست. السمند. كما أخفق في أمثلة أخرى، كما سنبين.

* * *

قال في (الشَطْرَنج) (*) «ورقة 105 ب» والظاهر أنه معرب من كلمتين : إحداهما (صد) ومعناها بالعربية : مئة، وثانيتهما (رنك) ومعناها بالعربية : الحيلة، والمراد من العدد المذكور إشارة إلى أن مبنى تلك اللعبة على الأفكار الدقيقة والحيل اللطيفة، وتبديل الكاف بالجيم في تعريب الكلمة الفارسية شائع ذائع كما في : نرجس، وجلنار، وجلنجبين. وعلى تقدير أن يكون أصله(شدرنج) ينبغي أن يكون معناه : زال الألم فإن تلك اللعبة سبب لتشحيذ الخاطر، لا ماذكره من صيرورة السعي باطلاً، والعناء هباء، لأن الأصل في هذه الأسماء الاشعار بالمدح لا الانباء عن الذم».

وقد تعقب ابن كمال أوهام المتقدمين في هذه اللفظة فكانت حصيلة جهوده :

1 — دحض رأي الحريري في إنكاره فتح الشين[18].

2 — ردّ على من زعم أنه لابدَّ في المعرب أن يردّ إلى ما يستعمل من نظائره من لغتهم وزنا وصيغة فقال : إن النحاة قالوا بخلاف ذلك مستنداً على قول سيبويه (ربما ألحقوه بأبنية كلامهم، وربما لم يلحقوه...).

3 — رفض رأي من ذهب إلى جواز اشتقاقه من (الشطر)، أو (التسطير) فالصحيح خلاف ذلك.

أقول : تظل إضافة ابن كمال في تأصيل هذا اللفظ ذات قيمة بمقابلتها بما ورد عن صاحب القاموس والخفاجي في الشفاء، وصاحب التاج، وأدى شير (ص 100)، وغيرهم. ولكن جاء في (الألفاظ الهندية المعرّبة) للباحث محمد يوسف في مجلة (اللسان العربي، مجلد5، ص 134) : «اللعبة من ابتكار الهند chaturanga». ويقول فؤاد حسنين علي (الدخيل في اللغة العربية ص 57) : «شطرنج : لعبة مشهورة يلعبها إثنان عادة. من الهندية فهي في السنسكريتية تشطورنجا : أي أربعة أقسام «أي جيش». ثم انتقلت إلى الفارسية ومنها إلى العربية.

وعند تحليله للفظ (الزنديق)(**) عرض لتفسير الجوهري له، ولكنه قال (ورقة106 ب) «سكت عن بيان أصله من لغة العجم كأنه لم يقف عليه، ووهم فيه صاحب القاموس حيث توهم أنه معرب

(*) بفتح الشين وسكون الطاء وفتح الراء.

(18) لم يذكر فيه ابن السكيت إلاّ الفتح. وإلى ذلك ذهب ابن بري أيضاً. ولا ضير في الفتح ومخالفة أوزان العرب لأنه معرب، ولا يشترط فيه أن يجيء على قواعد العرب من كل وجه.

(**) بكسر الزاي والدال وسكون النون : القائل بالنور والظلمة. أو من لا يؤمن بالآخرة، أو مَنْ يبطن الكفر (كلها حكم عن أدى شير، الألفاظ الفارسية ص 80)، وفي المعجم الوسيط (مادة «تزندق» في حرف الزاي) : من يؤمن بالزندقة، أي مذهب القائلين بدوام الدهر من أصحاب زرادشت. معرب (زنده كرد).

(زندين). والصواب أنه معرب (زنده)... وزعم الفاضل الشريف (الجرجاني) أنه معرب (زندي). حيث قال في شرحه للمفتاح وحواشيه المنقولة عنه :

* وصير العالم النحرير زنديقا *

أي مبطنا لكفر نافيا للصانع الحكيم، أو قائلاً بإلهين : خالق الخير، وخالق الشر فنسب مثل هذه الأمور إلى خالق الشرّ، وهو مذهب المجوس...».

وبالاضافة إلى هذا فقد وَهَّن تأصيل الامام المطرزي صاحب المغرب، رغم أنه ناقل عن ابن دريد. فكأنه بذلك لم يستثن أحدا من المتقدمين ثم انتهى إلى القول (ورقة 107 أ) : «وإنما رجحنا القول بأنه معرب (زنده) على القول بأنه (زندي) لأن الياء في آخر الكلمة لمطلق النسبة في لغة الفرس والهاء فيه للاختصاص والانتساب الخاص. يرشدك إلى هذا الفرق ما في (بنجه) و (بنفشه) من النسبة اللازمة إلى العدد المخصوص واللون المخصوص. وما في (شهري) و(سپاهي) من النسبة غير اللازمة إلى المكان المخصوص والصنف المخصوص... ولا يذهب عليك أن المناسب لحال المتسبين إلى (الزند) هو الثاني[19] دون الأول، ثم إن إبطان الكفر ليس من أصل معنى (الزنديق)، ولم يقصده الشاعر بقوله :

* وصيّر العالم النحرير زنديقا *

كيف والمنسوب إلى (الزند) مظهر لكفره لا مبطن له، فالفاضل المذكور لم يصب في تفسيره بقوله : مبطناً للكفر».

والجدير بالذكر أن ابن كمال التفت إلى مسألة تعميم دلالة المعرب. فلقد أباح العرب لأنفسهم تغيير معاني بعض الألفاظ المعرّبة، استجابة لحاجة، أو إرضاء لنزعة. ففي الزنديق قال الجواليقي : (المعرب ص 214 وما بعدها) : «إذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا (مُلْحِد) و(دَهْري). فإذا أرادوا معنى السِّن قالوا (دُهْري) — الأولى بفتح الدال والثانية بضمها —... قال وسألت الرياشي أو غيره عن اشتقاق (الزندقي) ؟ فقال : يقال رجل (زندقي) : إذا كان نظّاراً في الأمور. وسألت أباحاتم، فقال : هو فارسي معرّب. أي الدنيا (زنيدة) فقط إذا حيّا بالدهر» ولابد من الاشارة هنا إلى أن العبارة غير واضحة. ولقد لحظ ذلك الشيخ أحمد شاكر، وقال عندها «هكذا في النسخ المخطوطة» وفي : ب «إذ نحيي بالدهر».

وقد أشار ابن كمال إلى التوسع في كثير من الألفاظ التي حللها ومن ذلك : الدست، المهندس، الباذق، كسرى، الكنيسة، البستان، الدهقان.

فالدست في الفارسية : اليد. ويأتي في العربية لمعان عدة : اللباس. الوسادة. الحيلة. دست القمار (ورقة 116 أ).

والبستان في الفارسية من (بوستان) : موضع الرائحة. وفي العربية : أرض ذات حائط فيها أشجار (ورقة 116 أ).

وفي (الدهقان)(*) قال ابن كمال (ورقة 111 أ). «فإنه معرب (ده خان)، وهو معرب من كلمتين : إحداهما (ده) ومعناها : القرية، والأخرى (خان) ومعناها : الرئيس[20]، وقد مرّ أن في لغة الفرس يقدّم المضاف إليه على المضاف، عند جعل المركب منهما علما، فأصل (ده خان) : خانِ دِه،

---

(19) في برهان قاطع ما ترجمته : زنديك : بالفتح، يطلق على الشخص الذي يعمل بأوامر ونواهي كتاب ال (زند). ومعرّبه : زنديق. والزند كتاب (مزدك) الذي ظهر في زمان (قباذ) وأباح الفروج، فقتله أنوشيروان.

( ) في اللسان (مادة د هـ ق)، بضم الدال وكسرها : التاجر، فارسي معرّب.

(20) في كتاب أدى شير (الألفاظ الفارسية) أو دهكان.

ومعناها : رئيس القرية. صرح بذلك القاضي التفتازاني، حيث قال في شرح الكشاف : «الدهقان : رئيس القرية، ومقدم أصحاب الزراعة، وهو معرب» انتهى كلامه. وما ذكره شمس الأئمة السرخسي في شرح المبسوط من أن (دهقان) : اسم لمن له متاع وأملاك ليس بذلك، فإن قلت : فعلى ما ذكره يكون (دهقان) من الألقاب الشريفة المشعرة بالمدح والتعظيم. وقد ذكر في كتب الفقه في عداد ما يقذف به، قلت : قد تعرض الامام المذكور في الشرح المزبور لهذا الاشكال. وذكر وجه الاخلال حيث قال : لو قال لعربي يا دهقان لأحدّ عليه، وهذا من أعجب المسائل، فلفظ (الدهقان) فينا للمدح والتعظيم وقد ذكره يعني محمّداً (ابن الحسن الشيباني) في جملة القذف، وهذا لأنّ العرب يستنكفون من هذا الاسم، ولا يسمون به إلاّ العلوج، فلازالة الاشكال ذكره، وبيّن أنه ليس بقذف».

أقول : لقد اكتسب اللفظ بتعريبه صفة جديدة وقد أدّى تعريبه إلى تغيير شكله وجرسه ودلالته. فالدهقان عند العرب : الكبير من كفار العجم. وكان العرب يستنكفون من هذا الاسم، وقد غلب على أهل الرساتيق منهم، ثم قيل لكلّ من له عقار كثير : دهقان. والجمع دهاقين ودهاقنه (انظر التقريب لأصول التعريب للجزائري ص 41). وفي (المعرب للجواليقي ص 194) : « هو التاجر، أو القوي على التصرف مع حدّة».

* * *

وكنموذج لتوهم المتقدمين في التأصيل اللغوي الموفق عند ابن كمال عرضه للفظ (الطست) (108 ب) : «فإنه معرّب (طشت)، وهو لفظ فارسي، وهم فيه الامام المطرزي حيث قال في المغرب : (الطست) مؤنثة، وهي أعجمية، و(الطّسّ) تعريبها، فإنه كما لم يصب في قوله : أن الطست أعجمية لما عرف أنها معرّبة، إنما الأعجمية لفظة (طشت)، كذلك لم يصب في قوله : و(الطّسّ) تعريبها، لأن (الطس) مرخم (الطست) كما أنّ (طشّ) مرخم (طشت)، قال الشاعر الفارسي :

قطار استرديزه صَدوسي

كه بارَشْ طشت وطشخان بودنيستي

وكذا الجوهري أخطأ في قوله : إنّ الطشت عربي أصله الطّسّ بلغة طيىء، أبدلت من إحدى السينين تاء للاستثقال، فإذا جُمعت أو صغرت ردت السين، لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء، فقلت : طساس أو طسيس، وتبعه صاحب القاموس حيث قال : الطست والطسّ أبدل من إحدى السينين تاء. وصاحب المجمل أيضاً غافل عن تعريبها حيث قال : والطس لغة في الطست».

إذن جميع من تناول هذا اللفظ كان واهماً في تأصيله، ولقد أغربوا في التأويل. واستكمالاً نثبت هنا ما ورد في (شفاء الغليل ص 176)[21] : «معرّب طشت» ثم نقل ما ورد عن المطرزي دون تعليق. ولكن أدّى شير (ص 112) يقول : «الطّسُّ : إناء من نحاس لغسل اليد تعريب تَشْت، والطَسْت والطشت والطسة لغات... وفي اللسان التركي : تاس وتَسْت».

ومنها (السرادق)، فإنه معرب سراطاق، تتبع ابن كمال أوهام الجوهري فيه فقال (ورقة 109 ب) : «كأنه غافل من كونه معرّباً» وصاحب القاموس لم يحسن توجيه اللفظ. كذلك وَهِمَ الفاضل الشريف،

(21) ولم يخرج الجواليقي (المعرب ص 570) عما ذكره المطرزي.

حيث زعم أنّه معرّب(سُرابرده) وهو إسراف في التكلف والتوهم. قال ابن كمال (ورقة 109ب) : «وأصل (سراطاق) : (طاق. سرا) قدّم المضاف إليه كما هو قانون تلك اللغة، عند جعل المركب منها اسماً، مثلا يقولون : (شاه شاهان)، وإذا جعلوهما اسماً يقولون : (شاهانشاه). إلاّ أنه غير مطرد لأنهم كثيرا ما لا يغيرون الترتيب، بل يكتفون بقطع الاضافة، مثلا يقولون : (خواجه سراي) و(بستان سراي)».

لقد التفت ابن كمال في مسألة التأصيل اللغوي إلى أهمية الكواسع affixation (التصدير prefixation=) و(التوسيط = infixation) و(الالحاق = suffixation).

ومن الكواسع التي استغلها لتأييد وصمه أعمال المتقدمين بالتوهم : اللاحقة (بان) أو (ان) — وهي لاحقة تدل على الحفظ والحراسة، نحو : أبادان. اسيابان. قيروان.

و(ان) لاحقة في الفارسية القديمة تدل على النسبة أو على البلاد التي تنسب إلى العَلَم، أو علامة الجمع، نحو : خراسان. دهقان. ولكن (ستان) — لاحقة مكانية كما في (بستان) وأصلها من بو + ستان كما تقدم و(دار) تدل على صاحب الشيء، كما في (داراْبجرد).

* * *

وعلى الرغم أن ابن كمال أظهر مقدرته في تتبع أوهام من تصدروا للتعريب فعاب عليهم جهلهم باللغة الفارسية، وأنهم توسعوا في دلالة اللفظ المعرّب إلاّ أنه عندما طبق تقسيمه الرباعي لأنواع المعرب وقع في أخطاء وأوهام، ومن ذلك أن جعل أول الأقسام (ما لم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلامهم كخراسان)... إلاّ أنه سرعان ما قرر أن (التغيير معتبر في حد التعريب)(٥) (ورقة 115 أ) — فضلا على أنه لم يتقيد بتصنيف الأمثلة حسب خطته. ومن ذلك أيضاً أنه ذكر (الآجرّ) في أكثر من موضع، الأول : قال (ورقة 103 أ) : (وثالثها ما تغيرت، ولكن لم تكن ملحقة بها كآجرّ) — ومن المعروف أنه يعني بالتغيير هنا الابدال الصوتي بما يوافق الأذن العربية. أما الالحاق فيعني وضعه على وزن صرفي

---

(٥) نستطيع من تضاعيف الرسالة أن نلمح تعدد طرق الابدال التي سلكها العرب في تغيير شكل الكلم الأعجمي وجرسه. ويكفينا الاشارة هنا إلى بعض الأمثلة التي أوردها ابن كمال نضع إزاءها أصلها الفارسي :

اللفظ المعرب	الأصل الفارسي	ملاحظات
فرند	برند	ذكر الخفاجي (شفاء الغليل ص 4 — 5) : «والحروف المبدلة
دست	دشت	عشرة : خمسة يطرد إبدالها وهي : الكاف والجيم
شطرنج	شترنج	والقاف والباء والفاء. مما ليس في كلامهم وهي
سمرقند	شمركند	المخلوطة. وخمسة لا تطرد، وهي : السين
مهندس	مهندز	والشين والعين واللام والراء. وكل حرف
نرجس، جلنار	نرجس، كلنار	وافق الحروف العربية. والحاء قد تبدل
كسرى	خسرو	من الخاء. وهذا كلّه أغلبي».
قابوس، قيروان	كاووس، كاروان	
زنديق	زنده	
جرموق	جرمه	
ابريسم	إبريشم	

عربي، وهذا ماذهب إليه سيبويه من قوله : (ربما غيّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيّروه عن بنائه في الفارسية نحو : فِرِند، وبَقّم، وآجُر، وجُرْبُز).
يقول الجزائري (التقريب ص 6) : «اعلم أنهم يغيّرون الكلمة الأعجمية وقد يبقونها على حالها إلاّ أن التغيير أكثر فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا — وربما أبعدوا الابدال في مثل هذه الجروف — وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ماليس منه فيبدلون حرفا بآخر ويغيرون حركته وينقصون ويزيدون».

والثاني : ذكر (الآجرّ) كمعرّب دون بيان مكانه في التقسيم الرباعي، فقال (104 أ) : «والآجرّ : الذي يبنى به معرب»، ذكره الجوهري.

والثالث (ورقة 1) : «الآجرّ : وهو الطين المطبوخ، ذكر في المغرب والصحاح والقاموس أنّه معرّب. (وكأن الجوهري نسي ما شرطه في التعريب، من الالحاق بأبنية كلام العرب) — وهنا يستوقفنا قوله : (وكأن الجوهري نسي... الخ) ونفهم أن ابن كمال يخالف الجوهري في مسألة الالحاق، رغم أنه نقل عن الجوهري، قوله الأخير (ورقة 104 ب) (أن شرط التعريب أن تتفوه به العرب على منهاجها)... فهل (التفوه) هو الالحاق دون الابدال ؟؟. — انظر أيضا ما نقله عن الجوهري في (البخت) ورقة 115 ب.

ومن الجدير ذكره هنا أن المعجم الكبير(1 / 6) والمرجع للعلايلي ذكرا أن (الآجر) : «معرب agura آجورا السريانية أصلاً من aguraa أُجُرّ في الأكدية. (وهذه أيضا أصل آكور الفارسية) : الطين المحروق يبنى به».

وقال في (الفرند) : (ورقة 113 ب) : (ومنه الفرند : قال الجوهري في الصحاح : «فرند السيف : ربده ووشيه» ولم يزد عليه، وفي القاموس : «ربد السيف وجوهره ووشيه : معرّب». وأنت خبير أن شرط التعريب مفقود فيه).

أقول : لم يوضح لِمَ كان شرط التعريب مفقوداً فيه ؟. والكلمة بيِّنة العجمة بوزنها الغريب على العربية، واستحالة ردِّها إلى أصل اشتقاقي. جاء في المعرّب للجواليقي (ص 55) : «وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً، وربما أبدلوه باءً. قالوا : (فالوذ) و(فِرِند) — بكسر الفاء والراء — وقال بعضهم (بِرِنْد)» — أي أن صوت (الفاء) مشوبة بين الفاء والباء على نهج تلك اللغة. وفي المعرب أيضا (ص 114) : «والبِرِند : جوهر السيف وماؤه. لغة في (الفِرِند) مثل : إنه أعجمي معرب. ويمكن أن يكون عربياً، ويكون من (البَرْد)— بفتح فسكون — والنون زائدة، لأن السيوف توصف بذلك» وهذا من جملة أوهام صاحب المعرب. واللفظ في معجم ستانغس ص 244 بالباء الفارسية.(پرند= parand) ومعناه : The glittering surface of a polish sword، وكذلك في المعجم الذهبي (پَرَنْد) — بباء فارسية ثقيلة P وفتح الأول والثاني وسكون الثالث — لذا جاء في تعريبها تغيير الباء الفارسية إلى الباء العربية لا الفاء. جاء في مقدمة الجمهرة (ص 4) لدى الحديث عن كلمة (بور) إذا اضطرت العرب إلى نطقها قالت (فور) بين الفاء والباء، وقابل بالصاحبي (ص 25).

وفي المخصص (جزء 16 ص 18) : «فرند السيف، قال أبو عليّ وهو البِرَند — بكسر الأول وفتح الثاني — قال سيبويه هو فارسي معرّب».

والخلاصة أن لفظ (فرند) معرّب يمكن إدراجه تحت القسم الثالث من أقسام ابن كمال — مغيّر غير ملحق. وإذا اعتبرنا فاء (فرند) أصلية، وأن اللفظ من الدخيل المحضّ كخراسان وسوسن وسخت وبخت

فهو معرب من باب القسم الأول من تقسيمات ابن كمال.

وقال في (البُخت)(*) (ورقة 115 أ) : (البخت: قاله الجوهري ووافقه صاحب القاموس : «البَخت : الجد، وهو معرّب». ولم يصيبا في القول بالتعريب، لانه غير مغير، وقد مر ان التغيير معتبر في حد التعريب. والجوهري معترف به، ثم قال : والبُخت من الابل معرّب أيضاً...).

أقول : وعلى ما نحو ما بيّنا في (الآجر) و(الفرند) فإن حدّ التغيير يمكن تجاوزه في المعرب إذا كانت حروفه من جنس الحروف العربية. بل إن ابن كمال نفسه يقول (ورقة 106 أ) : (... واعلم أن اللفظ المعرب إذا كان موافقا لواحد من أبنية لغة العرب جاريا على وفق أصلٍ من أصولهم كخُرّم فلا حاجة في تعريبه إلى التغيير).

ذكر ابن منظور (اللسان مادة ب خ ت) : «البخت : دخيل في العربية أعجمي معرب» — ويمكن إدراجه تحت القسم الأول من تقسيمات ابن كمال.

ويبدو أن ابن كمال في هذا اللفظ شارك الأزهري فيما نقله عنه صاحب اللسان حيث قال «لا أدري أعربي هو أم لا». وفي معجم الألفاظ الهندية (مجلة اللسان العربي مجلد 10، ج 1 ص 109) — أن (البختية) لفظة هندية Bactria نطقت بها العرب قديما.

ولعل من أشد أخطائه توهمه أن لفظ (السياسة) : معرب من (سه يسا) يقول (ورقة111 أ) : (السياسة : فإنه معرب (سه يسا)، وهي لفظة مركبة من كلمتين أولاهما أعجمية، والأخرى تركية، فإنّ (سه) : بالأعجمي : ثلاثة . و(يسا) بالمغلي : الترتيب، فكأنه قال : التراتيب الثلاثة. وسبب هذا التركيب على ما ذكر في النجوم الزاهرة : أن جنكيز خان ملك المغل كان قد قسّم ممالكه بين أولاده الثلاثة وجعلها على ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها. وبقي فيما بينهم إلى يومنا هذا مع كثرتهم، واختلاف أديانهم فصاروا يقولون : (سه سيا) يعني التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيز خان، فثقل ذلك على العامة، فعربوها بتغيير الترتيب فقالوا : سياسة).

أقول : هذا قول غير محوج إلى التنبيه على ضعفه في التأويل وشططه في التأصيل. ولم أجد من وجّه هذا اللفظ هذا المنحى، ومن الغريب أن يظاهر ابن كمال فيه مقولة ابن تغردى بردى (ت 874 هـ) دون تمحيص، وهو الذي عودنا أن يقلّب جوانب المسألة من وجوهها. وحسبنا ما قدمنا من تخطئته لكبار العلماء. وتجدر الاشارة إلى الملاحظات التالية :

1 — لفظة (السياسة) بمعنى : استصلاح الخلق بإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم، أو النهج المتبع في تدبير مرافق الحياة العامة، ومنها : السياسة المدنية، والسياسة التربوية، وسياسة السوق الحرة — أقول أن اللفظ بمفهومه الحديث : مولد توليداً معنوياً، والمولد على ما جاء في المعجم الوسيط : «المولد من الكلام : كلُّ لفظ كان عربي الأصل ثم تغير في الاستعمال. أو هو اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية».

2 — اللفظ عربي فصيح متصرف وهو مصدر ساس الناس يوسهم سياسة. ورد في جمهرة اللغة لابن دريد (ت 321 هـ) : «وسُسْت القوم أسُوسهم سياسة —

(*) بفتح الباء بمعنى الجد والحظ. وبضم الباء : جمل ذو سنامين. تسمى الابل الخراسانية تجمع على بَخاتي وبَخاتى وبَخات، ويقال جمل بُختِيّ وناقة بختية.

وكذلك الدواب ــ» المجلد الأول ص 179. وقال الجوهري في الصحاح (ت 393 هـ) ــ مادة س و س ــ : «سُسْتُ الرعية سياسة وسُوِّسَ الرجل أمور الناس، على مالم يسم فاعله، إذا مُلِّكَ أمرهم». وجاء في اللسان لابن منظور (ت 711 هـ) : «وساس الأمر سياسة قام به وسوَّسه القوم جعلوه يسوسهم، أما صاحب القاموس (ت 817 هـ) فقد قال : «وسُسْت الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها. وفلان مجرّب قد ساس، وسيس عليه : أدّبَ وأُدِّبَ»

3 ــ إن بين مؤلفي الجمهرة والصحاح واللسان والقاموس وولاة جنكيز خان (ت 644 هـ / 1227 م) بوناً واضحاً من الزمن، والعجب كيف خفي هذا مع شدة وضوحه وكثرة وقوع هذه اللفظة في الكتب المتقدمة على عصر جنكيز خان.

4 ــ على أنه يمكن أن يفهم مسلك ابن كمال في تعريب هذه اللفظة (سه يسا) وهي دخيلة قد صادفت إيقاعاً صوتياً للكلمة العربية (سياسة)، ومن قبيل المصادفة أن تحمل كلاهما في الدلالة معنى الرعاية والحكم. وهذا شبيه باللفظ الدخيل تكنولوجيا Technology، والتي عُرِّبت ب (التِّقنية) أو (التكنية) للدلالة على : التطبيق العملي لنظريات العلم. يقول عبد الصبور شاهين (اللغة العربية لغة العلوم ..ص 318) : «من الواضح أن مصطلح (التقنية) قد جاء موفقا لما في أصواته من توافق بينه وبين المقابل الانجليزي..».

ثم ناقش (شاهين) احتمال عربية اللفظ بعرضها على مادة (ت ق ن) العربية وانتهى إلى أنه لا صلة له بالصيغة المحدثة (تقنية) التي جاءت بصيغة المصدر الصناعي المكون من صدر هو (تِقن)، ولاحقة هي (ية) على الرغم من الايحاء الصوتي والدلالة. ورجّح أنها معربة جاءت على وزن الكلمة العربية، وقد غيّرت فيها الكاف إلى قاف، وأُلحقت بها لاحقة المصدر الصناعي. فصارت الكلمة (تقنية) ذات الملامح العربية، ويشبهها في ذلك النسب إلى (إنسان) حيث يقال : (إنسانية Humanism). ومن الجدير بالذكر هنا أن مجمع اللغة العربية قد أجاز التوسع في قياسية المصدر الصناعي لتيسير الترجمة في نقل الكلمات المنتهية باللاحقة (ism)، أو صوغ اسم المعنى من الجوامد مثل : حمضية، مائية. عنصرية. رجولية. دخانية. دموية. مزاجية. مفهومية...

وبقي أن نقول : من المناسب مراعاة كسر تاء (تِقنية) لتدل على أصل الكلمة الدخيلة Technology، من جهة، ودفعاً لأن تلتبس ب (أتقن) من جهةأخرى ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾. ومن المعروف أن الاتقان دوما إجادة وتحسين بينما قد تحمل التقنية الجانبين، فكما نقول تقنية جيدة، يمكن أن نقول : تقنية رديئة طالما كانت التقنية هي التطبيق العملي لنظريات العلم.

5ــ إن هذا يلقي الضوء على ظاهرة تعدد لغات المعرب. والحقيقة أنها ليست لغات، إنما هي أبنية وافقت العربية في وزن أو أكثر، أو استوت مع وزن أو أكثر من حركة البناء، كما قال أبو ابراهيم الفارابي (ديوان الأدب 2 /84). فمطران مثلا ــ بفتح الأول وكسره ــ بوزن فِعلان، أو مِفعال، أو فعلان، ولهذه الكلمة نظائر في الأبنية العربية، ولعل هذا هو السبب الذي سمح بتعدد لفظها أو بنائها، كما سيأتي.

ثالثا ــ تأصيل الألفاظ المعربة

1.1. المنهجية في التأصيل :

إننا لا ننكر قيمة التأصيل اللغوي في باب المعربات، ولا نستطيع أن نتجاهل الحقائق التي كشفت عنها هذه الرسالة حين حكمت على جهود اللغويين المتقدمين إذ وضعت أعمالهم جميعها في قفص الاتهام وانتهت إلى أنهم كانت تعوزهم وسائل البحث اللغوي من وثائق تاريخية، أو معرفة جيدة باللغات التي اقترض منها العرب فعمدوا إلى تحكيم حسِّهم وملكتهم اللغوية عند الحكم على الكلمة الأعجمية فكثرت أوهامهم، ولم يقطعوا برأي فيما ادعوا عجمته.

ونحن لو عممنا ما أراد ابن كمال أن يقرره ــ ولحسن الحظ أنه لم يستطع ــ لوجب علينا أن نسدل الستار على جميع دراسات المتقدمين من الأسلاف لأنهم توهموا في تحقيق الكلم الأعجمي المعرب ــ أعني تأصيله ــ والمحدثون اليوم يرون أنّ فيما خلّفه لنا المقدمون تراثاً ــ ليس من المنطق أن نضحي به ــ نستعين فيه على مواجهة الجديد الوافد من ألفاظ الحضارة التي فاق فيها التبادل الحضاري أضعاف ما كان عليه بالأمس. وتصدّرت قضايا الترجمة والتعريب والاقتباس مكان الصدارة في المحافل العلمية، وبات البحث عن حلول مدروسة بعيدة عن الارتجال من أهم ما توليه هذه المؤسسات العلمية اهتمامها(22).

ولا ضير على المتقدمين أنهم اعتمدوا السليقة اللغوية في الحكم على المعربات فللغة العربية مزايا تنفرد بها عن سائر اللغات، وهي لغة متكاملة البناء والنضج تكفل القرآن الكريم لها بقدر عظيم من الثبات في جانبيها الصوتي والتركيبي وبنى أساسها على ركيزة الاشتقاق اللغوي(*) لذا سهل على العرب الحكم على المعرب الأعجمي لبقية فيه تشهد على غرابته عن لغة العرب، ولكن لم يكن يعنيِّهم كثيرا أن ينسبوه إلى لغته. ومن مظاهر الحسّ اللغوي في الحكم على المعرب ما نجده عند الخفاجي في «شفاء الغليل» قوله : «ومما يعرف به المعرّب اجتماع الجيم والقاف فإنهما لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلاّ أن تكون معرّبة أو حكاية صوت، فالأول نحو : الجردقة للرغيف، والجرموق والجرامقة لقوم بالموصل. وجوسق وجلق وجوالق للوعاء... والثاني كجلنبلق لصوت الباب. ولا تجتمع الصاد والجيم في كلام العرب، فالجص والصنجة والصولجان وعربيته المحجن... ولا نون بعدها راء، فنرجس ونورج معربتان. ولا زاي بعد دال فمهندز وهنداز معربة ولذا أبدلوها سيناً وهو معرب اندازه...»(23)

والباحث لا يقدم شواهد على تقصير المتقدمين عن الاحاطة بتأصيل الألفاظ الأعجمية. وقد يكون لموقف الأئمة من مسألة المعرّب في القرآن ــ بكل ملابسات هذه القضية ــ وتباين آرائهم فيها نقطة البداية في باب التقصير هذا. ولكننا لو ذهبنا ننظر في قيمة أعمالهم لرأينا أنهم آثروا الدراسة الوصفية على جانب التحليل النظري واكتفوا بالتطبيق وبتدوين الدخيل والمعرّب. وعندما كانوا يتقحمون على البتّ في أصل لفظة أعجمية فإما أن يلجئوا إلى النقل بالأثر

(22) كان آخرها ما يقوم به مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض منذ 1983 م من إعداد دراسات عن قضايا الترجمة ومشكلاتها وحلولها بهدف تكوين أكاديمية قطرية للترجمة والتعريب فضلاً عن جهود مجامع اللغة العربية الستة ــ آخرها مجمع الجزائر1986 ــ بالاضافة إلى جهود مكتب تنسيق التعريب في الرباط (انظر : محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات... ص ص 13 ــ 14).

(*) إن تجمع الألفاظ العربية في أصل واحد ــ ثلاثي غالباً ــ بتنظم فروعها يعتبر معياراً للتمييز بين الأصيل والدخيل إضافة لتذوق العربي وأصالة حسه تفني.

(23) شفاء الغليل بتصحيح النعساني، مطبعة السعادة ص 7، وقابل بالمعرب للجواليقي ص59 .

كأن يقولوا : عن فلان عن فلان... أو يقيسوا اللفظ الأعجمي على نظائر أصوله العربية متكئين على مزايا العربية في أصواتها وأبنيتها وأوزانها، أي أن مسلك التأصيل عندهم لم يكن ليكشف عن أصل الكلم الأعجمي في لغاته بقدر ما كان يكشف عن أسرار العربية وقدرتها لتحمل مرادفاتها بذور معاني ألفاظ اللغات الأخرى. ومازال هذا المسلك في التأصيل جاريا لدى بعض المحدثين. ونعرض فيمايلي أمثلة للطائفتين :

. (الأُطْرَبون) :

قال الجواليقي في المعرب(ط. دار الكتب ص 74) : «والأُطْرَبون : كلمة رومية[24]، ومعناها المقدم في الحرب. وقد تكلمت به العرب، قال عبد الله بن سَبْرَة الحَرَشي[25] :

فإن يكن أطربون الروم قطّعها
فقد تركت بها أوصالَه قطعا
وإن يكن أطربونِ الروم قطّعها
فإنّ فيها بحمد الله منتفعا

يعني أصابعه».

وقال صاحب تاج العروس (مادة ط ر ب) : «والأطربون : البطريق. كذا في شرح الأمالي للقالي. وحكي عن ابن قتيبة : أنه رجل رومي. وذكره الجواليقي. وقال ابن سيده : هو الرئيس من الروم. وقال ابن جني في حاشيته : هي خماسية كعضرفوط فعلى هذا وضعه النون والهمزة. والصواب : أن وزنه أفعلون من **الطرب**. وهذا موضع ذكره. استدركه شيخنا».

وشرح المادة يعقوب بكر (دراسات مقارنة في المعجم العربي ص 70) : «أصل كلمة الأطربون لاتيني هو tribunus. فتطلق هذه الكلمة في الاصطلاح العسكري على كلّ من القواد الستة الذين كانوا يتناوبون قيادة الفرقة من فرق الجيش الروماني، كلّ منهم شهرين في السنة. وترد الكلمة اللاتينية في السريانية أيضاً : طريبُونا، وكذلك في الآرامية اليهودية طريبُونوس».

ثم ذكر أن المؤرخين العرب قد خلطوا بين لقب قائد الروم ـ أطربون ـ والأرطبون وهو اسم علم (حاكم الروم على بيت المقدس إبّان فتح االعرب لفلسطين. وقد اشترك في معركة أجنادين[26] سنة 13 هـ، والتي هُزم فيها الروم). وخلص أن اسم العلم ـ أرطبون ـ محرف (أربطيون) وأن هذا التحريف أعان عليه الخلط بين العلَم وبين الأطربون بمعنى القائد عامة.

وعلق أنستاس الكرملي (المساعد1 / 247) على ما ورد في تاج العروس بقوله : «قلنا الأطربون غير البطريق... وقول ابن جني أنه خماسي هو القول الحق الذي لا ريب فيه. وأما قول الشارح : أن وزنه أفعلون من الطرب، فالقسم الأول من عبارته صحيح، أي أن وزنه أفعلون. وأما القسم الثاني أنه من الطرب، فهو الخطأ بعينه، لأن الكلمة ليست عربية بل هي رومية (لاتينية) tribunus وهو حاكم عند الرومان... وهل يعقل أن الرومان يسمون رئيساً من رؤسائهم باسم عربي ؟ هذا لا يعقل، فموضوع ذكره إذن في (أ ط ر ب و ن) لأن جميع أحرف

(24) في شفاء الغليل ص 35، معرب اتربوس. والصحيح «تريبونوس». كما حققه صاحب المساعد 1 / 247.

(25) مجاهد في عصر صدر الاسلام، شارك في فتوح بلاد الشام، قاتل بطريقاً من الروم، فاختلفا بضربتين، فقتل عبد الله الرومي، وقطع الرومي أصابع عبد الله، فرثاها بأبيات منها هذان البيتان (الأمالي 1 / 47 ـ 48) وفي الطبري برواية أرطبون الروم (نقلا عن المعجم الكبير 1 / 347).

(26) قرية بفلسطين جنوب الخليل على طريق بيت جيرين وغزة، يطلق عليها العسكريون باب فلسطين لموقعها الاستراتيجي المتميز منذ غزوات الفراعنة وانتهاء باحتلال الانجليز لفلسطين في مطلع القرن العشرين. وفي واقعة أجنادين المشهورة سنة13 هـ انتصر المسلمون على الروم، وفيها قال زياد بن حنظلة :
عشية أجنادين لما تتابعوا ... وقامت عليهم بالعراء نسور.

الكلمة الدخيلة أصول كما اتفق عليه جمهرة اللغويين بلا شاذ منهم. (وقال) : وكنت قرأت في أحد كتب الأدب : أن الأطربون رئيس الروم، وسمي كذلك لأن رؤساءهم كثيرو الطرب، ومن الغريب أن ينطق أديب بهذا التعليل، فهل كان الرومان يحسنون العربية حتى يشتقوا هذا الاسم من العدنانية... فتأمل ظاهر الوهم والتصحيف».

و (القُلْزُم) :

جاء في لسان العرب مادة (ق ل ز م) : «وبحر القلزم مشتق منه (أي من القلزمة وهو الابتلاع) وبه سُمي القلزم لالتهامه مَنْ ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله. قال ابن خالويه : القلزم مقلوب من الزلقم وهو البحر. والزَّلْقَمَة الاتساع. وقوله :

* قد صبَّحَتْ قُليزماً قذوماً *

إنما أخذه من بحر القلزم شبه البئر في غزرها به وصغرها على جهة المدح».

وقال أيضاً في مادة (ز ل ق م) : «ابن بري : الزَّلْقَمة : الاتساع، ومنه سمي البحر زلقما وقلزما. عن ابن خالويه».

جاء في المساعد (1 / 217) : «لما أنشىء ثغر القُلزم وهو باليونانية «klysma» وكان بقرب أرسِينُوَة = Arsinoe سمي بحر القلزم ومعنى القلزم : الموطن الذي تضربه اللجج» وكرر القول في الجزء الثاني ص 157 : «... لأن القلزم، هو السد باليونانية، وقد سُمي به الثغر».

ومما يؤيد ماذهب إليه الكرملي من إطلاق التسمية باسم السدّ حيث تضطرب الأمواج تسميتهم البحر الأحمر بالبحر الباكي حيث ينتهي بباب المندب... باب البكاء والعويل[27].

ومنه (إلياس) :

جعله ابن دريد عربيا، فقال في (الاشتقاق ص 30) : «يمكن اشتقاق إلياس من قولهم : يئس ييئس يأسا، ثم أدخلوا على اليأس الألف واللام. ويمكن أن يكون من قولهم : رجل أَلْيَسُ من قوم لِيسٍ، أي شجاع، وهو غاية ما يوصف به الشجاع. هذا لمن يهمز إلياس. والتفسير الأول أحبُّ إليّ».

ومع إقرار صاحب الصحاح بعجمته إلاّ أنه أورده في مادة (ألس) قال : «وإلْياسُ : اسم أعجمي، وقد سَمَّت العرب به، وهو إلياس[28] بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان».

وجمع شهاب الدين الخفاجي الرأيين السالفين مع تقارب في اللفظ، فقال في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ص 30) : «إلياس : اسم نبي واسم جد للنبي ﷺ غير عربي. وقيل : عربي، وزنه فعيال من الألس وهو الخديعة واختلاط العقل، أو أفعال من رجل أليس أي شجاع لا يفر. وقيل : سمي باليأس ضد الرجاء، ولامه للتعريف وهمزته همزة وصل... وسمي السل : داء إياس وداء إلياس، لأن إلياس مات منه. ذكره الحلي».

وفي المعجم الكبير (1 / 454) : «إِلْيَاس : في التوراة Eliyyahu إلياهو، أو Eliyya إليّا : الله يهوه : من كبار الأنبياء اليهود... وورد ذكره مرتين في القرآن الكريم : في قوله تعالى : ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ (الأنعام 85) : ﴿وإنّ إلياس لَمِنَ المرسلين﴾ (الصافات 123).

---

(27) انظر : الكرملي، نشوء اللغة العربية ص 84.

(28) كذا في الصحاح بكسر الهمزة. وفي القاموس (مادة ي ء س). «والْيَأْس ــ بهمزة الوصل ولام التعريف ــ ابن مضر بن نزار : أوّل من أصابه اليأس محركة : أي السل».

والياسين : لغة في إلياس، وفي القرآن الكريم : ﴿سلامٌ على إلياسين﴾ (الصافات130)».

وفي قاموس الكتاب المقدس ص 144 : «إيليَّا ــ بكسر الهمزة والياء الأولى واللام وتشديد الياء الثانية مع الفتح ــ اسم عبري ومعناه « إلهي يهوه » والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي إلياس وتستعمل أحيانا في العربية».

أقول : اختلف الأسلاف ممن ذكرنا في تأصيل هذا الاسم العلم، ولكن ابن دريد جعله عربياً محضاً مشتقاً وذكر له لغتين أولاهما من (ألس) في لغة من يهمزه. والثانية من (يئس) في لغة من لا يهمز. رغم أن الجواليقي (المعرّب ص 61) يقرر أن «أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً أعجمية نحو : إبراهيم وإسماعيل وإسحق وإدريس وإسرائيل وأيوب إلاّ أربعة أسماء، وهي : آدم وصالح وشعيب ومحمد». إلاّ أنه لا يذكر لنا الأصل الذي أخذت منه هذه الأسماء، بل يتجاوز ذلك ليعرض علينا احتمالات اشتقاق بعضها من العربية فإسحق أعجمي وافق لفظا عربيا مشتقا من متعدي سحق (إسحاقا). وأيوب من (الأوب) لأنه لا مانع من مجيء الأعجمي على مثال لا يكون في العربي[29].

إن هذه المسألة قديمة في الدراسات اللغوية، ولقد انتهى إلى حل إشكالها أبو عبيد القاسم بن سلاّم، عالم الفقه والحديث واللغة (ت 224 هـ) فهو القائل فيما ينقله أبو حاتم الرازي عنه[30] : «الصواب عندي ــ والله أعلم ــ أن هذه الأحرف أصولها أعجمية إلاّ أنها سقطت إلى العرب، فعرَّبتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية. ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الألفاظ بكلام العرب على التعريب...

قال : ومن أسماء الأنبياء في كتاب الله : إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى إنما هي بالعبرانية وبالسريانية : أبروهم واشموئيل وميشا وإيشوا فعربتها العرب... قال : فهذه الأسماء التي ذكرناها كلها عجمية الأصول عربية الألفاظ. من قال إنها عجمية فقد صدق، ومن قال إنها عربية فقد صدق، لما فُسِّرت من الأصل واللفظ».

وإنما أطلنا في إثبات هذا النص لنقرر أن المتقدمين مع إدراكهم أن الأعلام في أسماء الأنبياء ممن ذكرنا أعجمية إلاّ أنهم ما زالوا يغربون في تأصيلها ويتكلفون في تأويلها على نحو ما شهدنا عند الخفاجي وقد عدد لغاته : من الألس، أو من رجل أليس، أو اليأس.

ومما لا شك فيه أنهم أسرفوا في التكلف والتوهم لاجماع الغالبية بأعجمية إلياس ــ مثلاً ــ ولادراكنا في ضوء الدرس اللغوي الحديث أنها يونانية (إلياس). ولعل العرب آثروا اللفظ اليوناني على الأصل العبري (إلياهو أو إيليا) لما وجدوا من يُسر في نطقه على نحو قولهم : (يونس) لا (يونان).

ولقد عرض ابن كمال لمسألة وقوع المعرّب في الأعلام القرآنية في إبراهيم ونحوه، ولكنه لم يقطع فيها برأي سوى أنه أثبت نصوصا لبعض من عرض له من العلماء ثم راح يوهِّن آراءهم من مثل قوله : «وفي القاموس[31] : إبراهيم، وإبراهام، وإبراهوم، وإبراهِم ــ مثلثة الهاء أيضا. وإبْرَهُم ــ بفتح الهاء بلا ألف : اسم أعجمي» ــ ثم عقب على ذلك فقال ــ أي ابن كمال ــ : «وعلى هذا لا يكون إبراهيم معرّبا» فكيف لا يكون معربا وقد صرّح صاحب القاموس

---

(29) انظر : الجواليقي، المعرب ص 62 و63.

(30) الزينة في الكلمات الأعجمية ص 139 وما بعدها من الجزء الأول.

(31) الفيروز أبادي مادة (البرهمة).

في المساعد 1 : 109 : «إبراهيم الخليل : معناه أبو الجماعات، وهي عبرانية مأخوذة من (اب) و(رهيم) جمع رهو كالعربية، ومعناها الجماعة الكثيرة».

أنه أعجمي وقد ذكر لغاته ولكنه لم يبيّن أصله.

ثم عرض لآراء الفاضل المحقق سعد الدين التفتازاني (ت 791 هـ) وهو من القائلين بوقوع المعرّب في القرآن الكريم وقد استدل على ذلك بإجماع أهل العربية على أن منع الصرف في (إبراهيم) ونحوه للعجمة والعَلمية (ورقة 114 أ) ولكن ابن كمال يختلف معه في شروط التعريب من حيث التغيير أو عدمه في الأعلام خاصّة، وفي أسماء الأجناس بشكل عام.

وذكر موقف الزمخشري في هذه المسألة من خلال قول الأخير[32]: «ويوسف اسم عبراني، وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف. فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ يوسِف — بكسر السين — أو يوسَف — بفتحها —، هو يجوز على قراءته أن يقال: هو عربي لأنه على وزن المضارع والمبني للفاعل، أو المفعول من (أسف)، وإنما انصرف للتعريف ووزن الفعل؟ قلت لا، لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى، ونحو يوسف — يونس، رويت فيه هذه اللغات الثلاث».

وهنا أيضا لم يقطع ابن كمال برأي في صحة التأصيل الذي ذهب إليه الزمخشري رغم عادته في الأمثلة التي تناولت القضايا الأخرى في باب التأصيل اللغوي أن يدلي برأيه أو لا يخجل من رمي الآخرين الوهم أو الغفلة أو الخطإ[33]... ولكننا نعثر على قوله بعد ذلك (ورقة 114 ب): «ومن اللطائف الاتفاقية أن الأسف في اللغة: الحزن، والأسيف العبد، وقد اتفق اجتماعهما في يوسف عليه السلام» وشبيه بهذا التعقيب قوله بعد عرض وجهة نظر صاحب الكشاف حول منع صرف (طالوت) للعجمة والعلمية وتوهين رأي من قال أنه مشتق من «الطُول لما وصف به من البسطة في الجسم. إلاّ أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلاّ أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا» (ورقة 115 أ).

ويمسك ابن كمال بطرف عبارة الزمخشري (إلاّ أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا) فيقول في نفس الموضع: «ولك أن تقول فعلى هذا لا وجه لقطعه بعدم صحة اشتقاق إدريس[34] من الدراسة، وإبليس[35] من الابلاس، ويعقوب[36] من العقب، وإسرائيل[37] من إسرال».

ولا نملك بعد العرض لهذه المسألة إلاّ أن نقرّر أنها مسألة اتّسعت لاختلاف الآراء، ورغم أن الجميع متفق على وقوع التعريب في أسماء الاعلام في القرآن الكريم إلاّ أنهم اختلفوا عندما ذهبوا يحققون أصول هذه اللغات في مواطنها...

والذي يبدو لي أن السبب الذي قادهم إلى التماس علّة الاشتقاق في ألوان هذه الطائفة من الأعلام ممن ذكرنا إنما تنتمي إلى العائلة اللغوية الواحدة Family of Language، ألا وهي الساميّة، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى فإنهم عندما عجزوا عن ردّ هذه الأعلام إلى أصولها انكفأوا على اللغة العربية فنظروا إلى اللفظ الأعجمي من خلال اللفظ العربي ومرادفاته، وطاقاته الاشتقاقية فتكشّف لهم ترف

(32) الزمخشري، الكشاف 2 / 301.

(33) انظر في الرسالة مواطن عرضه للشطرنج والزنديق والباذق ونحوها.

(34) قال الزبيدي في التاج (مادة درس): «ادريس النبي — ﷺ — ليس مشتقاً من الدراسة في كتاب الله عز وجل كما توهمه كثيرون ونقلوه، لأنه أعجمي واسمه خَنُوخ وقيل خنوخ. وقال أبو زكرياء (يعني الفراء)، هي عبرانية، وقال غيره سريانية أو احنوح كما في كتاب النسب».

(35) الكرملي، المساعد 1 / 121 «ابليس من اليونانية Epiaes التي معناها الشيطان».

(36) قاموس الكتاب المقدس ص 1073: يعقوب اسم عبرى معناه يعقب.

(37) نفس المصدر ص69: إسرائيل اسم عبري معناه يجاهد مع الله.

العربية وغناها. ولكن الوضع بالنسبة إلى ألفاظ الأجناس أكثر مفارقة وأبعد إغراباً.

يقول المرحوم صبحي الصالح : ورغم أن الاشتقاق وسيلة رائعة للتمييز بين الأصيل والدخيل... «ولكن علماءنا عطلوا هذه الوسيلة وأبطلوها بجنوحهم مثلاً إلى عربية (الفردوس) لنزول القرآن بها، حتى اشتقوها من (الفردسة) بمعنى السعة، وكان عليهم أن يعترفوا بأن الفردسة مشتقة من اللفظ الأجنبي (الفردوس). وقل مثل ذلك في الاستبرق والسندس وسائر ما ورد في القرآن من الألفاظ الأعجمية المعرّبة التي أذهب القرآن عجمتها باشتماله عليها». (دراسات في فقه اللغة ص 318).

والاشتقاق في العربية شديد المرونة، وتصرفوا بالألفاظ الدخيلة، واشتقوا منها أفعالاً فقالوا قديماً : دوَّن. يدوِّن من (الديوان). وقالوا : بَهْرَجَ من (البهرج)، وَنوْرَزَ. نيززةً. منورز. منبرز من (النوروز). ودنَّر وجهه من (الدنبار). ودبّج من (الديباج). وقناطير مقنطرة وغيرها كثير.

وفي مجموعة القرارات العلمية والفنية التي أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجامع المماثلة صور قياسية تهدف إلى التوسع في باب الاشتقاق من الجامد عند الضرورة كقولنا هدرج ومهدرج للدلالة على صفات المواد المعالجة ب (الهيدروجين) (قرار رقم 40). كما أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان : — الأماكن. القبائل. أعضاء الجسم. الحيوان. أسماء مختلفة — من ذلك : مكهرب. ممغنط. مبْطُون من (البطن). ممعود من (المعدة). وبقعة مُزَيْتنة (كثيرة الزيتون) (قراز رقم26). والتوسع في استعمال المصدر الصناعي، وذلك لنقل الاسم من الذات إلى الصفات، أي للدلالة على الصفات المجردة مثل : حمضية. حساسية. تربوية (قرار رقم 3). وانظر قراراته : في صياغة اسم الآلة، والحِرَف والاحتراف، والمرض، والصوت، والاضطراب، والاشتراك.. وغيرها.

2. 1. تداخل دلالة الأصيل والمعرّب :

قال الجواليقي[38] : «الزَّرَجُون : — بفتح الزاي والراء وضم الجيم — الخمر. فارسي معرّب وأصله (زرّكون)، أي لون الذهب... وقال النضر بن شميل : الزرجون : شجر العنب، كل شجرة زرجونة... وقال الليث : الزَّرجون بلغة أهل الطائف وأهل الغور : قُضبان الكرم».

وذكر الفيروز أبادي المعاني السابقة ولكنه اعتبر اللفظ من أصل عربي وأورده في مادتي (زرج) و(زرجن) فقال : «زرجه بالرمح زجّه. والزرج في بعض اللغات : حلبة الخيل وأصواتها... والزَّرَجون : المطرُ الصافي المستنقع في الصخرة. والزرجنة : التخارج والخبُّ والخديعة».

وذكره صاحبا (لسان العرب وتاج العروس) في مادة، (زرجن)، فقال ابن منظور : «الزَّرَجون — بتحريك الزاي والراء وسكون الراء — الماء الصافي يستنقع في الجبل، عربي صحيح. والزَّرَجُون — بالتحريك وضم الجيم — الكرم...».

أقول : اللفظ فارسيّ معرب، ومعناه الأصلي ذهبي اللون مكونة من زر = ذهب + گون (جون) = اللون. وقد تضافرت الشواهد على عجمته[39]. ولكن اللفظ المعرّب اختلط بأصول أخرى فتعددت دلالاته، وولّد غموضاً في تحديد معناه بشكل عام. فالجَوْن من ألفاظ الأضداد يعني

---

(38) المعرَّب : ص 203.

(39) انظر أيضاً الصحاح، وشفاء الغليل للخفاجي ص112، والخصائص لابن جني 1 / 359.

الأبيض والأسود[40]. ولكن تداخلت أكثر من دلالة في هذا اللفظ المعرب فتولد مادة جديدة هي (زرج)، وكان مولدها سبباً في إحداث معانٍ جديدة.

ولو ذهبنا نستقرأ كتب التراث لوقعنا على أمثلة شبيه بهذا اللون وقد ألمعنا إلى أمثلة منه في نحو اشتقاق إسحاق من (أسحق)، وإبليس من (الابلاس)... وغيرهما.

ومن ذلك قولهم في (النُمّيّ)[41] ـــ بضم النون وكسرها ـــ قال الجواليقي (المعرب ص 378) : «النُمِي : بالرومية : فلـــوس رصاص كانت تتخذ أيام مُلك بني المنذر، يتعاملون بها».

وقال الفيروز أبادي (القاموس مادة ن م م) : «والنُمِّيّ ـــ كقُمِّي ـــ : الخيانة. والعيب. وصنجة الميزان. والعداوة. والطبيعة. والفلوس، أوالدراهم التي فيها رصاص أو نحاس، الواحدة بهاء، ج نمامِيّ. وجوهر الانسان وأصله وما بها نُمّيّ : أحدٌ. والنُمِّيَّة بهاء : الفاختة».

اللفظ من الرومية كما ذكر الجواليقي وهو ناقل عن ابن دريد في الجمهرة (3 / 502) ولكن الـزمخشري يقـــول في الفائـــق (4 / 28) : «النُمِّية : الفلس وجمعها نمامي، كذُرِّية وذراري. ويقال النُمّي ؛ سمي بذلك لأنه من جوهر الأرض، وهو الصُفر أو النحاس أو الرصاص. يقال لجوهر الرجل نُميّة... لأنه ينم عليه في أفعاله ومخايله».

فرغم أن اللفظة رومية إلاّ أنها التقت N المادة العربية (ن م م) فلم تعد دلالتها مقتصرة على القطعة من العملة مطلقاً بل تطورت للتّسّيع لهذه المعاني التي ذكرها كلٌ من الزمخشري والفيروز أبادي. وكل هذا حاصر الأصل اللغوي للمعرب أو طمس ظلال دلالته الأولى ومن هنا كان التأصيل في مثل هذه الألفاظ عسيراً.

صحيح أنَّ انقطاع الصلة المعنوية بين اللفظ المعرّب وبين إحدى مواد الألفاظ العربية يغلّب على الظنّ عجمة اللفظ على نحو ما بين (الحرباء) و(الحرب)... ومن المفروض أن يكون فقدان الصلة اللفظية بين المعرّب والجذور العربية دليلا على عجمية اللفظ.

ولكن ربما اشتق العرب من اللفظ الأعجمي مادة جديدة ثم تقادم الزمن على استعمالها حتى عادت عربية فصيحة من مثل ما حدث للفظة (الديوان) فقد قلب العرب استخدامها فاشتقوا منها الفعل (دوَّن) ـــ بالتشديد ـــ : كتب. ديوان الرسائل وديوان الموظفين. الدواوين العلمية. لغة الدواوين. الديواني. تدوين. المدونة والمدونات (انظر تكملة المعاجم العربية ـــ الترجمة العربية ـــ 4 / 452) وقابِل بالمعرّب للجواليقي ص 202 حيث نقل عن الأصمعي : «أصله فارسي... أي الشياطين، أي : كتّاب يشبهون الشياطين في نفاذهم. و(ديو) هو الشيطان». ونقل الشهاب الخفاجي في الشفاء ص 119 عن المرزوقي في شرح الفصيح، قال : «هو عربي من (دّونتُ) الكلمة : إذا ضبطتها وقيدتها؛ لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون. هذا هو الصواب، وليس معرباً». أقول : ونستحدث اليوم لفظة (تلفاز) تعريباً للتلفزيون ونشتق منها (تلفزَ) ونقيس منها تلفزة. متلفز. تلفازات. وما ندري ؟ فلعل (التلفون ـــ تلفن) تدخل متن اللغة ويأتي نظير المرزوقي ليستنكر التعريب فيهما !!

والقرائن التاريخية أكثر فائدة في هذا الباب. فإذا ورد لفظان متقاربان في الصوت والجرس،

(40) انظر : ابن فارس، مقاييس اللغة1 / 496، والألفاظ الفارسية المعربة لادى شير ص 7، ولقد رفض ابن فارس عجمة اللفظ ولكنه استدرك في نفس الموضع فقال : الخُوْنة : الشمس، ولعلها تكون معربة.
(41) انظر مزيد من الأمثلة : معجم المساعد لأنستاس الكرملي : الأه بمعنى جلدة الرأس، الأنيسة، الاستمارة.

والمعنى في لغتين... وكان بين أهل هاتين اللغتين صلات متبادلة من تجارة، أو صناعة، أو سياسة. جاز لنا الظنّ أن إحداهما اقتبست من الأخرى... فإذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل، أو المصنوعات، أو الأدوات، فيرجّح عندئذ إلحاقه بالسابقة إلى ذلك كـ(الصندل والمسك) . فإنهما موجودان في عدة لغات. ولكننا نعرف أن موطنهما الهند والصين، وأن التجار القدماء حملوهما إلى الأمم القديمة مرورا ببلاد العرب، وعندها يترجّح لدينا أنهما هنديا الأصل رغم أن العرب عدوا المسك فارسيا(انظر : الجواليقي، المعرب ص 373)، ولكن الفرس اعتبروه عربياً (التونجي، المعجم الذهبي ص 545). والأوربيون اعتبروه عربيا كذلك (زيغرد هونكه، شمس العرب... ص 556).

ويقال مثل ذلك في كثير من الألفاظ وعلى سبيل المثال انظر قائمة زيغرد هونكه في كتابها السالف الذكر(ص ص 552 ـــ 559) حيث ذكرت : زمرد. بادزهر. بورق. جبس. ديوان. فندق. كافور. قيثار. زنجبيل، ياسمين...وغيرها.

إن مسلك التعريب تحدده ظروف الاتصال الحضاري بين الأمم ويدخل فيه عوامل التاريخ والسياسة والتجارة وانتقال العادات والتقاليد وأكثر ما يكون في الآلات وأصناف الطعام والشراب واللباس. جاء في (المسالك والممالك) نقلا عن (معجم الألفاظ الهندية المعربة) في وصف لغة التجار القدامى (ص 120) : «كانوا يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والأندلسية والصقلبية. وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً، يجلبون من المغرب : الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف. ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما Pelusium ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم... ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدّة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما، ثم يركبون البحر الغربي فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم... كل ذلك متصل بعضه ببعض»[42].

وشبيه بلفظ (المسك) بعض ألفاظ الحضارة التي روّجها عالميا الانجليز كالكاكاو Cacao الافريقية. وبيجامة Pajama فهي لفظة سندية مأخوذة عن الفارسية مركبة من (باي) بمعنى الرِجل و(جامه) بمعنى اللباس فيكون معناها : لباس الرِجل. وهي في السندية تطلق على البنطلون الواسع العريض تلبسه نسوة الهند، وقد أخذها الانجليز وأطلقوها على المنامة، ومنهم انتقلت إلى سائر اللغات الأوروبية (انظر : قنيبي، معجم المؤنثات السماعية ص 47).

يقول الباحث محمد يوسف في معجم الألفاظ الهندية المعرّبة (مجلة اللسان العربي ص 109، المجلد العاشر، الجزء الأول، 1973) :

«والفالج : كلمة سندية محلية، والجيم فيها علامة العجمة لا غير، مع أنّ بعضهم لم يعد يهمه التعليل بأنّ الفالج (يسمى بذلك لأن سنامه نصفان) ـــ المخصص 7 / 68 ـــ !!.

وكذلك البختية (دخيل في العربية. أعجمي معرّب) ـــ اللسان ومثله في المخصص 7 / 135 عن صاحب العين ـــ إذن فما هو أصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتدوا إليه حتى **أن بعضهم اجترأ على القول** بأن الكلمة عربية (انظر اللسان)...

(42) انظر كامل النص في المسالك والممالك ص ص153 ـــ 154.

على كل حال مامن شك في أن (البختية) لم تكن غير (الابل من Bactria). ومن الجدير بالملاحظة أيضا في هذا الصدد أن أصحاب المعاجم قد فرقوا، جريا على عاداتهم، بين مادتي (بخت) و(بختر) إلا أن مشية الجمال البختية طوال الأعناق ذات السنامين هي أشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال في قولها (تفخشت) من مشي الفاختة (المخصص 3 / 109) ومن الثابت أيضا أنها كانت تصف النساء (بالبخت)، قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحلة
تكاد على غر السحاب تروق»

لقد تباعدت المسافة بين الأصل الدلالي الهندي والاستعمال العربي لبختر وفاخته وهي هندية من Vasita وتفخشت والبختي ولعله لهذا اجترأ ابن منظور بتأكيد عروبتها. ويقدم لنا الباحث السبب في موضع آخر من دراسته (ص 124 من المصدر السابق)، ففي معرض حديثه عن قصة السيوف الردينية والرماح الخطية والأرز Rice نفاجأ بأنها ألفاظ هندية !! ثم ينتقل إلى الحديث عن القنا فيقول :

«كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربيّ يزخر بأوصافها ونعوتها إلاّ أن كثرة استعمال العرب للأسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على ألسنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما إلى ذلك جعلا أصل تلك الأسماء نسيا منسيا»... والقنا في اللغة الهندية هو قصب السكر، والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية من مثل : (قند) العربية = Candy الانجليزية. و(سكّر) العربية = Sugar الانجليزية.

إذن هكذا تتبدل أصول الألفاظ المعرّبة في كلام العرب، ولا يعود لمعرفة أصولها شأن كبير، ومع ذلك فإننا نقول إننا لن نقدم فائدة من التأصيل العلمي القائم على توثيق تاريخ الألفاظ المعربّة دون أن يمنع تجدد اللغة ومرونتها. فالعرب لم تكتف في التعريب بنقل الكلمات الأعجمية إلى لغتها بل اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول كلامها ولقد وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقولة ابن جني في هذا الباب موضع التنفيذ حين توسّعت بالقياس وأطلقته من حدود الزمان والمكان — يقول ابن جني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. فإذا عربت لفظة أعجمية أجريت عليها أحكام الاعراب واعتبرت من كلام العرب، وأجيز الاشتقاق منها : كما عرّب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه. دَرْهَمتْ الخُبَّازى، أي صارت كالدرهم. وقالوا رجل مُدَرْهم، أي كثرت دراهمه(43).

التحفظ في إطلاق الأحكام عند التأصيل :

كثيرا ما تردد عبارات التضعيف في كتب المتقدمين عند تأصيل بعض الألفاظ المعرّبة، وذلك من مثل : ما أراه عربيا، أو لا أدري أهي عربية أم أعجمية عُرّبت، أو أحسب أن أصله كذا، أو من توافق اللغات في لفظ واحد بالفارسية أو بغيرها.

ففي الفائق (مادة : سطم 2 / 178) : «من قضيت له شيئا من حق أخيه فلا يأخذنه فإنما أقطع له إسطاماً من النار»... والاسطام والسطام(44) : «المِسْعار، وهو الحديدة المفطوحة الطرف التي تحرَّك بها النار». قال الأزهري في شرح الاسطام أو السّطام (تهذيب اللغة 2 / 350) : «ولا أدري أعربية محضة

(43) انظر : ابن جني، الخصائص 1 / 357، صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص178.
(44) معجم ستانغس ص 681، حد السيف (عربية)، غرائب اللغة العربية ص259. هي يونانية Stoma.

أو معربة».

ومن هذا القبيل : في التاج (مادة أُشنة) : «قال الليث : هو شيء يلتف على شجر البلوط كأنه من عِرق (أي جذر) وهو عَطِر أبيض. قال الأزهري : ما أراه عربيا».

وفي غرائب اللغة العربية (ص 216) : إشنان وأُشنان وأشنة : اسم نبات من الفارسية.

ونقرأ في المعرّب للجواليقي ص 129 : «البَرْخ : الكثير الرخيص. قال أبو بكر — يعني ابن دريد — : هو لغة يمانية، وأحسب أصلها عبرانيا أو سريانيا. وهو من البركة والنماء» والرواية في التهذيب عن الليث بوضع أهل عُمان موضع لغة يمانية. وفي اللسان «عمانية»، ولكنه يذكر أيضا أنها تأتي بمعنى النصيب وأصلها فارسية (التهذيب 2 / 333).

هذا نص يصلح نموذجاً لطريقة عرض الألفاظ المعرّبة في مصنفات المعرّب والدخيل و'لعاجم، فتكاد تتفق الروايات لدرجة التطابق(45).

ثم إنهم يعمدون إلى إسناد التأصيل إلى أحد الثقات على نحو ما نجد في كتب الحديث النبوي الشريف(46).

ففي رسالة (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، تحقيق عبد الله الجبودي) نقرأ : قال ابن أبي حاتم : حدثني محمد بن سعد، حدثني عمر بن سعد، حدثني عمر عن أبيه عن جدّه عن جدّه عن ابن عباس قال : **الأوّاه** : المؤمن بالحبشية. وقال الواسطي : الأواه : الدعاء بالعربية (ص 201)... وقال الفريابي حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيم عن مجاهد، قال : **سجيل** بالفارسية أوّلها حجارة، وآخرها طين، وقال ابن أبي شيبة : حدثنا وكيع عن السدّي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : (سجيل)، قال : هي بالفارسية : **سَنْك**، وكل حجر وطين (ص 209)... وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي (ثنا) سهل بن عثمان (ثنا) يحيى بن يمان عن المنهال (ثنا) ابن خليفة عن سلمة بن تمام الشقري قال : (**مُتَّكأ**) بكلام الحبش، يسمّون الترنج مُتَّكأ، وقال الواسطي هو الأترج بلغة القبط (ص 222).

وأخرج ابن المنذر من طريق عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل كَعبا عن **الفِرْدوس** قال : هي جنّات الأعناب بالسُّريانية (ص 217).

وتسير الرسالة على هذا النمط في سرد المعربات. وانظر للمزيد من الطرافة : تخت، سجل، طه، مشكاة، ناشئة، هيت. وانظر أمثلة أخرى في المعرب للجواليقي ص 202، وشفاء الغليل ص 119.

وإنما يتسلكون هذا الطريق تحفظاً في الادلاء بما لم يثبت عندهم نقلاً أو سماعاً إذ أن التأصيل اللغوي يستلزم معرفة باللغات الأخرى، أو استناداً إلى وثائق تاريخية... ونحوها. فلقد ردّ الدرس اللغوي الحديث الكثير من هذه الأحكام. ولكن حسب المتقدمين أنهم حكموا بحسّهم على أعجمية اللفظة، وأنهم تركوا ذلك للأجيال بعدهم للتأصيل عندما تتوفر لهم الوسائل.

(45) انظر : الجمهرة لابن دريد 1 / 231، تهذيب اللغة للأزهري7 / 362، والصحاح والقاموس واللسان مادة(ب ر خ)، وشفاء الغليل ص 64. ولقد رجّح المعجم الكبير (2 / 119 و2 / 289) أنها لغة يمانية. وغرائب اللغة العربية (ص 174) : آرامية. والمساعد (2 / 187) : آرامية.

(46) انظر أمثلة أخرى من طائفة ألفاظ المجموعة السامية في كتاب عبد الصبور شاهين المسمى : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ص313، 319، 322، 328.

إن عثرات التأصيل اللغوي في الكلمات القديمة مردّها إلى صعوبة معرفة أيّ اللغات أقدم من الأخرى، وتاريخ اللغات ليست سلسلة واحدة متتابعة الحلقات يتسلم فيها اللاحق عن السابق، بل العكس هي حلقات متداخلة في العصر الواحد تأخذ وتعطي وتتأثر وتؤثر. ففي مجال اللغات السامية خاصة كثيرا ما تتداخل الأصول وتتشابه الفروع ويصبح الحكم عندها عسيراً لطبيعة خصائص لغات الأسرة الواحدة.

يقول حسن ظاظا(كلام العرب ص ص 65 ــ 66) :

«يكاد يكون مستحيلا أن نجزم عند بحثنا في كثير من الألفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من لغات العائلة السامية، بأن هذه اللفظة أو تلك (مأخوذة) من العبرية أو الآرامية أو البابلية أو الحبشية. أو غيرها، إذ قد يكون العكس هو الصحيح، نظراً لقدم لغة العرب، ولعدم عثورنا على نصّ مكتوب أو مروي عن اللغات السامية الأم».

ثم إن الامتزاج الحضاري بين العرب والفرس وتبادل اللغتين الكثير من الألفاظ ثم ذبول اللغة الفارسية القديمة في نفوس المستعربين منهم أدى إلى صعوبة اهتدائهم إلى أصول لغاتهم. وقد مرّ علينا شواهد من تخطئة أعلام كالجوهري والزمخشري والفيروز أبادي... وغيرهم.

ولعل هذا ما حدث في لفظ (البرخ). وقد تنازعته سبع لغات هي : العربية الفصحى واليمانية والعمانة والعبرانية والسريانية والآرامية ثم الفارسية.

يقول عبد الصبور شاهين[47] : «إن أغلب الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها هي ألفاظ سامية، للعربية فيها ما لأخواتها : فهي ألفاظ سريانية. وهي عبرية، وهي حبشية، وهي عربية أيضاً.. ويصدق هذا الرأي بخاصة بالنسبة إلى الألفاظ التي اتخذت في العربية صورة لغوية خاصّة، أي تلك التي خضعت للقوانين الصوتية، والصرفية العربية، بحيث قد امتاز وجودها العربي عن وجودها في اللغات السامية الأخرى».

وإلى مثل هذا أشار الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لكتاب (المعرب) حين ذكر أن المتقدمين لم يميزوا القرابة بين العربية وأخواتها الساميات. فاعتبروا اللفظ السرياني دخيلا ؛ وكان الأولى اعتبار اللفظين من أصل سامي واحد، ثم أشار إلى علاقة العربية بالفارسية فقال : «ان اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا في عصور متطاولة قبل الاسلام، فدخل في الفارسية ــ مثلا ــ ألفاظ سامية، فربَّ لفظ فارسي يظنّ أصلا للفظ عربي، وهو في الحقيقة لفظ سامي تسرب إلى الفارسية في العصور القديمة. وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربية لم تهب اللغات الأخرى من ألفاظها إلاّ في العصور الاسلامية»[48].

تأصيل المصطلحات :

الدافع لمعالجة هذه القضية هو أنّ ابن كمال في رسالته الموسومة ب (تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية) قد عاب على المتقدمين ممن عكفوا على دراسة المعربات أنهم لم يحسنوا تحقيق أصول هذه المعربات لجهلهم اللغات الأخرى، ولأن اهتمامهم انصب حول مسألتي التغيير والالحاق ، ولقد قادهم هذا المسلك إلى محاولة تلمس أصل عربيّ للألفاظ المعرّبة مما أوقعهم في الوهم. وتكاد معظم الأمثلة التي

(47) القراءات القرآنية ص333.

(48) تقديم المعرب للجواليقي ص 4.

أوردها تدور حول هذا المحور فالأقدمون لم ينكروا وجود المعرّب في اللغة، وقد أقرّوا بأعجميته ابتداء، ولكنهم سرعان ما كانوا يبتعدون عن هذه البداية عندما يبدءون بالتحليل اللغوي، وهم يلحون في تعريب هذا الدخيل فهم ما انفكوا يسرفون في محاولة ردّ الألفاظ المشتركة في حروفها أو المتشابه في أصواتها إلى معنى أصلي عام اشتقت منه.

ففي النص الذي نقلناه من مقدمة شفاء الغليل قرر أنّ النون والراء لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب، وجميع كتب المعرّبات تنقل هذه المقولة ويضربون مثلاً من نحو : نرجس. نورج نيرج. نرجه. ولكن عند التحليل نشهد خروجهم عما قرروه. نقل ابن منظور في نرجس (مادة ر ج س) : «والنَّرجس من الرياحين معرب، والنون زائدة لأنه ليس في كلامهم (فَعْلِل) وفي الكلام (نَفْعِل) قاله أبو علي. فإن سميت رجلا بنرجس لم تصرفه لأنه (نفعل) كنجلس ونحرس، وليس برباعي لأنه ليس في الكلام مثل (جعفر)، فإن سميته بِنِرْجِس صرفته لأنه على وزن (فِعْلِل) فهو رباعي كهجرس، قال الجوهري : ولو كان في الأسماء شيء على مثال (فَعْلِل) لصرفناه، كما صرفنا نَهْشَلاً، لأن في الأسماء (فَعْلَلاً) مثل جعفر».

هكذا افترضوا وجهاً من وجوه البناء القياسي، وحاولوا إلحاقه بأبنية العرب، ونسوا — في غمرة انكفائهم — عما تعارفوا عليه أنه لفظ دخيل حيث لم يجيء في كلام العرب اسم فيه نون بعدها راء (المعرب ص 379). كما أنه من المقرر لديهم أن شذوذ اللفظ في بنائه دليل على عجمته !!

ولقد بيّنا موقفنا فيما تقدم من هذه القضايا ولكن بقيت مسألة أرى أنها تلحّ علينا، فأقول :

صحيح أن كثيرا من الأمثلة التي عرض لها ابن كمال بالتحليل قد توهم دارسو المعربات أصالتها. ولكن من جهة أخرى فإنّ هذه الألفاظ قد خرجت عن أصل معناها اللغوي لتدلّ على معان اصطلاحية. والمعروف في علم المصطلح الحديث قبول هذا المسلك، يقول عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني من مقال له بعنوان (وسائل تطوير اللغة العربية العلمية، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة، عمان 1974، ص 13) : «فالمصطلح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس، بل يرمز إليه رمزاً للصلة بين الرمز والمرموز إليه. وهذه الصلة تختلف قوة وضعفاً على حسب الأحرف المؤدية للمعنى...»، ويقول في نفس الموضع :.«فالمصطلح يوضع أحياناً لأدنى ملابسة بينه وبين مسماه، وهو مقصّر دائماً عن الاحاطة بمعنى الشيء المسمى اصطلاحا، ومن أجل ذلك كثيرا ما نقول : هذه الكلمة لغةً معناها كذا، واصطلاحا كذا...».

ونحن نسوق مثالاً مما جاء في رسالة ابن كمال (ورقة 104 أ) : «الخُرَّم — بضم الخاء وفتح الراء المشددة — العيش الواسع. ذكره ابن السكيت. وقال الخطيب التبريزي في (الايضاح، شرح سقط الزند) : ويجوز أن تكون الخرمية نسبة إليه، لأنهم يتسعون في الأشياء — وأصل (خُرَّم) فارسي معرّب — وقال صدر الأفاضل في (ضرام السقط — شرح سقط الزند) : الخُرَّم : نبت به يشبه الشيب — أراد سراج القُطرب، وهذا المعنى مخصوص بلغة العرب».

وشرح النص : أن الخُرَّم(49) : العيش الواسع، فارسي معرّب . توسعوا في دلالته، جاء في (المعرب للجواليقي ص 179) : «وأما

(49) المعجم الفارسي لستانغس ص 456 : خُرّم : «ضاحك. مسرور. اليوم العاشر من كل شهر شمسي». وفي الألفاظ الفارسية المعربة لأدّى شير ص54 : «الخُرّم : فارسي محض، وهو الناعم من العيش ويرادفه من اليونانية معنى موضوع الفرح».

قولهم : «عيش خُرَّم» فرويَ لنا عن ابن السكيت عن أبي عبيدة أنه الناعم. قال : وهي عربية». والخطيب التبريزي شارح تهذيب الألفاظ لابن السكيت والايضاح في شرح سقط الزند للمعري يقول : «ويجوز أن تكون الخرمية(50) نسبة إليه، لأنهم يتسعون في الأشياء». ولكن شارحاً آخر لسقط الزند وهو صدر الأفاضل الخوارزمي (ت 617 هـ) يرى أن الخرم نبات يشبه به الشيب. ثم قال ابن كمال : «أراد به سراج القُطْرُب(•)، وهذا مخصوص بلغة العرب».

ومعاني (خُرَّم) مضطرب في المصادر العربية ففي ترجمة معجم دوزي ـــ تكملة المعاجم ـــ نقرأ بتصرف ـــ (4 / 74) : خُرَّم : لفظ فارسي. ولم يبيِّن معناه إلاّ أنه قال «إذا صدقنا الادريسي فهو نبات» وعلق المترجم ـــ النعيمي ـــ في الحواشي : وقد استعمل بهذا المعنى في كتب مفردات الأدوية وهو سراج القطرب(•) : نبات ينبت في البساتين زهره بنفسجي ورائحته حسنة، وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمونه لأن شمه يحدث سروراً ويفرح النفس (انظر معجم أسماء النبات ـــ أحمد عيسى ص 112)، وهو المنثور. وإذا أطلق سراج القُطْرُب يراد به هذا النبات ويقابله في الانجليزية Rose Campion وذكره ابن سينا، قال : دواء فارسي يقال له المريخة والخُرَّم.

وكتاب الصيدنة للبيروني لم يذكر الخُرم، ولكن ذكر أن سراج القطرب : نبات له زهر جميل ورائحته حسنة. يقول ص 229 : «يستعمل في العلاج. يفرِّغ به البطن، ويخدِّر العقارب... يسمى بالشام : سراج الليل، وهو يسرج بالليل لاسيما ببيت المقدس أيام الربيع» وقد ذكرت بعض المعاجم أن القطرب : دويبة تضيء في الليل كأنها شعلة.

وكأني بابن كمال وقد استحضر هذه المعاني في تطور دلالة اللفظ المعرَّب فقال مذيلاً : «ومن هنا ظهر لنا أن الكلمة الأعجمية بعد تعريبها يجوز أن توضع لمعنى آخر غير معناها الأصلي، وذلك لا ينافي كونها معرَّبة باعتبار المعنى الأول ـــ الأصلي».

وهذا استنتاج صحيح فمن واقع الاستقراء المتتبع للألفاظ المعرَّبة نلحظ أن العرب قد توسعوا في دلالة اللفظ المعرَّب إما تقييداً أو تعميماً كما أوضحنا في أمثلة سابقة على نحو ما حدث في : الباذق. البريد. السرادق. دهقان. كنيسة. صنم. الدست. البستان... وغيرها. فهذه الألفاظ ذات دلالات محددة في أصل الوضع اللغوي ولكنها اكتسبت معاني جديدة وسلكت في باب المصطلحات. والتوسع الدلالي للألفاظ يحدث في إطار اللغة الواحدة فألفاظ من نحو الصلاة والحج والصوم معانيها في أصل الوضع اللغوي الدعاء والقصْد ومطلق الامساك(••). ولكن القرآن أعطاها معاني جديدة لتدلَّ على عبادات مخصوصة... وما حدث للألفاظ المعرَّبة ليس بعيدا عن هذا المسلك. وابن كمال معترف بهذا فلقد سبق أن نقلنا عنه أنَّ الكلمة الأعجمية بعد تعريبها يجوز أن توضع لمعنًى آخر غير معناها الأصلي كما أوضحنا سابقاً.

وحبذا لو طبق ابن كمال مقولته هذه عندما راح يحلل الأمثلة التي ساقها إذن لالتمس عذرا في

(50) الخُرَّمية : أصحاب التناسخ والاباحة من أتباع بابك الخُرَّمي.

(•) في المعجم الموحَّد ـــ معجم النبات ـــ ، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ص66 : سراج القطرب : Earc-Cockles جنس من نباتات الفصيلة القرنفلية. وانظر معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية (ص 16) Agrostemma وكذلك ص477.

(••) لمزيد من البيان انظر : أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ) في كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة1957 م. فقد عرض لمجموعة كبيرة من الألفاظ ذات الدلالات الاصطلاحية بالاضافة إلى معناها اللغوي العام.
وانظر أيضاً : حامد صادق قنيبي في بحثه (التطور الدلالي في لغة الفقهاء) المنشور في مجلة اللسان العربي عدد24 سنة1985 (صص19 ـــ 36). الرباط.

توهم المتقدمين في التأصيل اللغوي وحمله على باب التوسع الدلالي. ولقد سبق أن عرضنا لطائفة من الأمثلة فيما سبق، ونقف هنا عند مثالين آخرين :

فلفظة (الباذِق) (ورقة 107 ب) عند ابن كمال معربة من الفارسية (باده) ولم يخالفه أحد من المتقدمين. ولكنها عند الفرس عامة الدلالة وترادف لفظة (مي) وكلتاهما تعنيان : خمر. شراب. نبيذ كما ورد في (المعجم الذهبي ص 93 و552).

ولكن اللفظة أخذت بُعداً جديداً عند فقهاء المسلمين وما أورده ابن كمال من خلاف الفقهاء لم يكن إلاّ رغبة في تحديد مدلول المصطلح إلى أن انتهى أن (الباذق) : «ما طبخ من عصير العنب فصار شديداً وحدّده الفقهاء أنه الذي ذهب منه أقل من الثلثين (الموسوعة الفقهية للزرقاء : الأشربة ص 11، معجم لغة الفقهاء للقلعجي وقنيبي ص 102).

إذن اكتسب اللفظ بعد تعريبة تخصيصاً وصار مصطلحاً دالاً على مفهوم محدد لدى الفقهاء. والناطق بالعربية لم يعد يعنيه كثيراً دلالته في لغته الأم. وأقول الأم لأني وقفت على خلاف في تأصيل للفظ (الباذق) ففي (المساعد) للكرملي 2 / 173 يذكر : «وكان لليونان المتأنقين في الأشربة وآنيتها نوع من الكئوس تستعمل لشرب الخمرة المطبوخة، واسمها عندهم batiaca فلعلّ العرب سموا الشيء باسم الآلة».

وفي معجم (ستانغس) ص 141 : أصلها (باده) بالدال المهملة، وإبدال الدال من التاء ممكن.

وفي معجم العلايلي (المرجع ص 345) : «لفظ دخيل قديم من الفارسية أو اليونانية، نوع شديد من الخمر، وورد بفتح الذال». وهو في المصطلح الحديث «بإزاء Eau de vie خمر شديدة معطرة تستخلص بتقطير الثمار أو السوائل المختمرة تحتوي على مقدار من الغول يبلغ (50) درجة تقريبا، ويسمى أيضاً : القنديد».

وهذا فضلاً على أنه شاهد على صعوبة التأصيل اللغوي من ناحية، إلاّ أنه من ناحية أخرى دل على أن اللفظ المعرب صار مصطلحا. ومثله لفظ (البريد)، قال ابن كمال (ورقة 108 أ) : «البريد فإنه معرّب (بُرَيْدَه دُم). قال الزمخشري في الفائق : والبريد في الأصل البغل، وهي كلمة فارسية أصلها (بُرَيْده دُم)، أي محذوف الذنب، لأن بغال البريد محذوفة الأذناب، فعربت الكلمة وخففت ثم سمي الرسول الذي يركبه بريداً. والمسافة بين السكتين بريداً... وبُعْد ما بين السكتين فرسخان» ويقول في نفس الموضع : «وبهذا التفصيل يتبيّن ما في كلام الجوهري وضاحب القاموس (من مجانبة للصواب) حيث قالا : البريد : المرتّب. واثنا عشر ميلا. والرسول. وزاد الثاني قوله وفرسخان. والرسل على دواب البريد ــ فتأمل ما فيه من الخلل».

وما نقله ابن كمال عن الزمخشري متفق مع ما جاء في (مفاتيح العلوم ص 58) للخوارزمي. ولكنه عاب على الجوهري والفيروز أبادي أنهما لم يحسنا تقدير المسافة بين السكتين، وأنهما ذكرا المعاني المولدة من الكلمة.

وشاهدنا في هذا اللفظ هو التوسع في دلالة اللفظة الفارسية ــ إذا سلّمنا بعجمتها ــ الدالة في الأصل على البغال مقطوعة الأذناب لتدل في العصر الحديث على نظام الاتصالات البريدي. ومن تراكيبها المحدثة : مكتب البريد. ساعي البريد. البريد الجوي. طابع البريد. وزير البرق والبريد والهاتف..الخ.

إذن اللفظ العام صار مصطلحا، وليس هناك من فائدة تذكر في استحضار معناه الأصلي. بل الأفضل والحالة هذه إسدال ستار النسيان على أصل معناه والتعامل مع المصطلح الجديد على اعتباره حقيقة

لغوية ــ حفاظاً على مشاعر العاملين في مصلحة البريد.

على أن تأصيل اللفظ مازال موضع خلاف بين الدارسين : فصاحب المغرب (1 / 67) لم يقطع بأعجمية اللفظ، وذكر إمكانية اشتقاقه من (بَرُد) ــ بفتح الأول وضم الثاني ــ فقال : «و(أبَرَد) دخل في البَرْد، كأصبح إذا دخل في الصباح، ومنه : (أبردوا بالظُهر) والباء للتعدية والمعنى أدخلوا صلاة الظهر في البَرْد، أي صلُّوها إذا سكنت شدة الحرّ» وفي الأثر : كان ابن عباس وابن عمر يَقصُران ويُفْطِران في أربعة بُرُد، وهي ستّة عشر فرسخاً». وُبُرد جمع بريد. وفي الحديث : «لا تُقصر الصلاة في أقل من أربعة بُرُد» ويقال : هذا بريد مُنصِب، أي متعب (عن المعجم الكبير 2 / 210، ومتن اللغة مادة (ب ر د).

والعلايلي في (المرجع) لم يورد المادة في (ب ر د) وإنما جعلها مدخلا مستقلا قال في (البريد ص 393) : «لفظ دخيل من الفارسية : (الحمل والنقل) الرسول المنطلق بكتاب، ج : بُرُد، قيل دخيل من اللاتينية وهو مردود بما جاء في سفر استير. ومسافة مقدرة باثنى عشر ميلاً. والبريد (لفظ محدث) : نظام التراسل من الجهات وإلى الأنحاء Post، ومؤسسة تأخذ على عاتقها إيصال الرسائل وتوزيعها. ومن مركباته : حوالة بريدية. وطابع بريد Postage stamp ــ وبريد جوي Air mail. واشتقوا بملاحظته فعلا مزيدا [أبرد إبراداً، فهو مُبْرِد] الشخصَ : أرسله بكتاب أو مهمة».

والمعجم الكبير (2 / 210) تجاهل أصل اللفظ وحسبي به أنه اعتبره عربياً فقال : «البريد : الرسول وفي الحديث، أنه ﷺ، قال : «إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسَن الاسم». وقال بعض العرب : الحُمى بريد الموت».

وجاء فيه ما يمكن اعتباره ردّاً على ما وجَّهه ابن كمال من خلل في تفسير الجوهري وصاحب القاموس، حيث جاء في نفس الموضع : «البريد : المسافة يقطعها الرسول من الطريق ثم ينزل ليريح دابته، وهي فرسخان عن أهل المشرق، وأربعة عند المغاربة... وهذه المسافة تعبّر عن البعد مابين محطة وأخرى تليها من محطات البريد».

أما أدّى شير (الألفاظ الفارسية المعرّبة ص 18)، فقد وهّن رأي من قال بفارسيته، وإذا كان لا بد من عزوه إليها فهو من (بَرْدَن) ــ بفتح الأول والثالث وسكون الثاني ــ أي نقل وحَمَل. ومال إلى الأخد بأنه من اللاتينية على نحو ما سيأتي عند عرض الكرملي.

وقال مار اغناطبوس أن لفظة البريد سريانية، هي Baridho، أي رسول.

كما ذكر أنستاس الكرملي في المساعد 2 / 189 أن اللفظ من اللاتينية veredus بمعنى جواد الساعي. وأول من استعمله بهذا المعنى دسيموس Decimus وهو شاعر ولد في بوردو سنة 309 م وتوفي سنة 395 م.

ولكن فؤاد حسنين في بحثه المنشور في (مجلة كلية الآداب عدد 12 سنة 1950 م) ص 16 : «بريد : رسول، وفي الأصل : بغل. لفظ أكادي : بريدو : أي السريع في مشيته أو الرسول السريع. وعن هذا الأصل السامي القديم انتقل اللفظ إلى سائر اللغات السامية والهندية والأوربية».

وبعد... ؟

فأيُّ الفرقاء أهدى، وأيُّهم أحقُّ بالاتباع ؟

سؤال نطرحه، وأرجو أن نتمكن من الاجابة عنه.

أما وإنّا لو ذهبنا نتتبع الكثير من الأمثلة التي

أوردها ابن كمال فسنصل إلى نفس منعطفات الطرق دون أن نستطيع ترجيح رأي على آخر، وخاصة في الألفاظ المعرّبة القديمة. ومع هذا فإننا لا ندعو إلى وقف الدراسات التأصيلية ولكننا نشير إلى أنها ما زالت تعوزها الدقة رغم توفر إمكانات لم تكن في طوع المتقدمين من الأسلاف. أما هذه الألفاظ المعرّبة فما دلّ منها على مفهوم معين في علم أو فن أو أيّ عمل ذي طبيعة خاصة فنتقبل دلالته بغض النظر عن اختلاف الدارسين في تأصيله، لأن دلالته اصطلاحية. ولا يشترط في الدلالة الاصطلاحية أن تتطابق مع الصحة اللغوية على ما سنبيّن فيما يلي :

جاء في المعجم الوجيز (مادة ص ل ح) : «المصطلح : لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين» و(المصطلح) لفظة مولدة لم تدونها المعاجم العربية القديمة والحديثة عدا معجم (هانزفير ص 523 technical term)، والمعجم الوجيز على ما صدّرنا به هذه الفقرة. ولكن اللفظة استعملت في نحو : علم مصطلح الحديث، و(مجموعة المصطلحات العلمية والفنية) التي يصدرها مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجامع الأخرى. والمصطلحية (علم المصطلحات) علم حديث النشأة، يقول الدكتور علي القاسمي (مجلة اللسان العربي مجلد 18، ج 1)، ص 9 : مع التطور الهائل في العلوم والتكنولوجيا، والنمو السريع في التعاون الدولي في الصناعة والتجارة والاقدام على استخدام الحاسبات الآلية في خزن المصطلحات ومعالجتها وتنسيقها، لم تعد الطرق القديمة في جمع المصطلحات وترتيبها ألفبائيا ووضع مقابلاتها في اللغات الأخرى تفي بالحاجات المعاصرة، ولهذا طوّر العلماء المختصون واللغويون والمعجميون والمناطقة علما جديداً أطلق عليه اسم (علم المصطلحات Terminology) الذي يمكن تعريفه بصورة عامة ب (العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها). وهو علم مشترك بين علوم اللغة والمنطق والاعلامية وحقول التخصص العلمي. ويهم هذا العلم المتخصصين في العلوم والتقنيات، والمترجمين والعاملين في الاعلاميات وكلّ من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمي... وتعد المجامع العلمية واللغوية والجامعات المكان الطبيعي لاجراء البحوث النظرية العامة لعلم المصطلحات».

على أن المتقدمين قد عالجوا هذه الموضوعات تحت باب الاصطلاح والاصطلاحات، وعرفوا الاصطلاح بأنه : «اتفاق طائفة مخصوصة على أمر معلوم» (الوسيط مادة صلح). وقد ألفت فيه طائفة من المصنفات نذكر منها :

مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت 387 هـ)، وقد جعله مؤلفه في مقالتين الأولى لعلوم الشريعة ومايقترن بها وتشمل ست أبواب. والثانية للعلوم الدخيلة ويعني بها العلوم البحتة والتطبيقية وتشمل تسعة أبواب.

والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني السيد الشريف (ت 816 هـ)، وأكثر مصنفاته في العلوم النظرية.

والكليات لأبي البقاء الحسيني السيد أيوب (ت 1094 هـ)، وقد طبع أخيراً في دمشق.

وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد صابر الفاروقي التهانوي (ت 1158 هـ)، جمع فيه الكثير من مصطلحات العلوم العربية والدخيلة. ورتبه على حروف المعجم.

أما تعريف المصطلح الذي نرتضيه فهو كما ورد في كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين (اللغة العربية لغة العلوم والتقنية)، ص 118 : «هو اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو

عملي أو فنّي، أو أي عمل ذي طبيعة خاصّة». ويقول الدكتور شاهين في نفس الموضع : «وهذا التعريف يضع في حسابه أن المصطلح قد يكون لفظاً، وقد يكون رمزاً لغوياً، فعبارة (رأس المال) مصطلح مركب ذو دلالة اقتصادية، وكلمة (تحليل) مصطلح ذو دلالة علمية عامة، يحددها ما يضاف إليه من مادة للتحليل، والرمز (كت) مصطلح يدل على العنصر المسمى (اكتنيوم)، وقد اصطلح أهل العلم على هذا الاختصار الذي تقرّه الأساليب اللغوية».

ومادة المصطلح إذن ألفاظ عربية مولدة أو معربة ولقد زعمنا أن هذه الطائفة من الأمثلة التي ساقها (ابن كمال) قد سلكت في باب المصطلحات لدلالتها على مفاهيم خاصة ابتعدت عن أصل وضعها اللغوي.

ومن المعروف أن الدكتور شاهين من الذين يذهبون أن اللغة اتفاق ومواضعة، وأنها نتاج الجهد الانساني. وهو في هذا الموقف سيختلف مع (ابن كمال) الذي ينتمي إلى مدرسة البصرة النحوية القائلة بالاشتقاق السماعي الموروث عن العرب في عصر الاحتجاج اللغوي. ولقد أفصح شاهين عن موقفه هذا في تعريفه للاشتقاق بأنه : «استخدام الحركات في صوغ الكلمات من المادة على أساس قياس مطرد»(51) وقال في تعليل التعريف : «وهذا التعريف من وضعنا، وقد جاء في كتب الصرف أنَّ الاشتقاق هو تحويل الواحدة إلى أبنية مختلفة لمعان مقصودة لا تصلح إلاّ بها، ونحن نرى أن تعريفنا يصور وحده الآلية اللغوية في صوغ المشتقات، إلى جانب أنه يصنف المادة اللغوية تصنيفاً علمياً دقيقاً، بحيث تعزل الحركات عن الصوامت، ويترتب على هذا التعريف أن يصبح المصدر والفعل الماضي ـــ كلاهما صورة اشتقاقية كسائر المشتقات، لا أصلاً اشتقاقياً، كما ذهب إليه القدماء على خلاف بين البصريين والكوفيين»(52).

وبناء على هذا فقد أخذ بمفهوم المحدثين أن اللغة : «نظام العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة الاصطلاحية» وهذا باب في التوسع اللغوي في باب المصطلح حتى ولو كان الاتفاق على مصطلحات لغة من اللغات الخاصّة بأرباب المهن والحرف أو الجماعات الخارجة عن القانون، كما يسمي بعض اللصوص رجل الشرطة (حذاء)، ويطلقون على الضحية (العم أو الزبون)، ويطلق السماسرة والمقامرون على رزمة النقود التي تبلغ ألفاً من الجنيهات : (باكو)، وكل هذا من قبيل المصطلحات بالمفهوم اللغوي»(53)

وللمصطلح الفني عند الدكتور شاهين خواص معينة فهو محدد المعنى لا يدخل فيه الخيال إلاّ بقدر ما يحقق انتقال اللفظ من المعنى الأصلي إلى المعنى الاصطلاحي. وقد يُقبل أن نرى والحالة هذه أن يكون للفظ الواحد أكثر من معنًى فمثلاً لفظ Structure(54) يختلف معناه من فرع لآخر من فروع المعرفة فهو عند المهندس المعماري يختلف عما لدى المهندس المدني أو مهندس الحاسب الآلي (الحاسوب)، أو عند الأديب واللغوي. ومفهوم (فاعل) وهو لفظ عام يدلّ على من يعمل شيئاً ما. ولكنه في علم النحو مصطلحاً يدلّ على اسم أو ضمير مرفوع على الفاعلية، يسبقه فعل أسند إلى المعلوم. ولفظ (المفرد)، فهو في (بـــاب

(51) اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، ص260.
(52) اللغة العربية لغة العلوم... ص260.
(53) المرجع نفسه ص 118.
(54) المعنى العام : بنية. تركيب. مبنى. بنيان. هيكل البناء.

الاعراب) : ماليس مثنى ولا مجموعا ولا ملحقا بهما ولا من الأسماء الخمسة، وهو في باب (المبتدأ والخبر) : ما ليس جملة ولا شبيهاً بالجملة، وهو في باب (المنادى) : ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف(55). وكذا مصطلحات (الرفع والنصب والجر).

ويمكن تقسيم الأسماء بشكل عام إلى أسماء أعلام أو أسماء أجناس(*). وقد سبق أن رأينا أن ابن كمال لم يختلف مع دارسي المعرّبات في أسماء الأعلام الدالة على مسميات معينة من أسماء أشخاص كـ (قباذ) و(انوشيروان) و(سمرقند)، ولكن كان له موقف معين من أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم. ولكن كان خلافه في أسماء الصفات، ومن المعربات التي مرت معنا في رسالة (ابن كمال) : شطرنج. زنديق. كنيسة. صنم... الخ

والمصطلح ربما أتى من (عَلَم) أو من (مشتق). ولكنه انتقل من دلالته اللغوية الأصلية ليأخذ مفهوما مغايراً. ومن هنا انتقل (عبد الصبور شاهين) ليعالج مفهوم المصطلح باعتبار المعنى، وصنفه في نوعين(56) :

1 ــ مصطلح يستعمل بمعناه الأصلي في اللغة، ومن أمثلته في رسالة ابن كمال : الابريسم. القز. الشطرنج. الطشت.

2 ــ مصطلح خرج من معناه الأصلي إلى المعنى الاصطلاحي، ومن أمثلته في رسالة ابن كمال : دهقان. باذق. بستان.

وألفاظ اللغة محدودة، وأما المعاني فمتجددة في حياة الانسان. وهنا نلجأ لاستعارة الألفاظ المألوفة لدينا للدلالة على المعاني الجديدة. وهذه سنة اللغات لاختلاف حياة الأجيال، وتطور معاني الألفاظ بالاحتكاك بين اللغات، واقتباس بعضها عن بعض، أو ارتباطها بحدث تاريخي هام.

فـ (البريد) لفظ خرج عن أصل وضعه اللغوي ليدل على معنى اصطلاحي مستحدث. واقرأ إن شئت أمثلة من هذا النوع في كتاب (مفاتيح العلوم للخوارزمي)، وفي معرض حصره لمصطلحات صناعة الجواهر والعقاقير والأدوية، وأنهم ربما عمدوا إلى استحداث لغة خاصة بهم، فيقول : «ويكني أرباب هذه الصناعة في الرموز عن الذهب بالشمس، وعن الفضة بالقمر، وعن النحاس بالزهرة، وعن الأُسْرُبِّ بزحل، وعن الحديد بالمريخ، وعن الرصاص القلعي بالمشتري، وعن الخارصين بعطارد»(57)، ثم قال : «وقد يقع بينهم اختلاف في هذه الرموز أو في أكثرها، لكنهم لا يكادون يختلفون في الشمس والقمر»(57).

وألفاظ مثل (الضفدع) و(الرحا) و(الخِنْزيرة) لها معان محدودة في أصل الوضع اللغوي. وقد استعيرت للدلالة على معان جديدة من باب الاصطلاح(58). فالضفدع : غدة تنعقد تحت اللسان(58)، والرحا : علة تحدث للمرأة تُشبه حال الحبلى في عِظَم البطن، وفساد اللون، واحتباس الطمث(58). والخنزيرة من آلات الميكانيكا، وهي : شيء شبيه بالبكرة إلاّ أنه طولاني الشكل(58).

(55) اللغة العربية لغة العلوم..ص 122.

(*) يقول النحاة : كل مادلّ على الجنس صالحا للكثير، مثل : ماء. لبن. عسل، والضمائر، يقال له : اسم الجنس الافرادي. وكلّ ما تضمن معنى الجمع دالا على الجنس، وله مفرد مميز عنه بالتاء أو ياء النسبة، مثل : تفاح. نخل. نعام. عرب. روم، يقال له : اسم الجنس الجمعي، وكلّ ما تضمن معنى الجمع، ولا واحد له من لفظه، مثل : جيش. شعب. قوم. فيقال له : اسم الجمع.

(56) انظر : اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ص122 وما بعدها. وقد تصرفنا بالنص لخدمة الأمثلة التي وردت في الرسالة.

(57) مفاتيح العلوم ص 258.

(58) المصدر السابق صص161، 164، 249. و(الخنزيرة) اليوم تطلق على نوع من السيارات (المرسيدس)، كما تطلق على الآلة التي تسحب بها السيارات المعطلة.

ففي الأمثلة خرجت الأسماء عن أصل معناها لتدلّ على مفاهيم اصطلاحية. ولكن لنا أن نتساءل الآن : عن العلاقة بين المعنى الاصطلاحي المحدث والمعنى اللغوي الأساس ؟

أجاب الدكتور شاهين عن هذا، فقال : إن النشاط اللغوي لا يجري في فراغ ولا بد من علاقة (ما) بين المستويين الاصطلاحي واللغوي. ولقد دأب العرب أن يحققوا علاقة أو مناسبة بين المصطلح ومسماه. وتقوم هذه العلاقة في عقل أول من أطلق تسمية المصطلح (الجديد) فهو لم يتصرف عشوائياً، وضرب لفظة(الخنزيرة) مثلاً، فقال : «وهي تطلق أصلاً على أنثى (الخنزير)، ثم استعملت للدلالة على آلة ميكانيكية لرفع الأثقال أو جرها، سيان، ولا صلة في الظاهر بين المعنى اللغوي الأصلي والمعنى الاصطلاحي، ومع ذلك فلسنا نستبعد أن يكون الفرد الذي استعملها لأول مرة في المعنى الجديد لاحظ وجه الشبه بين الخنزيرة الحيوان والخنزيرة الحديد، وربما قصد من أطلق (الخنازير) على قروح الرقبة تقبيح صورتها، إذ أنها تحول الرقبة المصابة إلى شكل رقبة الخنزير، فكأن المصاب بهذه القروح يحمل على رقبته عدة خنازير، أو ربما كانت القروح في شكل الخنزير، أو في طبعها، أو في نتنها !!» ويقول في نفس الموضع : «ومن الواجب أن نتصور الأمر على هذا النحو : لأن المتكلم لا يمكن أن يتصرف في لغته إلاّ بإملاء مجموعة العادات التي ترسبت في ذوقه، وكوّنت لديه ما يعرف بالسليقة»(59).

ولعله لهذا السبب توهم بعضهم أن (الشطرنج) مشتق من المشاطرة أو التسطير... ظنا أن اللاعبين يقتسمان القطع شطرين، أو يجعلونها أسطراً (ورقة 106 أ) أو أنه «معرّب من (شدرنج)، أي زال الألم... فإن تلك اللعبة سبب لتشحيذ الخاطر وتنشيطه لا ما ذكر من صيرورة السعي باطلاً، والعناء هباءً» (ورقة 105 ب). وكل ما ذكر في محاولة لتأصيل الكلمة خطأ على ما أوضحنا.

وعلى هذا النحو يمكن إطلاق العنان للخيال الجنح لردّ أسباب ارتجال المصطلحات سواء في المصطلحات العربية أو المعربة على نحو ما ذكرنا من مصطلحات : الضفدع. الرحا. أسماء الكواكب ـــ فلابد من وجود علاقة نسجها الخيال. وكذلك الزنديق (من زن + دين = دين المرأة). وأعد النظر فيما قدمنا في تحليل (البريد)، وكذلك ما ورد في تحقيق الرسالة من مفارقات التصرف في التأصيل.

ولكن من المقرر عن علماء اللغة أن كثيراً مما نستخدم من اللغة هو في الواقع خارج عن معناه الأصلي أو التاريخي، إلى معان محدثة متطورة، نتيجة حركة اللغة المستمرة. فنحن نقول : فلان مُسْرِف وأسرف ماله : إذا بدّده وأنفقه في غير حاجة. ولكننا نسينا أن أصل الفعل مشتق من (السُّرفة)، وهي دويبة سوداء الرأس سائرها أحمر، تقع على الشجرة فتأكل ورقها وتفسدها (المقاييس مادة : س ر ف). ونافق ومنافق من (النافقاء)... وفي العامية المحدثة نقول : (الشندويش)، أي الشطيرة المحشوة، وهي لفظة انجليزية نسبة إلى مبتدعها اللورد Sandwich الذي عاش فيما بين 1718 ـــ 1792 م.

والتحول إلى المعنى الجديد يتم متدرجاً مع سير الزمن يرافقه تفسير للمقصود من استعماله، ويعضده مرادف آخر من جنسه وكثيراً ما يكون شبيهاً باقتراح ناقص المضمون. وضمن هذا الاطار تسير رحلة المصطلحات المعربة سيرها حتى إذا شاعت وتداولته الألسن صارت بمنزلة الأصيل أو طغت عليه.

وابن كمال (ورقة 109 ب) عاب على

(59) اللغة العربية لغة العلوم ص 127.

الجوهري وصاحب القاموس والفاضل الشريف لأنهم رغم اعترافهم بأن (السرداق) لفظ معرّب إلاّ أنهم توهموا في تحديد معناه أولا، ثم توهموا في ردّه إلى أصله الفارسي ثانياً. فهو عنده معرب (طاق سرا) فقدم المضاف إليه على المضاف فصار (سراطاق) بمعنى سقف قوسي الشكل لبناء. ولكن العرب اصطلحوا على إطلاقه على كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب. ثم صار الفسطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما(60). سيان. ثم توسع العرب في القياس فقالوا (سَرْدَق) البيت : جعل أعلاه وأسفله مشدوداً.

ومثلها لفظة (دهقان) (ورقة 110أ) فلقد زعم بن كمال أن العرب توهموا في المعنى الاصطلاحي لها إذ جعلوه «في جملة القذف، وهذه لأن العرب يستنكفون من هذا الاسم، ولا يسمون به إلاّ العلوج» وقالوا في الجمع دهاقنة، ودهاقين... وهو في الأصل لفظ للمدح إذ معناه = رئيس القرية ومقدم أصحاب الزراعة. ويقول ابن كمال : «وهذا من أعجب المسائل فلفظ الدهقان فينا للمدح والتعظيم».

وأقول : لماذا العجب فلقد توسّع العرب في دلالة (المصطلح)، ولا بدّ أن تصرفهم اللغوي لم يجر في فراغ على نحوما بيّناه، فلا بدّ أنهم لاحظوا أن رئيس القرية من العلوج يمتلك المال والعقار وقد سُلط على رقاب العباد وتصرف بشدة وقسوة فقرنوا صفات الذم بمسماه فصار الدهقان والدهاقنة من الألفاظ الدالة على الذم، وتلاشت الدلالة التأصيلية للمعنى الفارسي الأول.

وعلى هذا النحو نستطيع تحليل الألفاظ الأخرى في رسالة (تحقيق التعريب للكلمة المعربة) لابن كمال... فظاهرة التوهم التي أكثر ابن كمال من تعقبها لدى المتقدمين سواء في قصورهم ردّ الكلمة إلى أصولها، أو عدم التزامهم بمعنى الكلمة المعربة كما هي في اللغة الفارسية. وهما الدافعان وراء تأليف رسالته.

ولكننا نستطيع تعليل هذه الظاهرة على اعتبار أنَّ هذه الألفاظ كانت حديثة الاستعمال على ألسنة العرب ومازالت في بداية استعمالها وتبوأت مكانة (المصطلحات) وساغ استخدامها كمفاهيم قياسية محددة الدلالة. فمن منا يستغرب ـــ اليوم ـــ دلالة (الشطرنج ـــ بفتح الشين) للدلالة على اللعبة الهندية المعروفة. أو يقول في (السياسة) أنها من (سه يسا) أي التراتيب الثلاثة. أو أن (منجنيق) يعني : أنا ما أجودني. أو أن (البستان) يعني ناحية الرائحة. أو أن (الصنم) يعني : عابد الوثن لا الوثن نفسه... وغيرها كما وردت في رسالة ابن كمال.

إن مسلك التعريب هو في الواقع محاولة صوغ لفظ ـــ مصطلح ـــ جديد من أصول لغات أعجمية. وهذا المصطلح وليد جديد لم يعد محصوراً في حدود معاني أصوله الأعجمية، بل هو على وشْك النمو باطراد وأمامه مسيرة إن قيض له حظ الشيوع والاستعمال بعيداً عن مدلوله الأصلي. وسيغدو هذا اللفظ الوليد مصطلحاً عربياً تجرد مما تجمع في مقابله الأعجمي من مفاهيم اكتسبها خلال رحلته التاريخية. يقول الدكتور محمد كامل حسين (متنوعات 2 / 127) : «وقد وجد العلماء المعاصرون في بداية مواجهتهم (لمشكلة المصطلح) أن اختيار الرموز الدالة على الأشياء لا ينبغي أن يكون اختراعا أوليا، بل رأوا أن يختاروا من بين صفات الأشياء صفة يحسبونها غالبة، وقد يكون اختيارها لسبب من أدهى الأسباب، ثم رأوا أن يشتقوا الأسماء من هذه الصفات المختارة... ثم يضيع المعنى الأول لهذا المصطلح وسط الصفات العديدة التي يخلقها البحث والدرس. من

(60) الوسيط (مادة سردق)

ذلك كلمة (الأوكسجين)، أصل معناها : (مكوّن الصدأ)، ثم لم يصبح أحد يفكر في هذا المعنى بعد أن عُلم كل شيء عن صفات الأوكسجين. ولو علم في أول الأمر أنه (مكون الحياة) لصحّ أن يسمى (بيوجين)، والواقع أن اختيار العلماء للأسماء لم يكن لسبب علمي خاص، وإنما هي وسيلة يلتمسونها لوجود الكلمة، وليس للمعنى الأصلي لمكونات الكلمة قيمة بعد أن يصبح الاسم مقبولاً».

ويقول في موضوع آخر من المقال (ص 128) وكلمة (أوبسونين) معناها في اللاتينية (أحضر للأكل)، ولكنها كمصطلح يعني : الدم الذي يعلق بالميكروبات فيجعلها أسهل هضما على الخلايا التي عملها القضاء على الميكروبات. ولابدّ أن هناك علاقة (ما) قامت في ذهن واضع المصطلح. وليس لنا أن نستحضر هذه العلاقة بين اللفظين كلما ردّدنا مصطلح (أوبسونين). وقد يصعب علينا أحياناً إدراك هذه العلاقة، وربما أسدل التاريخ عليها ستار النسيان. وليس مهماً كل ما ذكرنا بقدرما يهمنا التعامل مع المصطلح بمعناه الجديد، كأنه تعامل مع الحقيقة. ولم يعُدْ بَعْدُ اهتمامنا منصبا على تأصيل مصطلح (البريد)، وعاد ردّه إلى الأصل التاريخي مجرد ترف. ولكن الحرص منصب على التعامل مع (البريد) كحقيقة لغوية لها دلالة معيارية على مفهوم من مفاهيم العصر.

والمتتبع للألفاظ المعربة التي لاكتها ألسنة العرب يجد أنها قد اكتست حُللا جديدة أبعدتها عن أصل معناها اللغوي Semantic shift لتصبح مصطلحات تعبّر عن مفاهيم خاصّة، يفهم كلّ منها في إطار الموضوع الذي تستخدم فيه. لقد حرص العرب على تحقيق علاقة بين الشكل والمضمون، يقول مصطفى الشهابي : «والمصطلحات لا توجد ارتجالاً ولابد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي»(61).

ولكن ليس شرطاً أن تكون هذه العلاقة وفق معايير دقيقة وقد يجوز لنا القول إن العرب قد عبثوا بالألفاظ الأعجمية وخاصة في عصورهم الزاهرة وربما كان ذلك لأن اللغة العربية كانت لغة المنتصرين على حساب لغة المنهزمين فأعمل العرب يدهم في لغات الأمم الأخرى يتصرفون كيف يشاءون ترجمة، أو تعريباً، أو تدخيلاً. ولم يكن للمعربات القديمة هيمنة المعربات الحديثة في الضمير اللغوي. ويلحظ الدكتور محمد كامل حسين هذا المسلك في تعمد علماء اللغات الأوروبية الاغارة على اللغات القديمة فيقول (المنوعات 2 / 129) : «فأغاروا عليها إغارة عنيفة يشتقون منها، ويفسدون فيها، ويحددون لألفاظها معاني لم يقل بها أحد من أهلها. واستبيح في هذا السبيل كل خطأ وكل تجاوز وكل تأويل... فأية لغة لا توجد فيها كلمة (اللذة) ؟... ولكن علماء التحليل النفسي رأوا أن (اللذة) كلمة لها من الشيوع ما يجعلها غير صالحة للعلم، فاختاروا كلمة (الليبيدو)، لأن بعدها عن المألوف يتيح لنا أن تجعل لها شخصية علمية قائمة بذاتها... ولو أن أرسطو بُعث اليوم فرأى كلمة (الأنافيلاكسيه) لأنكرها، ولو علم أن معناها هو غيبة (حارس المدينة) وأنها أصبحت تستعمل لوصف (الصدمة) التي تحدث للأرنب حين يحقن بطريقة خاصّة لظن بعلمائنا الجنون فضلاً عن الجهل». ويقول في موضوع آخر في المقال «وآخر مايؤبه له في هذه المصطلحات المشتقة من اللغات القديمة المعاني التي تدل عليها أصولها. هذا شيء لا قيمة له أبداً في اللغة العلمية والذين يعنون بمعاني هذه الأصول ويحسبونها سر نجاح اللغة يخطئون في فهم حقيقة لغة (المصطلحات)».

(61) المصطلحات العلمية ص3.

ولقد حدث مثل هذا في اللغة العربية، فلقد أطلق المتقدمون على مرض (القولنج)، الشديد اسم (أيلاوش)، معرّباً عن تسميته اليونانية (ايلاوس)، ومعناها : ربّ سلِّم، ويقال أن من أسمائه : المستعاذ منه[62]. فمن المستحيل ترجمة هذه اللفظة ترجمة حرفية لما تثير من السخرية، وهو على ترجمتنا under ب : تحت واقف، وليس ب (يفهم) stand.

وفي كتاب (رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا) ص 64 : جاء في (القانون) 1 / 44 : «الحنجرة عضو غضروفي خُلق آلة للصوت، وهو مؤلف من غضاريف ثلاثة : الدرقي أو الترسي، **والذي لا اسم له**، والمُكَبِّي أو الطرجهاري»[63]. يقول الدكتور شاهين (اللغة العربية... ص 217) : «إن ابن سينا هو واضع هذا المصطلح على أساس التصرف في الترجمة، وقد لاحظ أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس أن مقابل هذا المصطلح في اليونانية هو Epiglotis، ولما كانت السابقة Epi تعنى (فوق أو على)، وكانت glotis تعنى : اللسان في اليونانية، فإن مفهوم التركيب حينئذ (فوق اللسان)، وكأن ابن سينا لاحظ أن هذا الغضروف لا اسم له يعينه كسائر الغضاريف، فأطلق عليه هذا التعبير الذي يلخص معاملة اليونانية له وصار يعامل معاملة الكتلة، وإن كان مبناه قائماً على الأساس الوصفي».

والخلاصة، فإنه بعد اعتبارنا هذه المعربات مصطلحات فمن المقبول حالئذ أن لا نعنّي النفس بالبحث عن تأصيلها في لغاتها طالما أن الغرض من المصطلح هو الدلالة على مفهوم محدد في علم أو فنّ أو أي عمل ذي طبيعة خاصة. ولقد ثبت بالتتبع أن المتقدمين لم يسلكوا طريقة واضحة في صوغ المعربات، كما أن إلحاق اللفظ الأعجمي بالوزن العربي أفقد الأعجمي خاصياته. وبات من العسير على اللغوي أن يستخرج الأصل الأعجمي الذي صار تبعا لذلك كلمة مخضرمة لا يمكن ترتيبها في لغتها الأصلية ولا في اللغة العربية كذلك.

ثم إن ما يقرره علماء المصطلح الحديث أن دلالة المصطلح هي الحقيقة العلمية، ولا يشترط في هذه الدلالة أن تتطابق مع الحقيقة اللغوية، يقول مصطفى الشهابي : «والاصطلاح يجعل إذن للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية»[64].

أما التأصيل في المعربات الحديثة فهو موضوع آخر وسنعرض له تحت عنوان التأصيل المقبول، وإنما غرضنا من عقد هذا المقال دفع فطنة الوهم في باب المعرّبات القديمة إذا نظرنا إليها على أنها من لغات قديمة عفاها الزمن وبات البحث في أصولها محفوفاً بمخاطر الزلل كما رأينا.

3. 1. منحيان في الدرس التأصيلي الحديث :

إن اللفظة المعرّبة تحكي تاريخاً واقعاً من تاريخ العربية، فجملة هذه الألفاظ إن هي إلاّ تعبير عن مفاهيم مادّية في الحياة العملية والشئون اليومية وأساليب الادارة، ومما يجري في المنزل والسوق، وما يستعمل من أدوات الطعام والشراب واللباس في السلم والحرب وما يصحب ذلك من تبدل حضاري في مظاهر العادات والأوضاع الاجتماعية والأخلاق الشائعة والمعتقدات والأحداث التاريخية في كل عصر رقياً أو تدهوراً.

ولقد سبق أن اقتبسنا فقرات من مقدمة معجم الألفاظ الهندية المعرّبة الذي نشره الباحث محمد

---

(62) معجم دوزي ــ تكملة المعاجم العربية1 / 219.

(63) تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1983 م.

(64) المصطلحات العلمية ص3.

يوسف في مجلة اللسان العربي (مجلد 10 ج 1) وقد تأكد لنا قيمة التاريخ الحضاري كوسيلة للحكم على أصل بعض الكلمات حينما لا تسعفنا المعاجم اللغوية.

ولكننا يمكن أن نلحظ منحيين في التأصيل اللغوي في الدرس اللغوي الحديث، أولهما التأصيل الموثق، وثانيهما التأصيل الخيالي :

3. 1. 1. التأصيل الموثق :

لقد أحسن اللغويون المحدثون استخدام التاريخ الحضاري لترجيح قناعاتهم في البحث، واسترشدوا على ضوئها في التثبت من صحة ما ورد في الأصول اللغوية. وقد صدر جزءان من المعجم الكبير عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو عمل يدلّ على عناية ممتازة ومعرفة دقيقة باللغات المقارنة وقد تضمنت الدراسة تصحيحات لكثير من الآراء التي كانت محل خلاف. ونأمل أن نشهد استكمال هذا العمل الموعود. ولا شك أنه سيفيد من هذه الدراسات على يد الصفوة من الدارسين في هذا الباب التي ندعو إلى إثرائها.

وإذا كان مسلك التأصيل اللغوي عند ابن كمال باشا يرتكز ابتداءً على معرفته الجيدة للغة الفارسية، إلاّ أننا نلحظ أن أحكامه التي وفق إلى الوصول إليها كانت تساندها حقائق التاريخ الحضاري. وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة :

ففي (الزنديق) بعد أن وهّن كلَّ الآراء التي عرضت للفظ بسبب الجهل في اللغة الفارسية، أو عدم ربطها بين استعمال اللفظ ودلالاته التاريخية قال (ورقة 107 ب) : «وإنما رجحنا القول بأنه معرّب (زنده) على القول بأنه معرب (زندي) لأن الياء في آخر الكلمة لمطلق النسبة في لغة الفرس، والهاء فيه للاختصاص والانتساب الخاص... ولا يذهب عليك أن المناسب لحال المنتسبين إلى (الزندة) هو الثاني دون الأول ثم إن إبطان الكفر ليس في أصل معنى الزنديق» — ويقصد بالرأي الثاني قول الشريف الفاضل من أن أصل معناه : الانتساب إلى (زند) وهو كتاب (مزدك) الذي ظهر في زمان (قياذ) الذي دعا إلى الثنوية والاباحية.

وفي (سمرقند) رجّح قول ابن خلكان الذي ردّ قول ابن قتيبة صاحب (المعارف) الذي أصل اللفظ بانتحال قصة خيالية، وقال (ورقة 110 ب)«وعلى هذا يكون (كند) اسماً جامداً مضافاً على القاعدة التي تقدم بيانها، ولملاحظة هذا التغيير، قال ابن خلكان : فكأنه بلد شمر. وإلاّ فموجب ماقدمه من البيان هو القطع بالمعنى المذكور. ومن كلامه تبيّن أن من زعم أن (كند) في المعنى الثاني [مدينة، بلد بالتركية] فارسي لم يصب».

وفي (منجنيق) رجّح أنه معرّب لما فيه من اجتماع الجيم والقاف فإنهما لا يجتمعان في كلمة عربية مثل(الجرموق) و (الجوسق) ولمعرفته الجيدة باللغة الفارسية اهتدى إلى أنه معرب (ورقة 111 ب) «(منجك نيك) ومنجك في لغة الفرس ما يفعل بالحيل».

وفي (كنيسة)قال ابن كمال (ورقة 111 ب) : «قال الامام المطرزي في (المغرب) أنه معرب (كنشت) وعندي أنه معرّب (كليسا) لأن (كنشت) معبد اليهود خاصّة. كما أن (كليسا) معبد النصارى... و(كلسيا) أصله (كليسيا) فحذف أحد يائيه تخفيفاً» وهذا تأصيل جيد وردّ في موضعه على أوهام المطرزي والجوهري وصاحب القاموس.

وقد نعثر في كتب المتقدمين على لمحات ذكية في التأصيل في كتاب الصيدنة للبيروني(ت 443 هـ) مواقف لطيفة في هذا الباب منها قوله في تأصيل لفظة (الصيدنة) و(الصيدناني)، وهو المحترف بجمع الأدوية

ومعرفة أنواعها مفردة ومركبة فقد ذكر أن حرف الصاد معرّب الجيم (چ) كما فُعِل ب (الصين) أي جين china (النصّ العربي ص 3) : «وذلك أن ولوع الهند بالصندل يفوق ولوعهم بسائر أهضام العطر وأفواه الطيب ويسمونه (چندن) و(چندل). وتجار السلع المجلوبة من شواسع البلاد وأقاصي الجزائر والسواحل ينسبون إما إلى الأمتعة التي يتبايعون بها، وإما إلى المعادن التي جلبوها منها، وإما إلى سموت طرقهم التي جاءوا منها، وإما إلى الفُرَض[65] التي أرفئوا إليها، وذلك كالعنبري لبياعه، والمِسْكِيّ لشاربه، وكالشَلاهِطيّ[66] والشِّحْري[67] في تاجر العنبر، والهندي والتبتي لجالب المسك،... والخَطّيّ من الرِّماح نسبة إلى القرى من أرض عُمان على الساحل فإنها فُرض(*) متوالية على الساحل كهيئة الخط، ومنها (دارين)[68] مرفأ السفن الحاملة في قديم الزمان العطر والطيب...

وأما قول بعض اللغويين في (الصيدناني) : أنه دويبة طويلة لا تكاد أرجلها تعدّ لكثرتها وتفاوتها في الطول والقصر، قد شبه بها الصيدلاني لكثرة أدويته واختلاف جُرُبه وأوعيته، فهو لَغْوٌ بحت... وربما جعلوا النسبة في بعض الأشياء اسماً كالعود فإنهم يسمونه (مَنْدَلِيّاً) نسبة إلى موضعه[69]... فهذه حال الأمتعة وجالبيها».

وعلى العموم فإن كتاب (الصيدنة)(*) لأبي الريحان محمد البيروني (ت 443 هـ) جدير بأن ينظر إليه نظرة لغوية لما احتوى من تخريجات لغوية، وقد قال البيروني في مقدمته (ورقة 14) : «وفي أيدي النصارى كتاب يسمّونه (يُشّاق شماهي)، أي : تفسير الأسماء، ويعرف أيضاً (جهار نام) بمعنى أن كلّ واحد مما فيه مسمىّ بالرومية والسّريانية والعربية والفارسية، وكنت وجدت له نسخة بالخط السّوريّ[70]، وليس فيه شيء من الآفات المؤدية إلى التصحيف فنقلت مما فيه أكثره. ولهم كتب تسمى : (لكسيقونات)[71] تشتمل على غرائب اللغات وتفسير المشكل منها. وربما أفردوها لكتاب كتاب[72]، فعندي (لكسيقون لزيج بطليموس) مكتوب ما فيه بالخط السرياني ثم بعينه بالعربيّ ثم تفسيره. وإليه أرجع في مطالبي، ووجدت فيه من كلّ واحد من (كتاب الحشائش) المنسلك بتصاويره... مكتوباً عند الأدوية أساميها بالخط اليوناني فنقلتها... ولو ظفرتُ بباقي الكتابين كذلك لتم الأمر. وفي الاحاطة باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات فوائد».

ولكننا في الدراسات الحديثة نرى دراسات أكثر نضجا ومن ذلك ما نقرأه في (المساعد) للكرملي، واقرأ إن شئت تأصيل الألفاظ التالية : الأم (جلدة الرأس)، 2 / 37، الاسطرلاب 1 / 213، الاقرباذين 1 / 256، الاسفنط 1 / 218، بادزهر 2 / 109.

وفي كتاب (أصول ألفاظ اللهجة العراقية)

---

(65) الفُرَض : بضم الفاء. (ج) فُرْضَة : محطُ السفن على ساحل البحر. وما زالت الكلمة مستعملة في لهجة أهالي الخليج العربي.

(66) نسبة إلى شلاهط من جزيرة سيلان.

(67) صقع من ناحية حضرموت.

(*) كذا في الأصل والصواب (فُرَضة) على ما سبق بيانه.

(68) قرية على ساحل الخليج العربي تبعد بضع كيلومترات عن (الدمام) قصبة المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الآن. والنسبة إليها داري.

(69) موضع بالهند، لذا يقال عود الهند، وعود الند.

(*) حققه الحكيم محمد سعيد والدكتور إلهي، إحسان ران. ونشر بخط اليد عام 1973 (كراتشي) بمناسبة الاحتفال الدولي بمرور ألف عام على ولادة البيروني.

(70) بالسرياني.

(71) Lexicon.

(72) أي أن لكلّ كتاب في موضوعه دليلاً لغويا Handbook.

محمد رضا الشبيبي : البند ص 29، التخت ص 32، الخشل ص 48، الكشك ص 84، الناموس ص 93. وفي مقال (إبراهيم السامرائي) المنشور في كتاب (دراسات عربية وإسلامية) ص ص 159 ـــ 194 طائفة جيدة من الأمثلة التحليلية في باب التأصيل.

ورغم أنه ليس من غرضنا حصر الدراسات في هذا الباب إلاّ أننا نشير إلى بعض منها : كتاب «تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية» لطوبيا القيسي الحلبي. وكتاب «الألفاظ الفارسية المعربة» لأدّى شير الكلداني. وكتاب «غرائب اللغة العربية» لرفائيل نخله اليسوعي. و«التطور النحوي» لبراجشتراسر. و«الدخيل في اللغة العربية» لفؤاد حسنين علي المنشور في مجلة كلية الآداب المجلد 12، ج 1، سنة 1950. وأبحاث متفرقة في دوريات المجامع العربية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط...

ومن الملاحظ على دراسات المحدثين أنهم أدركوا صعوبة هذا اللون من الدراسات لأنهم اعتمدوا الحقائق من الوقائع التاريخية والاقتصادية والاجتماعية خضوعاً لمتقضيات البحث العلمي، ولم يشتطوا في الخيال والحدس. واستدركوا على المتقدمين استيعابهم الجيد للغات الأخرى، وخاصة فهم دور الكواسع في اللغات الأخرى لأن ما يميز العربية عن غيرها أن العربية لغة اشتقاق واللغات الأخرى لغات نحت وإلصاق. ورغم ذلك لم تسلم دراسات بعض المحدثينَ من خطأ أو وهم على نحو ما سنعرض له :

وهاك نموذجا من الدراسات الحديثة :

جاء في (المساعد 1 / 189) :

«(الأَرَقان) ـــ بالتحريك ـــ وفيه عشر لغات بفتح الأول أو كسره وسكون الثاني، وبكسرهما، وبفتح الأول وضم الثاني» الزعفران أو الحناء(*).

قال الكرملي : «جاء في معجم البلدان لياقوت (مادة بنارق) : «...قال حدثني جدي لأمي أبو الحسن وزوجته وجماعة كثيرة من قريتنا بنارق أنه لما استمر تطرق العساكر لقريتنا أجمعنا على الرحيل... فلما كان الليل عبرنا دجلة... وقد استصحبنا ما خف على أكتافنا ودوابنا. فتأملنا فإذا نيران عظيمة ومشاعل جمة ملءَ البرية فظنناها مشاعل العساكر فندمنا... فبينما نحن نتشاور وإذا تلك النيران قد دهمتنا وغشيتنا فإذا هي سائرة بنفسها لا نرى لها حاملاً... فعلمنا أنهم الجن !!».

وفي أيلول 1918 م اشتد الحرّ على غير مألوف العادة، وشاهد كثيرون من أبناء بغداد في بعض الليالي أنواراً تطوف في مقابر النصارى واليهود، وفزعوا من تلك المشاهد الغريبة.

والحقيقة أن هذه النيران من الأمور الطبيعية في الديار التي يشتد حرّها ويكون فيها غازات تنبعث عنها. وقد سمّاها العرب الأرقان أو اليرقان وسماها الفرنسيون feu follet[73] والانجليز باسم ingnis-fatuns (الوهج المستنقعي) ومن هذه النار ما يسمى بالفرنسية feu Saint Elme وبالانجليزية Saint Helle'n fire. وقد ذكر هذه النار أيضاً الشريف الادريسي في جغرافيته، فقال : إنها طائر يحوم حول رؤوس الصواري أو على حبل المركب».

وهذه النار عائدة إلى الكهربية الجوية كما يقول المحدثون من العلماء. واحمرار هذه الكهربية الجوية يشبه احمرار النبت المعروف بالبهمن Statics limonium.

(*) في معجم ستانغس ص 38 أنها كلمة يونانية تعني اللوز الجبلي أو الحناء Privet.

(73) وافق مجمع اللغة العربية بالقاهرة على (الوميض الفسفوري) لهذه الكلمة الفرنسية.

وذكر ابن بهلول (الحسن النسطوري في معجمه السرياني ــ العربي) : «الأرقان : طائر زعفراني يظهر في تموز في الخرابات والمقابر». واسمه بالأرمية : يَرْقانا... ويقال له بالعربية أيضاً يَرقان. وهذا التعريف هو على رأي الأقدمين. وأما اليوم فقد ثبت أنه ليس بطائر بل إنما هو أبخرة لطيفة تتصاعد من المقابر وبعض المستنقعات والأخربة التي تكثر فيها الجيف أو العظام... إن تلك الأبخرة سماها بعض علماء عصرنا بالنار التائهة نقلاً عن الافرنج، وكان يسميها العرب في عصر العباسيين : الأرقان».

وفي بحث فؤاد حسنين علي المنشور في مجلة كلية الآداب ــ جامعة فؤاد الأول ــ المجلد 12، ج 1، سنة 1950 م دراسة تأصيلية جيدة لمجموعة من الألفاظ الدخيلة، اقرأ إن شئت : بردج : برده (ستارة) ص 15. زبون : المشتري أو البائع ص 40. شفره : لغة المخاطبة السرِّية (ص 58). فردوس : الجنة ص 73. فستان : ثوب الأنثى ص 73. فلك : سفينة ص 76. قبة : بناء سقف مستدير مقعّر معقود بالحجارة أو الآجر ص 79. منديل : نسيج يتمسح به العرق ص 113... وغيرها وسأثبت هنا مثلين من تخريجه :

قال في (بنزين) : «سائل لوقود السيارات والطائرات : عربي : لبان جاوى >[74] الهندية الأوروبية : بنزو Benzoe : ولما جرت العادة قديما أن يستخرج سائل البنزين عن طريق تسخين حامض البنزو أطلق العلماء على السائل المستخرج منه : بنزين>العربية» : ص 19.

وقال في (قبة) : «بناء سقف مستدير مقعّر معقود بالحجارة أو الآجر : اختلفت الآراء حول هذا اللفظ وأصالته وأصالة مضمونه في اللغة العربية، وذلك لاشتراك الأسرتين اللغويتين السامية والهندية الأوروبية فيه لذلك رأيت أن أعرض له كاشفا القناع عنه مبينا ساميته وأصالته عند الساميين وإن كان دخيلا في العربية. لم يعالج الخفاجي هذا اللفظ كدخيل بل ذكره عندما تحدث عن (أبو رياح)، فقال عنه بمعنى طائش تشبيها له بتمثال له من نحاس على عمود من حديد فوق قبة. ولفظ (قبة) هذا دخيل في العربية وهو سرياني أصله (قوبا) أو (قوبثا) واستعارته بعض اللغات السامية فهو في العبرية (قبث)، وفي المندعية (قوميا) أو (قومبثا).

وقد نقل العرب هذا الفن من البناء ومدلوله إلى إسبانيا حيث نجد alkoven (الكوفين). ولم يقف انتشار هذا الفن عند شبه جزيرة إيبريا بل سرعان ما نجده ينتشر في سائر أنحاء أوروبا من جديد بعد أن سبق لها أن عرفته عن طريق اليونان. ومع هذا الفن غزا مدلوله اللغات الأوروبية ففي اللاتينية cupa (كوبا)، والايطالية cupola كوبولا، والألمانية Kuppel (كوپل)، والفرنسية coupole (كوبول)، والانجليزية cupola (كوبولا).

وهل كان يخطر ببالنا يوما ما أن هذا اللفظ السامي القديم يترك هذا الأثر العظيم فيتعدى ما وضع له، ويفرض نفسه على كل شيء جمعته به رابطة ما ولو كانت رابطة الشكل فقط فنجده في cup (كپ) الانجليزية وcoupe (كوب) الفرنسية، وcoppa (كپا) الايطالية بمعني : فنجان : ثم تأتي العربية وتستعير عن الايطالية أو الفرنسية أو عنهما معاً لفظ (كوب) أو (كوبة) أو(كباية) في المعنى المتداول بيننا ؟

ولم يقف أثر هذا اللفظ عند هذا الحدّ بل نراه يبسط نفوذه على اللغة الألمانية فيحتل منطقة واسعة من مناطقها اللغوية فنجد koppchen (كوبشن) (شن : علامة تصغير) بمعنى فنجان و koppe (كبّا)

(74) هذا الرمز عنده يعني انتقال اللفظ من لغة إلى لغة.

قمة الجبل وkopf (كُبْف) (رأس). وغير هذه المعاني نجد الشيء الكثير عند فحص كل مادة على حدة في اللغات المختلفة.

وإمكانية التأصيل في الألفاظ المحدثة أكثر سهولة وأيسر مسلكاً، لأنه يتم عبر لغات حية. فالفاتورة : قائمة بالأشياء أو المبالغ المطلوبة من الايطالية fattura (فتورا)، وانظر (معجم المؤنثات السماعية، حامد صادق قنيبي) فقد حشد طائفة من الألفاظ المعرّبة الحديثة، وبيّن أصولها. وأشار إلى مصادر دراسة هذه الألفاظ من المعجمات والدوريات والأبحاث.

على أننا لا نعدم وجود اختلاف بين الدارسين المحدثين في تأصيل المعربات، رغم أن كل فريق يزعم أنه قد سلك المنهج العلمي مبتعدا عن الحدس والتخمين، ومن ذلك ما أشار إليه انستاس الكرملي في (المساعد 1 / 230) : «ارتأى الأستاذ عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (17 / 245) أن كلمة (الاشتيام) من أصل فارسي هو (آشتا)، أي سبّاح، ثم انتقل معناها إلى (رئيس المركب الذي لا يمكن أن يكون خبيراً بالسباحة ذا علم بها). وعندي أن (الاشتيام) قديمة في العربية، وأنها من صدر الاسلام... ويختلف معنى (الاشتيام) باختلاف الأزمان والبلاد... وهي ليست من أصل فارسي كما قال الأستاذ (لين) في كتابه (مدّ القاموس)، وأنه من (أستيام)... فلم يبق لنا إلاّ القول بأنها من الآرمية، أو اليونانية، والقول بأنها من الآرمية هو رأي جمهور المستشرقين... فهي من (الاشتياما) الذي معناها (الخاتم)... والكلمة على رأيهم مشتقة من الفعل (شتم) أو (ستم)، أي ختم وسدّ وسَدَمَ وسطم في لغتنا»...

وهكذا نرى اختلاف الآراء وكلٌّ يذهب في رأيه مدعياً استناده على حقائق، لايملك الباحث إلاّ الحيرة إزاءها.

ولقد وصَّم إبراهيم السامرائي دراسات طائفة من الباحثين المحدثين بأنهم قد سلكوا مسلكاً غريباً مناقضا للعلم في ادّعاء سريانية قدر كبير من الكلم العربي. وقال : «ولا يمكن هذا في عصرنا، عصر المعرفة اللغوية التي أدركت العلم اللغوي التاريخي مما يتصل بعلم اللغات السامية المقارنة»[75] وقد صنع معجما استدرك فيه على أعمال كل من : يوسف حبيقه البسكنتاوي صاحب (الدوائر السريانية في لبنان وسورية)، وفيليب حتي صاحب (اللغات المحكية في سوريا ولبنان)، ومار أغناطيوس أفرام الأول صاحب (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية)، وداود الجلبي صاحب (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية). وسنعرض لبعض الأمثلة في الفقرة التالية.

2.1.3. التأصيل الخيالي :

لقد مرَّ نموذج من التأصيل الخيالي في رسالة ابن كمال حين زعم أن لفظ (السياسة) معرّب (سه يسا) الملمعة من المغولية والتركية بمعنى التراتيب الثلاثة. وأنها من الدخيل في عصر المغول (القرن السابع الهجري)، وأنها حُملت وهماً على وزن عربيّ، فأصلها على ما زعم مركبة من كلمتين أولهما فارسية (سه = ثلاثة)، والأخرى تركية (يسا = التراتيب)، ثم ثقل على العامة أن يقولوا (سه يسا) فعربوها بتغيير الترتيب فقالوا (سياسة) وقربت في أذن السامع من البناء العربي الاشتقاقي.

ولا يخفى ما في هذا التحليل من تكلف ظاهر في التأويل والوهم لما ثبت لدينا أصالة مضريتها، وأنها

(75) السريانية بين اللغات العامية وفصيح العربية، ص 161، من كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس.

من مصدر عربي متصرف كما ورد في الجمهرة لابن دريد (321 هـ)، والصحاح للجوهري (393 هـ)، فضلاً عن الفارق الزمني بين عصريهما وعصر المغول.

وإني لأستغرب من ابن كمال كيف راح يتعقب أئمة اللغة ابتداءً من ابن دريد وانتهاءً بالفاضل الشريف، وسعد الدين التفتازاني، وقد قرن في الغالب بين الجوهري وصاحب القاموس ووصمهما بالغفلة تارة، والتوهم أخرى، والخطأ ثالثة. ورغم أننا وجدنا لما استدرك عليهما وجوهاً أخرى — لا دفاعاً عنهما دون سند — أقول: استغرب كيف سكت عن خطأ المتقدمين في تأصيل مثل: الاسطرلاب والاسفنط... ونحوهما.

فالفيروز أبادي ذكر (الاسطرلاب) في (ل وب) وزعم أن (لاب) اسم رجل فقال: «... ورجل سطّر أسطراً وبنى عليها حسابا، فقيل (أسْطُر — لاب)، ثم مزجا ونُزعت الاضافة، فقيل الاسْطُرلاب، معرَّفةً، والاصْطُرلاب لتقدم السين على الطاء».

ولا يخفى ما في هذه الحكاية من تكلف التأويل، وغرابة التلفيق، وقد تنبه لذلك صاحب مفاتيح العلوم (ص 232 — 233) فقال: «الأسطرلاب معناه مقياس النجوم وهو باليونانية: اصطرلابون، و (اصطر): هو النجم، و(لابون): هو المرآة، ومن ذلك قيل لعلم النجوم: اصطرنوميا، وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات في هذا الاسم بما لا معنى له، وهو أنهم يزعمون أن (لاب) اسم رجل، وأسطر جمع سطر، وهو الخط، وهذا اسم يوناني. في اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف».

ويقول الدرس اللغوي الحديث (المعجم الكبير 1 / 283): «أسطُرلاب (الاصل يوناني astrolabium =أسْتُرولابون): آلة فلكية كانت تستعمل قديما في رصد الأجرام السماوية، ثم أطلق الاسم على آلة كان يستعملها الملاحون في القرن الثامن عشر لقياس الزوايا».

أما في (الاسْفَنْط)، فقد أدرجها صاحب القاموس في (سفط)، فقال: «الاسْفنط: بالكسر، وتفتح الفاء: المطيب من عصير العنب، أو ضرب من الأشربة، أو أعلى الخمر. سُمِّيتْ لأنَّ الدنان تسفطَنْها، أي: تشَرَّبَتْ أكثرها. أو من السفيط للطيِّب النفس».

وغني عن البيان إسراف صاحب القاموس في التأويل[76]، ومع ذلك سكت عنه ابن كمال. جاء في (المرجع للعلايلي ص 158): «إسْفِنط (دخيل من اليونانية أو اللاتينية)، الشراب الخليط من أصناف الخمر المطيبة، وهي بإزاء (كوكتيل) لفظ مولد حديث».

لقد تكلف المتقدمون في ردّ كثير من الألفاظ إلى أصولها، فقالوا في (عسكر) أو (معسكر) أنه من (لشكر) الفارسية، وهو مجمع الجيش. وبعضهم قال إن أصلها من السريانية أو البابلية. ومثلها لفظة (زور) بمعنى قوة. و(ديوان)... وغيرها مما اتفقت فيه العربية مع السريانية أو العبرية أو الآرامية أو الحبشية. ولا عجب أن تتفق اللغات السامية وهي من أسرة لغوية واحدة في بعض موادها. ولا مانع أن تتوارد بعض اللغات السامية مع الهندية والآرامية في بعض المواد، فإن ذلك من قبيل توارد الخواطر. ولكن يظل الاستقراء والتتبع وتأييد الوضع من التاريخ الحضاري والمستوى الفكري هو السند المعوّل عليه في الحكم.

(76) ذكر الجوهري أنها فارسية، وانظر المعرب للجواليقي ص 66.

وعجيب أن ترى أن بعض اللغويين المحدثين يجنح إلى التأصيل الخيالي، ومن ذلك ما ألمعنا إليه في نهاية الفقرة السابقة من ذكر (إبراهيم السامرائي) لمصنفات من وصفهم أنهم (سلكوا مسلكاً غريباً مناقضاً للعلم في ادعاء سريانية قدر كبير...) وقد صنع الباحث معجماً صغيراً حصر فيه أوهامهم، وهاك نموذجاً منه :

قال في «(بودقة) Boudaqah» بوطة، إناء من خزف يذيب الصائغ فيه المعادن. وهو من (بوطا) السريانية. وهي بالفارسية (بوته)، ولما كان تمدن الأرميين سابقاً تمدن الفرس جاز لنا اعتبار هذه الكلمة آرامية. انتهى كلام المصنف.

أقول : الصحيح أن الكلمة من المعرّب الذي أخذ من الفارسية، والدليل على ذلك أن العرب ألحقوا القاف بعد فتحة التاء التي أبدل بها دال على طريقتهم في الدورق والجوسق وغيرهما»[77].

وقال في[78] «(بيدر) Bedar : يقال بالعربية للحصيد المركوم المُعَدّ للدرس (الأنرد) و(البيدر). فأما (أندر) فمن (أدر) السريانية، وأما (بيدر) فمن السريانية (بيت ادرا) بإمالة الراء. وفي (التاج) : الأندر البيدر شامية.

أقول : إن «البيدر» من (بيت ادرا) واستخدام بيت يرد في أسماء المواضع والمدن في العراق وسورية ولبنان. وهذا يشير إلى أنها من الأسماء السريانية التي بقيت في العربية، مثل بعقوبا وباجسرا وبعشيقا وبخزاني وبقسايا وباصيدا وغيرها من المواضع العراقية، وبرمانا وبحمدون في لبنان».

أما أدى شير في (الألفاظ الفارسية ص 23) فيزعم أنها فارسية. وفي فلسطين لها مرادف آخر هو : الجرن. ومن طريف المصادفة أن (البيدر) في عامية مدينة الخير من السعودية هو الماء العذب، وهي كلمة عامية معربة من الانجليز Boiling water، وقد كانت (أرامكو) تقوم بغلي الماء على سبيل تنقيته قبل توزيعه للشرب والطهو ثم شاع اللفظ وعمَّ وصار يطلق على ماء الشرب، وفي هذا يقول الشاعر العامي[79] :

الله يجازيك يازمان

قالوا : ما في بلادنا،

ها لايام فقير...

الشرب بيدر، والسواحلي صار حرير.

وباحث آخر هو سليمان أبو غوش أغرب في التأصيل حين زعم أنّ العربية هي أصل اللغات والانجليزية بخاصّة. وقد أصدر كتابا باسم (عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي) صدر في الكويت عام 1977م.

لقد أشفقت على الباحث إذ أمضى جهداً كبيراً في التماس ذرائع لدعاواه معتمدا على أدهى تشابه صوتي بين بعض الألفاظ العربية والانجليزية ورغم أنه مسبوق بهذا الاتجاه[80] إلاّ أن بحثه يعتبر أكبر حشد لطائفة الألفاظ التي استعارتها الانجليزية — على زعمه — منذ عهود موغلة في القدم لم يستطع أن يقدم سنداً ملموسا لها. ومن الأمثلة التي ساقها :

---

(77) السريانية بين اللغات العامية وفصيح العربية ص166، وقابل بألفاظ فؤاد حسنين علي حيث يقول ص20: «(بوطة) أو (بوتقه) أو(بودقة) : وعاء يذاب فيه المعدن. فارسي : بوتة ›الآرامية : بوطة أو : بودقا›العربية».

(78) السامرائي، المرجع السابق.

(79) عبد الرحمن رفيع، والرواية سماعية. وقد كتبت هذه الفقرة بالتشاور مع الأستاذ بكر عباس، رئيس قسم الترجمة بأرامكو 1986 م.

(80) انظر : جرجيس فتح الله، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد الثالث1936، وللأستاذ أنيس المقدسي بحث حقق فيه مائة وأربعين كلمة عربية واردة في معاجم العربية. كما أن المستشرقة زيغرد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) قد صنعت ملحقاً ضم أكثر من مائتين وخمسين كلمة.

أوغر =	،abhor	كوم (ركم) =	accumulate
قاسي =	،acid	عقار =	acquire
غدة =	،adenoid,	الطوب =	adobe
أفاض =	،affuse	علاوة =	allowance
الطنبور =	،altambour*	بتل (بطل) =	battle
نصيب =	،bonus	خلق =	character
لغة متداولة =	،dialect*	هرطقة =	Heretice*
رفض =	،refuse	طبلية =	Table*

... وغيرها، وهاك مثالا من التحليل :

قال في (الطوب adobe) ص 150 : «وتعني الكلمة الانجليزية اللبن ـــ بكسر الباء ـــ أي الطوب المحروق بالشمس. وهو يستعمل للبناء ـــ وكلمة (طوب) أصلها (طوف) بإبدال الفاء باء كما نقول نقف ونقب بنفس المعنى. وقد سمي (طوب) أو(طوف) لأنه يستعمل لبناء الحائط».

وقال في (الطنبور altambour) ص 162 : «وتعني الكلمة الانجليزية آلة موسيقية لها عنق طويل وأوتار. والميم مبدولة من النون. وتظن القواميس العربية أن الكلمة فارسية. غير أني أظن أنها عربية لدلالة لفظها على ذلك... فالطنب في اللغة العربية هو الحبل الطويل... والطنبور له عنق طويل وأوتار طويلة. والراء هنا زائدة... ولعلها صيغة لاحدى اللهجات القديمة ماتت أصولها».

وقال في (نصيب = bonus) ص 191 : «وتعني الكلمة الانجليزية مكافأة أو علاوة. والكلمة تحتوي على ثلاثة حروف صحيحة هي (ب ن س) والسين مبدولة من الصاد، وعند القلب تصبح (ن ص ب)، والنصيب في اللغة العربية فيها معاني الحصة والمكافأة والعلاوة».

وقال في (طبلية = table) ص 384 : «... والواقع أن حروف (ط ب ل) وقلبها (ب ل ط) وإبدال الطاء دالاً (ب ل د) وإبدال اللام سينا (ب س ط) في اللغة العربية كلها من كلمة واحدة وقد طرأ عليها إبدال وقلب مع تطور اللغة. والأصل في معني هذه الحروف الثلاثة هو التسطح... وأستطيع أن أستخرج العديد من الكلمات من هذه الحروف (ط ب ل) باستعمال قوانين القلب والابدال وزيادة الحروف. ووجود أسرة كبيرة لهذه الحروف دليل على أصلها العربي... ومنها في الانجليزية tableau بمعنى لوحة رسم، وtabular أي مسطح أو منبسط،.. وplatform... وغيرها».

وبعد ؛ فما الذي يمنعنا من الشك في صحة هذا التوجيه ما دام أن الباحث على امتداد دراسته لم يقدم لنا مرجعا واحدا معتمدا. أهو عمل مبتكر برمته أم إسراف في التوهم وتعمل في التأصيل. ثم إنه خلط بين الألفاظ العربية والمعربة. ولم يسند رؤيته اللغوية بسند من التاريخ الحضاري، أو بيان عوامل الاتصال بين اللغتين العربية والانجليزية بخاصة في الزمن القديم. بل إنه جعل عطاء العربية مستمرا في الحاضر في مثل (الغدة = adenoid) و(radio من ردّ ص 351) و(riot من ثورة ص 356) و(School من الصاقلة ص 363)... وغيرها كثير.

لقد عرضت نموذجا من ألفاظ (أبي غوش) على زملائي في الجامعة فلاقت رفضاً، فضلاً عن غموضها واختلاط الدلالة فيها. وعجيب منه أن يدّعي عربية بعض الألفاظ مع بينونة أعجميتها وذلك على نحو لفظة (الطنبور)، فقد جاء في (تاج العروس 12 / 438) : «(الطُّنْبُور)، بالضم، و(الطِّنْبار) بالكسر، معروف، فارسي معرب دخيل، أصله (دُنبة بَرّه) بضم الدال المهملة وسكون النون، وفتح الموحدة، وبرّه، بفتح الموحدة وتشديد الراء المفتوحة، (شُبه بألية الحَمل)، فدُنبه هي الألية، وبرّه : الحمل».

وعند (أدّى شير ص 113) : «من آلات الطرب ذو عنق طويل وبستة أوتار معرّب تنبور، أصله دُنبه بَرّه، أي ألية الحمل سمي به على التشبيه» انتقل إلى اللغات الأوروبية عن الاسبانية tambor.

ولولا الاطالة لاسترسلنا في ردّ معظم ما ورد في هذا السفر والذي نحسب أن إهماله خير من التشهير به لولا مقتضيات البحث العلمي.

وباحث آخر من هذا الطراز أقرَّ ابتداءً أن عمله نوع من المغامرة اللغوية، هو (عبد الحق فاضل وكتابه مغامرات لغوية، توزيع دار العلم للملايين د.ت)، وكان قد نشر بعضاً من مقالات الكتاب في مجلة (اللسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط) دعا فيها إلى اعتماد مصطلح (علم الترسيس القائم على تأثيل الألفاظ اللغوية مرادفاً لمصطلح التأصيل اللغوي Etymology زاعماً أنَّ العربية أصل اللغات الآرية أو الهندوأوروبية والساميات).

ولا تخلو محاولة (فاضل، عبد الحق) من جهد لغوي إذ وضع في اعتباره أهمية الدراسات اللغوية المقارنة إلاّ أن عمله ظل في إطار المبالغة التي تعوزها الشواهد اللغوية، مما أرجعه إلى ما وقع فيه أسلافه من المتقدمين الذين رأيناهم عندما كانوا يجهلون اللغة الأم التي انحدرت منها اللفظة يعمدون إلى تلمس أوهى الأسباب ليقيموا عليها قناعاتهم. بل أنه يعترف بمزالق هذا المنهج فيقول (ص 128) : «وليس يمكننا الآن بعد هذه الأحقاب الطوال أن نتعرف في لغة الجاهلية — بل لغاتها — على الكثير من أمثال الألفاظ العربية المتفرنجة التي مرت بنا، كما نفعل الآن مستعينين باللغات الأجنبية المعاصرة ومعاجمها اللغوية فنقول عن يقين أو شبه يقين أنها تطوَّرت كذا وكذا. ولكن فقدان المعاجم القديمة لا يمنعنا من المحاولة، باللجوء إلى الحدس والملاحظة والمقايسة والاستنتاج — مع علمنا بما في ذلك من مزالق وتعرضٍ للخطأ. **فعلى هذا سيكون بحثنا فيما يلي أشبه بالتقفي الذي يأخذ بالشُبهة ويحكم بالظنة،** منه، بجمع الحقائق وتقرير الواقع».

لقد كفانا مؤنة التعليق وحسبنا أن نقول : الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال.

ونكاد نخلص بعد هذه المقارنات للأمثلة التي تناولناها في باب التأصيل اللغوي أنه ليست هناك حقيقة مطلقة وصارمة، بل هي نسبية في معظمها... ويبقى التساؤل : ما موقفنا إزاء هذه الطائفة من الألفاظ المعربة التي دخلت متن اللغة وعلقتها الألسنة وانتهى بها المطاف إلى دلالات معينة، حتى أ ن العرب اشتقت منها — أحياناً — وتصرفت فيها ؟... أنتركها إذا ثبت لنا بالدرس المقارن خطأ ما توهمناه إزاءها ؟ !

أراني مسوقاً إلى الأخذ بموقف أنستاس الكرملي، فهو يقول (المساعد 1 / 115) : «... ولعلك تسأل هل يجوز أن ننبذ من الكلمة المعنى الذي نجده في دواوين اللغة العربية لنستعمل معناها أو معانيها الأصلية ؟... قلنا : كلا... لأنَّ الغاية من اللغة التواطؤ، فإذا كان الأقدمون اتفقوا على تعيين

هذا المعنى، كفانا وضعهم عن نبذه. إلاّ أنه يجوز لنا الرجوع إلى المعنى الأصلي إذ لا مانع يحول دون العود إلى مصدر الحقائق».

* * *

ولا يحسن أن ننهي هذا البحث دون الاشارة إلى ظاهرة اضطراب ترتيب مداخل المعجم العربي إذ إنها تَمُتُّ بصلة إلى ما قدمنا من أفكار.

والمعجم كتاب يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ومفرداتها وتراكيبها والمعالم الحضارية فيها بغية شرحها وإيضاحها شريطة أن يرتب ترتيبا معيناً.

وصناعة المعجم تقوم على دعامتين أساسيتين هما : التعريف والتصنيف، وهما متلازمتان تؤثر الواحدة في الأخرى. والمعجم الأوروبي رغم حداثته النسبية لم يحد عن الترتيب الألفبائي alphabetical النطقي المطلق. وذلك لأن شخصية اللغات الأوروبية تتسم بالالصاق والنحت. والألفاظ فيها وحدات مستقلة، كل لفظ فيها يشكل مدخلاً مستقلاً.

أما المعجم العربي، وهو العريق في أسبقيته لكثير من معاجم اللغات الأخرى، فإن الترتيب فيه وإن تعددت مدارسه إنما يقوم على أساس من أن شخصية اللغة العربية تتسم بالاشتقاق والقياس وأن اللفظة فيها جزء من بناء متكامل بينها وبين الأصل وشائج وعرى لا تنفصم.

أما تعدد منهجيات ترتيب المداخل فيه فقد كان استجابة لتحقيق غايات معينة لم تخُل بالجوهر الأساس لطبيعة اللغة الاشتقاقية، وإنما كانت خدمة تعليمية لمستعملي المعجم.

فالترتيب الصوتي التقليبي نبع أصلاً من رغبة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 171 هـ) في جمع اللغة وتدوينها درءاً لطروء ظاهرة اللحن، وتأكيداً على تعزيز صلة الأصوات العربية بتلاوة القرآن الكريم. وحقاً لقد استحق الخليل بن أحمد الفراهيدي ريادة المعجم العربي لأنه استطاع بنظرية ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً وتقليب جذور اللغة موضعياً أن يستدعي ألفاظ العربية ويؤكد ثبات أصوات حروفها... ثم توالت مدارس المعجم العربي وإن ظلت عالة عليه إلاّ أن كلاً منها حاول أن يضيف جديداً.

فمدرسة القافية ورائدها أبو نصر اسماعيل الجوهري (ت 393 هـ) هدفت إلى تزويد المتأدبين والشعراء بالقوافي والأسجاع، ولم تخرج عن الترتيب الأصولي الاشتقاقي سوى اعتماد أواخر الأصول محوراً لترتيب المداخل ترتيباً ألفبائياً حقلياً.

أما مدرسة الترتيب الألفبائيّ الأصولي حسب أوائل اللفظ العربي ورائدها محمود بن عمر جارالله الزمخشري (ت 538 هـ)، فلقد سهلت على الدارسين استخدام المعجم، وسلكت ألفاظ اللغة في عقد منتظم الحلقات أساسه الأسر اللفظية التي تتجمع حول أصل اشتقاقي واحد.

ثم اننا قد نرى مدارس أخرى تجمع بين أكثر من منهجية، ولكل فيما يرى مذهب(81).

لقد حظيت مدرسة الترتيب الألفبائيّ حسب أوائل الأصول بالنصيب الأوفر من اهتمام المعجميين حتى أن الاتجاه الحديث اتجه لاعادة ترتيب المدارس الأخرى على طريقة (المصباح المنير وأساس البلاغة). ولكن مازالت الألفاظ المعربة والدخيلة مشكلة

(81) انظر : علي القاسمي في مقال له بمجلة اللسان العربي مجلد19 ج1، سنة1982، فقد عدد ثماني مدارس للمعجم العربي ص15.

يتصدى المعجميون لحلها، ذلك أن ادخالها متن اللغة واختلاطها بالأصول الاشتقاقية مدعاة للبلبلة والاضطراب يقول الطاهر الزاوي في مقدمة (ترتيب القاموس المحيط ص 4) : «ولطلاب العلم عذرهم في الانصراف عن مراجعته ــ قاموس الفيروز أبادي ــ إذ كيف يعلم طالب العلم أنّ يوسف في (أ س ف)، وإسرائيل في (س را) وفيروز أباد في (ف ر ز)».

وفي الألفاظ المعربة التي تناولناها بالتحليل في هذا البحث وجدنا اضطراب مداخلها واختلاف نظام ترتيبها في المعجم بسبب خناولة إلحاقها بالأبنية العربية وتطورها الدلالي. أضف إلى ذلك عدم الاتفاق على نطق موحد لها وهو ما اصطلحوا على تسميته بتعدد اللغات(82)، قال الجواليقي : «وكذلك تجد العرب إذا وقع إليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا به بألفاظ مختلفة».

ومن ذلك :

عند عرضنا للفظ (الأطربون) رأينا تعدد لغاتها، واختلاف المعاجم في إدراجها، ولولا اعتمادنا على معجم المساعد لما استطعنا أن نقف على مفارقات وضعها في المصادر العربية لأن تجريدها يفضي حتما إلى تعدد احتمالات العثور عليها فهي في التاج في مادة (ط ر ب ن) وفي التهذيب في مادة (ذ م ر) وفي غيرهما في مادة (ط ر ب).

وتحت مادة (ب ر س) نجد في اللسان لفظ (النبراس)(*) على اعتبار النون زائدة، كما نجد (البرنساء) على اعتبار النون زائدة وليس هناك رابط معنوي بين (النبراس والبرنساء والبربس)، فالاول للمصباح، والثاني لابن الانسان. يقول محقق المعرب للجواليقي ص 388 في (النبراس) : «لم يذكر أحد غيره ــ الجواليقي ــ أنه معرّب. وقد ذكره ابن دريد في (باب ما جاء على فِعلان ونفعال) في الجمهرة (3 / 386). وذكره اللسان في فصل النون، وأشار إلى أنه ثلاثي، وذكره قبل في فصل الباء، وقال : (قال ابن سيده : وإنما قضينا بزيادة النون لأن بعضهم ذهب إلى أن اشتقاقه من (البِرْس) الذي هو القطن، إذ الفتيلة في الأغلب إنما تكون من قطن) وذكره الأزهري في الرباعي، قال : (ويقال للسنان نبراس، وجمعه النّبارسُ)».

و(الآجر) : الطوب المشوي، فيه لغات، قال صاحب المعرب ص 69 : «وفيه لغات : آجُرّ، بالتشديد. وآجُر، بالتخفيف. وآجُورّ. وياجُورّ. وآجُرُون. وآجِرون». وقد ذُكر في اللسان في مادة (أ ج ر).

و (الإسفنط) : الخمر المعتقة، فيه سبع لغات (المعرب للجواليقي ص 66) وذكر في أكثر من مادة : ففي اللسان ذكر في خمس مواد : (أصفند. أصفط. أسفط. اصفَعِند. سبط) والمعروف أن اللسان ناقل عمن سبقه. وفي تاج العروس ذكر في مادتين : (سفط وصفط).

و(جبريل)، قال الجواليقي في المعرب (ص 161) إن فيه سبع لغات. وقد ذكره صاحب اللسان في ثلاث مواد : (جبر. جبرل. جبرن)، وقال في البحر المحيط 1 / 317 : «وقد تصرفت فيه العرب على عادتها في تغيير الأسماء الأعجمية حتى بلغت فيه إلى ثلاث عشرة لغةً».

ومثل هذا كثير في المعربات والدخيل، وانظر إذا شئت مزيداً مداخل ولغات الطائفة التالية من الألفاظ : المنجنيق. رستاق. الطيلسان. العربون. الفالوذج. إبراهيم، بالاضافة إلى ما ذكرناه عند تحليلنا لهذه المعرّبات.

---

(82) المقصود باللغات هنا : النطق الصوتي، واختلاف طرائقه من حيث الترقيق والتفخيم وإبدال بعض الحروف وقلبها، والاضافة، والحذف... ونحوها.

(*) أورده أيضاً في(ن ب ر س).

وعلى أيٍّ حال، فلقد انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في انتهاج المزاوجة بين النظام الألفبائي الأصولي بحسب أوائل الألفاظ. والنظام الألفبائي النطقي المطلق لحل مشكلة إدراج الكلمات المعربة والدخيلة ــ وهي في ازدياد كما أوضحنا ــ فاعتبر كلمات : أسبرين وتلفون. ونيوترون. ونيون وأمثالها ــ كلّ حروفها أصولا ونجدها بحسب ترتيب حروفها لا تحت جذر معين. وقريب من هذا النهج صنع العلايلي معجم (المرجع)[83].

* * *

---

(83) انظر : الخطيب، أحمد شفيق. من قضايا المعجمية العربية المعاصرة (من محاضرات الندوة العلمية الدولية لجمعية المعجمية العربية بتونس ــ نيسان 1986 م)، ص 60.

تشومسكي

د. مازن الوعر
جامعة دمشق ــ سوريا

مدخل

(تشومسكي) هو عنوان الكتاب الذي ألّفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز عام 1970 وترجمه إلى العربية الدكتور محمد زياد كبّه، ونشره النادي الأدبي بالرياض عام 1987.

يطرح الكتاب أبعاداً عديدة : لسانية وفلسفية ونفسية ورياضية تدور كلها حول محور واحد ألا وهو اللغة. فماهي اللغة ؟ ولماذا وجدت ؟ وكيف وجدت ؟ ماعلاقتها بالدماغ البشري ؟ وكيف يتم عملها فيه ؟ ثم ماهي الوظائف التي تقوم بها ؟ وبعبارة دقيقة، كيف يمكننا معرفة ما نعرف حول اللغة وبنيتها صوتاً وتركيباً ودلالةً ؟

سأحاول في هذا البحث الاجابة عن هذه الأسئلة طبقاً لرأي تشومسكي وذلك من خلال العناوين الرئيسية المطروحة في هذا الكتاب.

ولكن قبل الاجابة عن هذه الأسئلة ينبغي أن نبيّن الأسباب التي دفعت الباحث المترجم لأن ينقل هذا الكتاب إلى العربية ذلك لأنها أسباب منطقية ومهمه.

ففي رأيه أن اللسانيات الحديثة اتخذت في السنوات الماضية طابعاً خاصاً جعلها تنتشر على نطاق واسع في الجامعات العالمية وهكذا فإنه من المفيد للقارىء العربي أن يعرف أهم التطورات اللسانية في هذا العلم الحديث وأن يكون على معرفة باللساني الأمريكي نوم تشومسكي الذي يذكر اسمه كلما ذكرت اللسانيات.

وقد تعرض المترجم الباحث إلى الصعوبات التي واجهته أثناء ترجمة هذا الكتاب ومنها قضية المعجم العربي الذي لا يزال يفتقر إلى الترجمة الدقيقة لكثير من المصطلحات اللسانية الحديثة. لذلك فقد استبدل المترجم بالأمثلة الانكليزية التي وردت في هذا الكتاب أمثلة عربية ملائمة بقصد الايضاح، واستبدل أيضاً بالقواعد اللغوية اللاتينية مجموعة أخرى تلائم اللغة العربية.

وأخيراً يعلل الأسباب التي جعلته يترجم مثل هذا الكتاب. ففي رأيه ــ كما هو الأمر في رأي

تشومسكي ــ أن جميع اللغات متماثلة في جوهرها. وبناءً على ذلك فإن الاختلاف في البنية السطحية لا يؤثر في جوهر النظرية. أضف إلى ذلك أن المترجم لا يهدف إلى أن يضع بين يدي القارىء العربي ما يشير إلى ما وصل إليه النحو العربي من التطور منذ قرون عديدة وهو المستوى الذي تحاول النظرية النحوية الحديثة في الغرب أن تدركه. فالنحاة العرب أدخلوا الفكرة التحويلية والتوليدية في صلب قواعد اللغة العربية. وما قواعد الحذف والاضافة والتقديم والتأخير ومفهوم (التقدير) في الاعراب إلاّ جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية. وفي رأي المترجم أن تشومسكي أخذ مبادىء نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العربية التي قدم رسالته لنيل درجة الماجستير فيها. ومن المعروف أن للنحو العربي أثراً بالغاً في النحو العبري.

ولكن تشومسكي أضاف بلاشك الصيغة الرياضية على النحو وصاغه بطريقة حديثة مستفيداً من خبرته في الرياضيات والعلوم الحديثة.

1 ــ نبذة عن حياة تشومسكي

ولد تشومسكي في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في السابع من كانون الأول عام 1928، وتلقى تعليمه الأول في مدرسة (أوك لين) ثم في المدرسة المركزية العالية في فيلادلفيا. وبعد ذلك التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس اللسانيات والرياضيات والفلسفة. نال تشومسكي درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا رغم أنه أجرى معظم بحثه الذي نال بموجبه درجة الدكتوراه في جامعة هارفرد عندما كان عضواً في جمعية الزمالة فيها. ومنذ عام 1955 مارس تشومسكي مهنة التدريس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا حيث يحتل الآن مرتبة الأستاذية في اللسانيات. وتشومسكي متزوج وله ابنتان وولد.

حظيت أعمال تشومسكي بالتقدير في الدوائر الأكاديمية فمُنِح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو ومن جامعة لويولا في شيكاغو ومن جامعة لندن. كما دُعِيَ لالقاء المحاضرات في عدد من البلدان. ففي عام 1967 ألقى تشومسكي (محاضرات بيكمان) في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، في عام 1969 ألقى محاضرات (جان لوك) في جامعة أكسفورد، ومحاضرات (ذكرى شيرمان) في جامعة لندن.

وقد حقق تشومسكي أول شهرته في ميدان اللسانيات حيث تعلّم قسطاً من مبادىء اللسانيات التاريخية من والده الذي كان عالماً في العبرية. إلاّ أن العمل الذي يُشْتهر به الآن، وهو بناء نظام النحو التوليدي، تطور من خلال اهتمامه بالمنطق الحديث وبأسس الرياضيات، حيث طبقها فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية. ولقد كان للعالم زيلك هاريس، وهو أستاذ اللسانيات في جامعة بنسلفانيا أهمية كبيرة في تطور تشومسكي الفكري. وذكر تشومسكي نفسه أن تعاطفه مع آراء هاريس السياسية كان الدافع الحقيقي وراء التحاقه بدراسة اللسانيات في بداية مرحلة دراسته الجامعية. ومن هنا نبيّن كيف أن السياسة هي التي أدت به إلى اللسانيات. وقد أبدى تشومسكي اهتمامه بالسياسة منذ نعومة أظفاره. ومنذ عام 1965 أصبح من أبرز المعارضين لسياسة أمريكا الخارجية، كما أن مجموعة مقالاته المنشورة في كتاب (القوة الأمريكية والمنادرين الجديد) والذي كتب إهداءه (إلى الشبان الشجعان الذين رفضوا الخدمة في حرب إجرامية) تعتبر لدى الكثيرين إحدى أقوى الادانات للتورط الأمريكي في فيتنام التي ظهرت حتى الآن.

2 ــ مقدمة المؤلف

يذكر المؤلف هنا أن تشومسكي لعب في

ميدان اللسانيات الحديثة دوراً مهماً في تاريخ هذا العلم، ولا سيما في كتابه الأول (البنى النحوية) (Syntactic structures) الذي صدر عام 1957. فقد أحدث هذا الكتاب ثورة علمية. هذه الثورة تُعَدّ اليوم من أرسخ الثورات اللغوية وأبعدها أثراً.

ولم تكن شهرة تشومسكي بين علماء اللسانيات هي التي جعلت منه واحداً من أعلام الفكر الحديث، فاللسانيات ليست سوى موضوع مغلق لايكاد يعرفه سوى صفوة من الناس، ولكنها انقلبت في يومنا هذا إلى واحد من فروع دوحة العلوم جدير بالبحث ليس في حد ذاته وحسب، وإنما مرده بالمقام الأول إلى تشومسكي. ذلك لأن للغة أهمية بالغة في كل منحى من مناحي الحياة. يقول تشومسكي في هذا المجال :

«إن المبادىء العامة التي تتحكم بشكل القواعد النحوية في لغة كالانكليزية أو التركية أو الصينية هي إلى حد كبير مبادىء مشتركة بين جميع اللغات الانسانية. ويُعتقد أن المبادىء التي تقف وراء بنية اللغة منتظمة ودقيقة إلى درجة يمكن معها اعتبارها محددة بيولوجياً تنتقل وراثياً من الآباء إلى الأبناء».

وحسب رأي المؤلف فإن أعمال تشومسكي تكتسب أهميتها بالدرجة الأولى من أهمية اللغة في جميع أوجه النشاط الانساني وكذلك من العلاقة التي يقال إنها قائمة بين بنية اللغة من جهة وبين الخصائص أو العمليات الكامنة في العقل البشري من جهة ثانية. ولم يحظ تشومسكي بشهرته الواسعة بسبب أبحاثه في حقل اللسانيات وحدها، إذ اشتُهِر منذ عهد قريب بأنه أحد المعارضين البارزين للسياسة الأمريكية في فيتنام. فهو بطل اليسار الجديد حيث رفض أن يدفع نصف الضرائب المترتبة عليه معرضاً بذلك نفسه لعقوبة السجن. كما آزر وشجّع الشباب الذين رفضوا تأدية الخدمة العسكرية في فيتنام.

ويعتقد المؤلف أنه على الرغم من أن آراء تشومسكي في اللغة هي محور هذا الكتاب إلاّ أن نظريته اللغوية وفلسفته السياسية وثيقتا الصلة على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن في الوهلة الأولى. فقد عارض منذ أمد طويل علم النفس المتطرف القائم على المذهب السلوكي الراديكالي الذي يدعي أن جميع أشكال المعرفة والمعتقدات الانسانية وكل نماذج الفكر والنشاط التي تميز الانسان يمكن أن تُفسَّر باعتبارها مجموعة من العادات تُكتسَب عن طريق التأقلم.

وفي الوقت الحالي يوجه تشومسكي التهمة نفسها في كتاباته السياسية إلى علماء الاجتماع والنفس وغيرهم ممن تطلب الحكومة منهم تقديم الخبرة والمشورة فيقومون بمحاولات يائسة لمحاكاة القشور السطحية للعلوم التي هي فعلاً ذات مضمون فكري ذي أهمية، مهملين في محاولاتهم تلك جميع المشكلات الأساسية التي كان عليهم مجابهتها وهم ينشدون الملاذ في التوافه الذرائعية والمنهجية.

وهذا الرأي نابع من احترام تشومسكي للانسان. فالانسان حسب رأيه يختلف عن الحيوان أو الآلة وأن من الواجب احترام هذا الاختلاف سواء أكان في العلوم أم في الدولة. واعتقاده هذا هو الذي يوجّه سياسته ولسانياته وفلسفته.

ولنا طبعاً ملء الحرية بتقبل آراءه ورفضها، إلاّ أنه ليس بمقدورنا أن نتجاهلها. وعلى كل من يرغب في متابعة هذه الآراء أو تقييمها أن يكون مستعداً لملاقاة تشومسكي على أرضه، ونقصد هنا ميدان اللسانيات أو البحث العلمي اللغوي.

ومما يلائم مواقف تشومسكي وتأثيره ويرمز إليهما أن المعهد الذي يجري فيه أبحاثه في بنية اللغة وخصائص العقل البشري هو معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) الذي يعد معقلاً من معاقل العلوم الحديثة. إلاّ أن الآراء التي يعرضها في تلخيص

أبحاثه هي التي تميز فروع العلوم الانسانية في الجامعات التقليدية، لذا فإن التناقض ليس سوى تناقض سطحي، فأعمال تشومسكي تشير إلى أن الحاجز الوهمي الذي يقوم بين الفن والعلم يمكن، بل يجب، أن يهدم.

3 ـ اللسانيات الحديثة : أهداف ومواقف

يعرض المؤلف هنا لشرح مضطلح (اللسانيات) بشكل عام ومن ثم يعرض عناصر الموضوع التي تحظى بالقسط الأكبر من الأهمية في تكوين أفكار تشومسكي تعرّف اللسانيات عموماً بأنها دراسة اللغة دراسةً علمية. وما نعنيه بالوصف العلمي هو الذي يتم بصورة منتظمة مبنية على الملاحظات التي يمكن توثيقها بموضوعية وفي إطار نظرية عامة تلائم المعطيات.

لقد كان البحث اللغوي في أوربا وأمريكا قبل القرن التاسع عشر ذاتياً وغير منظم ويغلب عليه طابع التخمين. لقد كان هذا الانفصام المتعمّد عن الماضي أكثر حدة ووضوحاً في أمريكا منه في أوربا، إذ لم يُرفض النحو التقليدي في أي مكان بحماسة تشبه تلك التي رفضته بها مدرسة بلومفيلد (Bloomfield) اللغوية التي ازدهرت في الولايات المتحدة خلال السنوات ما بعد الحرب الثانية، وهي المدرسة التي تعلم فيها تشومسكي ومن ثم ثار عليها عندما حان الوقت.

ويذكر المؤلف في هذا الفصل بعض الخصائص التي تميز (اللسانيات الحديثة) عن النحو التقليدي وهي التالية :

(1) الاستقلالية عن العلوم الأخرى :

وهذه الصفة نتيجة مباشرة للصفة العلمية التي تحملها اللسانيات. فقد ارتبط النحو التقليدي بالفلسفة ، والنقد الأدبي منذ بدء ظهوره في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد ساهم هذان الحقلان في تكوين المواقف والأسس التي تبناها العلماء في دراسة اللغة طيلة قرون عديدة. ومما يجدر ذكره هنا أن هذه المواقف والأسس لا تزال حتى الآن واسعة الانتشار وراسخة في ثقافتنا لدرجة أنها تعتبر من المسلمات. وعندما يطالب الباحث اللساني باستقلال موضوعه فإنما يطلب السماح له بتبني نظرة جديدة موضوعية من اللغة دون أي التزام مسبق بالأفكار التقليدية ودون أن يتبنى وجهات نظر الفلاسفة أو النقاد أوعلماء النفس أو من يمثلون العلوم الأخرى. وطبيعي ألاّ ينفي هذا قيام العلاقة بين اللسانيات وباقي العلوم التي تهتم باللغة. ولقد حدث هذا التقارب نتيجة التطوير المستقل للسانيات التي كانت بمثابة الحافز لاقامة التحالف بين العلوم الثلاثة.

(2) الاهتمام بأسبقية اللغة المنطوقة على اللغة المكتوبة :

لقد سبق أن أشرنا إلى ارتباط النحو التقليدي بالأدب، وهذا قاد الباحثين إلى أن يركزوا جل اهتماماتهم على اللغة المكتوبة وأهملوا الفوارق بين الكتابة والكلام. كما اعتبر النحويون التقليديون الكلام نسخة مشوهة عن الكتابة في الغالب، مع أنهم لم يهملوه إهمالاً كاملاً. وعلى النقيض من المعياريين فإن اللسانيين الحديثين يأخذون بالمسلمة القائلة أن الكلام يتبوأ المكانة الأولى، أما الكتابة فتحتل المكان الثاني لأنها مشتقة منه، أضف إلى ذلك أن اللغات المعروفة باديء ذي بدء لم تكن سوى كلام منطوق، بل إن آلافاً من لغات العالم لم تعرف خط طريقها للتدوين، أو أنها دوِّنت منذ فترة قريبة جداً. ثم إن الأطفال يتقنون الكلام قبل تعلمهم الكتابة.

ويؤكد المؤلف هنا أن تبني مبدأ أسبقية الكلام على الكتابة لايعني بتاتاً إهمال لغة الكتابة أو الاخلال من شأنها.

(3) الاهتمام باللغة المعيارية واللغة غير المعيارية :

لقد انحصر اهتمام النحويين التقليديين بشكل شبه تام في دراسة اللغة الأدبية الكلاسيكية (المعيارية) وكانوا يحتقرون اللغة العامية (غير المعيارية) باعتبارها غير صحيحة سواء في الكلام أم الكتابة، فقد غاب عن أذهانهم أن ما يسمونه لغة أدبية (معيارية) هو من جهة النظر التاريخية ليس إلاّ لهجة محلية أو اجتماعية معينة (غير معيارية) اكتسبت مكانة مرموقة ثم ارتبطت بالسياسة والثقافة والأدب. فالفرق بين اللهجة واللغة غالباً ما يبنى على أسس سياسية.

وهكذا فإن الاختلاف بين اللغات النرويجية والدانماركية والسويدية (وتعتبر جميعها لغات مستقلة) أقل بكثير عما نجده بين العديد مما يعتبر لهجات متفرعة عن اللغة الصينية.

ويبدو أن هذه النقطة جديرة بالتركيز إذ يميل كثير من الناس نحو الاعتقاد بأن اللغة الكلاسيكية التي تُدرّس في المدارس هي التي تشكل موضوع الوصف العلمي، أما من وجهة النظر اللغوية البحتة فإن جميع اللهجات (في لغة من اللغات) جديرة بالدراسة والبحث على قدم المساواة.

(4) النظرية اللسانية أكثر شمولاً ودقة :

لقد طُور النحو التقليدي وفق الأسس اللاتينية واليونانية وجرى تطبيقه فيما بعد وبتعديل طفيف على وصف عدد كبير من اللغات الأخرى. ولكن ثمة لغات كثيرة تختلف اختلافاً شاسعاً، في بعض عناصرها على الأقل، عن بنية اللاتينية واليونانية واللغات المألوفة الأخرى في أوربا وآسيا، ولهذا فإن من أهداف اللسانيات الحديثة إيجاد نظرية أكثر شمولاً من النظرية التقليدية بحيث تلائم وصف جميع اللغات الانسانية دون انحياز لتلك اللغات التي تشبه في تركيبها اليونانية أو اللاتينية.

ويجب أن ننوه في هذا المجال بأن اللسانيات لا تؤيد من يعتقد بوجود اختلاف جوهري بين اللغات المتحضرة واللغات البدائية غير أن مفردات كل لغة تعكس دون شك مرافق الحياة لدى المجتمع الذي ينطق بها. وهكذا لا يمكن الحكم على أية لغة بأنها فقيرة أو غنية بالمفردات بالمقارنة مع أية لغة أخرى بالمعنى المطلق. فلكل لغة ما يسد حاجتها من أجل التعبير عن الأشياء المتميزة في المجتمع الذي ينطق بها. فاللغات المسماة بالبدائية لا تقل انتظاماً عن لغات الشعوب المتقدمة كما أن بنيتها لا تزيد تعقيداً أو بساطة عن تلك اللغات. فكل المجتمعات الانسانية المعروفة تتكلم لغات ذات درجة واحدة من التعقيد نسبياً. أما الفروق النحوية التي نجدها بين اللغات المنتشرة في أنحاء العالم فلا يمكن ربطها بالتطور الحضاري للشعوب التي تتكلم بها.

وبعد ذلك يشرح المؤلف أهم الخصائص التي تسم اللغات البشرية.

وفي رأيه هناك خاصتان مهمتان تتميز بهما اللغات البشرية :

ـــ الميزة الأولى وتدعى بخاصية ثنائية البنية (duality structure) حيث أن لكل لغة مستويين من التركيب :

(1) المستوى الأساسي أو المستوى النحوي (Syntactic level) وفيه تتمثل اللغة بمجموعة مركبة من الوحدات (الكلمات) ذات الدلالة.

(2) والمستوى الثانوي أو المستوى الصوتي (phonological level) وفيه تتمثل الجمل بمجموعة من الوحدات الصوتية (فونيمات) ليست بذات دلالة في حدِّ ذاتها.

ويطرح المؤلف مثالاً ليدل على هذين

المستويين : فجملة (العلم مفيد) مؤلفة من كلمتين وإن أولى هاتين الوحدتين الأساسيتين (العلم) محددة بمجموعة من الوحدات الثانوية (ا ــ ل ــ ع ــ ل ــ م) والثانية (مفيد) محددة بمجموعة من الوحدات الثانوية (م ــ ف ــ ي ــ د).

فعلى الرغم مما سبق ذكره من أن الوحدات الأساسية تحمل قيمة دلالية على النقيض من الوحدات الثانوية، فإن الميزة الرئيسية للكلمات ليست في كونها ذات قيمة دلالية. إنه يمكن تحليل اللغة في المستوى النحوي بغض النظر عما إذا كانت الوحدات القائمة فيه ذات قيمة دلالية أم لا. فهناك بعض الكلمات على الأقل ليس لها معنى ككلمة (أن) في قولنا (أريد أن أكتب).

من هنا يتعين علينا أن نتوخى الحرص على أن لانصف ثنائية البنية كما أوردناها من وجهة نظر العلاقة بين الصوت والمعني. وإذا سلمنا بأن لكل لغة ميزة ثنائية البنية لجاز لنا أن نتوقع أن يكون وصف قواعد أية لغة من اللغات مؤلفاً من ثلاثة أجزاء متكاملة :

(1) الجزء الذي يحدد نظام تركيب الكلمات في الجملة ويسمى النحو (Syntax)

(2) الجزء الذي يصف معاني الكلمات والجمل ويسمى علم الدلالة (Semantics)

(3) الجزء الذي يعالج الجانب الصوتي والتركيبات الصوتية المسموح بها في اللغة ويسمى علم النظام الصوتي (phonology).

وهكذا فإن مصطلح «القواعد» (Grammar) يستخدم بمعناه الشامل الذي يضم الجوانب النحوية والدلالية والصوتية معاً. وهذا هو المعنى الذي يرمي إليه تشومسكي عندما يستخدم كلمة «قواعد» في أعماله الأخيرة.

ــ الميزة الثانية وتدعى بالابداع أو ميزة النهاية المفتوحة (Creativity) ويعني المؤلف بهذه الميزة أن على الناطقين بأية لغة كانت أن يكونوا قادرين على تأليف وفهم عدد لا نهاية له من الجمل. ويجب أن نلاحظ أيضاً أن ملكة الابداع اللغوي لدى كل من ينطق بلغة الأم هي في الحالات العادية لا إرادية ولا تحتاج إلى جهد فكري. وحسبما نعلم فإن ملكة الابداع في اللغة تقتصر على الانسان دون غيره من المخلوقات. أما وسائل التخاطب الموجودة لدى باقي المخلوقات فليست لها ميزة النهاية المفتوحة هذه التي رأيناها، إذ أن أكثر تلك الوسائل «مغلقة» بمعنى أنها تسمح بإصدار عدد محدود صغير نسبياً من الرسائل المميزة ذات المعنى الثابت.

4 ــ بلومفيلد وأتباعه

يتحدث المؤلف في هذا الفصل عن مدرسة بلومفيلد (Bloomfield) حيث تلقى تشومسكي فيها تدريبه الأول في ميدان اللسانيات. فقد كانت بدايات البنيوية البلومفيلدية مرتبطة بتأثر اللسانيات في الولايات المتحدة بالحاجة الملحة إلى وصف أكبر عدد ممكن من مئات اللغات الهندية الأمريكية غير المكتوبة. فليس من الغريب في ضوء هذه المعطيات أن يركز اللغويون الأمريكيون جل اهتمامهم لتطوير ما يُعرف (بالمناهج الحقلية). أما فرانز بواس (F.Boas) الذي قدّم (كتاب اللغات الهندية الأمريكية (A Hand Book of American Indian Languages) فقد خلص إلى النتيجة القائلة أن التغير الذي نلمسه في اللغات الانسانية إنما هو في الواقع أكبر بكثير مما يبدو ظاهرياً. كما وجد أيضاً أن التشويه قد اعترى وصف اللغات المحلية والنادرة في أمريكا الشمالية بسبب اخفاق اللغويين في إدراك إمكانية تباعد اللغات وتنوعها وبسبب محاولاتهم فرض ماهو

تقليدي من عناصر الوصف القواعدي اللاتيني ـــ اليوناني على لغات لا تلائمها.

ومن مجموعة الأمثلة التي قدمها بواس مثال من لغة الكواكيولت (Kawakiolt) حيث لا فرق بين صيغتي المفرد والجمع، فقولنا (هذا بيت) في تلك اللغة لا يختلف عن قولنا (هذه بيوت). كما أن لغة الأسكيمو لا تميز بين الماضي والمضارع، وبناءً على ذلك فإن قولنا (نام الطفل) مماثل لقولنا (ينام الطفل).

وقد استخدم بواس هذه الأمثلة لكي يبرهن على أن لكل لغة بنيتها النحوية المستقلة. من هنا يمكننا أن نسمي هذه الفكرة «بنيوية» (Structural). وهذا من جملة المعاني العديدة التي اكتسبها هذا المصطلح الحديث.

ومن المتفق عليه عالمياً أن أهم علماء اللسانيات بعد بواس هما إدوارد سابير (E. Sapir) وليونارد بلومفيلد (L. Bloomfield). أما سابير فيتخذ من اللغة موقفاً أكثر إنسانية، فهو يعلق أهمية كبرى على دور الثقافة ويرجح كفة العقل على كفة الارادة والعاطفة مؤكداً على ما يدعوه بالصفة العقلانية المسيطرة للغة، وعلى حقيقة أنها ذات صفة إنسانية بحته وليست غريزية.

ويعدّ كتاب **اللغة** (Language) أكثر شمولاً وسهولة من كتاب بلومفيلد.

وقد استمر كتاب سابير في اجتذاب اهتمام اللغويين حتى يومنا هذا ولكننا من ذلك لا نجد مدرسة (سابيرية) على غرار المدرسة (البلومفيلدية) اللغوية في أمريكا.

ويخلص المؤلف بنتيجة مؤداها أن تشومسكي يحمل الآن الكثير من آراء سابير ومواقفه من اللغة رغم أن أفكار تشومسكي قد نمت وترعرعت ضمن مصطلح اللسانيات المستقلة العلمية ذلك المصطلح الذي كان بلومفيلد أول من أرسى دعائمه. والواقع لقد بذل بلومفيلد ما لم يبذله أحد غيره في سبيل منح اللسانيات ميزتي الاستقلالية والعلمية. وقد كان مفهوم العلمية والاستقلالية بالنسبة إلى بلومفيلد يعني الرفض القاطع والمتعمد لكل المعطيات غير المتطورة أو غير القابلة للقياس فيزيائياً، ثم دراسة اللغة بنفسها ولنفسها غير متأثرة بالتيارات المعرفية الأخرى.

وقد تبنى ج. واطسن (J. Watson) مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس الموقف ذاته من أهداف العلوم ومنهجيتها. ويعتقد واطسن وأتباعه أن سلوك أي كائن حي من (الأميبا) إلى الانسان يجب أن يُفسر تبعاً لعوامل التأثير والاستجابة التي تمليها البيئة المحيطة به. وهكذا فإن الكلام ليس سوى أحد أشكال السلوك الانساني المنظور مباشرة أو الصريح، وليس التفكير سوى كلام غير مسموع. وبما أن الكلام غير المسموع يمكن أن يصبح مسموعاً إذا دعت الضرورة فإن التفكير هو من ناحية المبدأ شكل من أشكال السلوك غير المنظور.

لقد تبنى بلومفيلد المذهب السلوكي صراحة عندما شرع بإعداد كتابه **اللغة**، ويضرب بلومفيلد مثالاً ليدل على المذهب السلوكي. «بينما جاك وجيل يتمشيان في الطريق إذ بجيل ترى تفاحة على الشجرة وبما أنها جائعة فإنها تطلب من جاك أن يقطفها لها، فيتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة كي تأكلها».

إن إحساس جيل بالجوع ـــ أي تقلّص بعض عضلات معدتها وإفراز بعض العصارات الخاصة في المعدة ـــ ثم رؤيتها التفاحة ـــ أي أن الضوء المنعكس عن التفاحة وصل إلى عينها ـــ كل هذا يشكل عامل التأثير، أما الاستجابة الأكثر مباشرة لهذا التأثير فهي أن تتسلق جيل الشجرة كي تقطف التفاحة بنفسها ـــ ولكنها عوضاً عن ذلك تقوم باستجابة بديلة على هيئة سلسلة من الأصوات الصادرة عن الجهاز

الصوتي وهذا يؤدي دور التأثير البديل بالنسبة إلى جاك ويجعله يتصرف كما لو كان هو الذي يحس بالجوع وقد رأى التفاحة.

والواقع لم يتطرق بلومفيلد نفسه إلى ذكر المذهب السلوكي إلاّ عند بحثه في الجوانب الدلالية، فهو يعتقد أن تحليل المعنى هو نقطة الضعف في الدراسة اللغوية ويقول إنه سيبقى كذلك إلى أن تتقدم المعرفة الانسانية أشواطاً بعيدة تفوق ما هي عليه الآن.

وإذا كان موقف بلومفيلد مثبطاً للعزائم فيما يتعلق بعلم الدلالة فإنه لم يدَّع أبداً أنه من الممكن دراسة القواعد النحوية والصوتية للغة في معزل عن معاني كلماتها وجملها. إلاّ أن أتباع بلومفيلد ولا سيما زيلك هاريس غالوا أكثر منه في تجاهل الجوانب الدلالية.

والخلاصة التي يريد المؤلف أن ينتهي إليها هي أن تشومسكي نشأ وترعرع في المدرسة البنيوية وقد كان أحد تلامذة هاريس ومن مساعديه وزملائه فيما بعد كما أن ما نشره تشومسكي في البداية كان يماثل في جوهره أعمال هاريس.

ولكن ما أن حلَّ عام 1957 حتى نشر تشومسكي كتابه الأول **البنى النحوية**، وكان في تلك الأثناء قد تخلى عن الموقف الذي تبناه هاريس وغيره من أتباع بلومفيلد حول «أساليب الاكتشاف» إلاّ أنه استمر في اعتقاده بأن النظام الصوتي والنحوي في اللغة يمكن أن يوصف ــ بل يجب أن يوصف ــ على أسس تعتمد على الشكل فقط دون أية اعتبارات دلالية. فعلم الدلالة جزء من وصف وظيفة اللغة، ولهذا فهو ثانوي وتابع للنحو، ولا يدخل في نطاق اللسانيات البحتة. ولقد زاد تشومسكي من نقده لمذهب بلومفيلد في اللسانيات باضطراد كما تخلى عن كثير من الأفكار التي كان قد تبناها من قبل.

ومن هنا ينبغي أن نؤكد أن تشومسكي لم يَبْن اراءه الأولى وفق مدرسة بلومفيلد فحسب، بل إنه ما كان ليستطيع أن يحقق ما حققه من تقدم في اللسانيات مالم يقم علماء أفذاذ مثل بلومفيلد وهاريس وغيرهما بتمهيد الطريق أمامه.

5 ــ أهداف النظرية اللسانية

يتحدث المؤلف هنا عن الدوافع والفرضيات المنهجية التي تشكل خلفية أعمال تشومسكي، ويركز بالدرجة الأولى على كتاب **البنى النحوية** الذي نشره تشومسكي عام 1957 ذلك الكتاب الذي يعتبر فاتحة عصر بأكمله. ويختار المؤلف الفصل السادس من هذا الكتاب ليكون موضوع هذا الفصل.

وطبقاً لرأي المؤلف فإن معظم الآراء التي طرحها تشومسكي هنا كانت مماثلة لآراء بلومفيلد وآراء زيلك هاريس. لكن ثمة نقاطاً ميزت حتى بواكير أعمال تشومسكي عن أعمال هاريس وغيره من البلومفيلديين.

النقطة الأولى من هذه النقاط أن تشومسكي يؤكد ميزة «الابداعية» (Creativity) أو النهاية المفتوحة في اللغات الانسانية. الواقع إن هذه النقطة تعتبر من المسلمات، وقد أهملها البلومفيلديون، ويرجع السبب في هذا إلى أن البلومفيلديين، شأنهم شأن العديد من المدارس اللغوية في القرن العشرين، كانوا منتبهين إلى الحاجة للتمييز بوضوح بين القواعد الوصفية (descriptive) وبين القواعد الوضعية أو المعيارية (Perscriptive) بين وصف القواعد التي يطبقها المتكلم فعلاً وبين وصف تلك القواعد التي يجب عليه ــ حسب رأي النحاة ــ أن يتبعها كي يكون كلامه صحيحاً نحوياً. وهناك الكثير من القواعد الوضعية التي أرسى النحويون جذورها دون أن يكون لها أساس عند المتحدثين باللغة.

وهكذا فإن تشومسكي يؤكد من وجهة نظر الميزة الابداعية أن الغالبية العظمى من الجمل في أي نص مدون هي جمل جديدة، بمعنى أنها ترد مرة واحدة ومرة واحدة فقط، وأن هذا يبقى صحيحاً مهما طال تسجيلنا لما ينطق به المتكلم. وتتألف أية لغة طبيعية من عدد لاحصر له من الجمل التي لم ولن يستخدم سوى جزء يسير منها. وحسب تعبير تشومسكي فإن القواعد تولّد (generate) جميع الجمل في اللغة ولا تميز بين ماثبت منها وما لم يتم اثباته. ويؤكد تشومسكي في أعماله التي تلت **البنى النحوية** أن الجمل التي ينطق بها المتكلم قد لا تكون سليمة نحوياً لأسباب عديدة لا تدخل في نطاق اللسانيات بل تتعلق بعوامل أخرى مثل ضعف الذاكرة أو عدم الانتباه، وقد تعود أيضاً إلى خلل في العمليات النفسية التي تتحكم بالكلام وتسيطر عليه. وإذا سلمنا بصحة هذا النقاش فإن اللغوي لا يستطيع أن يأخذ الجمل التي تصدر عن المتكلم كما هي ويعاملها على أنها جزء من اللغة التي تولدها القواعد النحوية، بل عليه أن يرقى بهذه الجمل إلى مرتبة المثالية وأن يجعلها أقرب إلى الكمال مستبعداً كل جملة يعتبرها المتكلم غير سليمة نحوياً وذلك بفضل ما أوتي من مقدرة لغوية.

من هنا نتبيّن أن تشومسكي محق في مطالبته بمنح اللسانيات ــ باعتبارها علماً قائماً بذاته ــ الحق باستبعاد بعض المعلومات الخام كما هي الحال في العلوم الأخرى المألوفة.

أما النقطة الثانية التي تتميز بها أعمال تشومسكي الجديدة وموقفه من أهداف اللسانيات الحديثة فتتعلق بالدور الذي يوكله إلى ما يسميه **بالحدس** (intuition) أو المقدرة على الحكم اللغوي عند المتكلم، كما أنه يعتبر قدرة ما طوّره من أشكال النحو على تفسير الحدس اللغوي عند المتكلم نقطة ايجابية تتناول التمييز بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى أو الجمل ذات اللبس اللغوي أي الجمل التي تحمّل أكثر من تفسير واحد.

أما النقطة الثالثة الهامة التي عرضها تشومسكي في **البنى النحوية** هي أن المنحى الأسلوبي العملي الذي استعمله البلومفيلديون غير ضروري مطلقاً بل إنه في الواقع لايخلو من الأضرار. ومن هنا ينبغي علينا ألاّ ننظر إلى النظرية اللغوية على أنها كتاب يجمع عدداً من أساليب الاكتشاف المفيدة.

المهم أن نصل إلى نتيجة ونبررها دون الرجوع إلى الأساليب التي استخدمت في التوصل إليها. وكما يقال إن العبرة في النتائج.

ويناقش تشومسكي احتمال تشكيل مجموعة من المعايير يمكن على ضوئها البت في مدى سلامة صيغة نحوية معينة وتفضيلها على سواها من الصيغ بهدف وصف المعطيات اللغوية. ويعتقد تشومسكي أن هذا الهدف من أهداف النظرية اللغوية في حد ذاته (وهو أسلوب انتقاء نحو ما دون غيره من صنوف النحو المتوفرة من أجل لغة معينة) يعتبر طموحاً مفرطاً. وأكثر ما نستطيع أن ننتظر من النظرية اللغوية هو أن تعطينا معياراً للتقييم يساعدنا في اختيار أحد أشكال النحو المتوفرة.

وفي رأي تشومسكي ليس ثمة فيزيائي واحد يقول إن نظرية أينشتاين النسبية مثلاً هي أفضل تفسير ممكن للمعطيات التي تعالجها، ولكنه يمكن أن يقول إنها أفضل من النظرية البديلة القائمة على فيزياء نيوتن التي حلت النسبية محلها.

ويقال أحياناً إن الأهداف التي رسمها تشومسكي للنظرية اللغوية ضمن إطار مقارنة صور النحو البديلة تخفي وراءها حقيقة هامة وهي أن في العالم كثير من اللغات التي ليس لها نحو مكتوب ولو بصورة جزئية، وإن ما من لغة من لغات العالم لها قواعد نحوية قريبة من الكمال.

وثمة نقطة رابعة هامة وهي أن طروحات تشومسكي تفوق في طموحها طروحات من سبقوه، ففي مقالة له بعنوان (نظم التحليل اللغوي) يحاول تشومسكي أن يرسم طريق التحليل اللغوي الذي تحدث عنه هاريس في كتابه **مناهج في اللسانيات البنيوية** وذلك وفق أسلوب رياضي دقيق.

إن ما ابتكره تشومسكي في اللسانيات يتمثل في الدقة الرياضية المتناهية التي توخاها في صياغة خصائص النظم البديلة في الوصف النحوي.

ويعرّف تشومسكي النحو في بداية كتابه **البنى النحوية** بأنه جهاز من نوع خاص مصمم لانتاج الجمل في اللغة. لذا يجب، أن نؤكد أن تشومسكي استخدم هذه الكلمات (مصمم ــ انتاج ــ...) لأن الفرع الرياضي الذي اعتمد عليه في وضع أسس النحو الذي قدمه يتضمن مثل هذه الكلمات وفق أسلوب مجرد تماماً دون تحديد أية خصائص فيزيائية لأي أنموذج فعلي يستطيع أن يجسّد المعنى المجرد لكلمة (جهاز) ومن سوء الحظ أن تشومسكي استخدم كلمة (ينتج) (Produce) مما يحمل على الاعتقاد دون شك بأن بنية اللغة النحوية توصف من وجهة نظر المتكلم وليس المستمع، إلاّ أن تشومسكي يحذر دائماً من مغبّة فهم (انتاج) الجمل في إطار النحو على أنه نفسه (انتاج) الجمل من قبل المتكلم، إذ يتوجب على النحو أن يكون محايداً بين الارسال والاستقبال. ولايستخدم تشومسكي عادة كلمة انتاج النحو للجمل بل إنه يلجأ غالباً لاستخدام كلمة توليد (generate) بدلاً عنها. وكلمة (المولد) عند تشومسكي تتضمن معنى (الواضح) مما يشير إلى أن القواعد النحوية والشروط التي يجب أن تعمل من خلالها ينبغي أن تكون دقيقة التحديد، واضحة المعالم، ويشبّه تشومسكي القواعد النحوية بالقواعد والقوانين الحسابية إذ يتحتم عليها أن تكون دقيقة التحديد شأنها شأن القواعد الحسابية.

وينبغي على النحو ــ في اعتقاد تشومسكي ــ أن يكون قادراً على توليد جميع الجمل في اللغة وجميعها فقط. ويبدو أن تحقيق هذا الهدف الذي حدده تشومسكي للنحو ــ أي توليد جميع الجمل ــ وجميعها فقط ــ في أية لغة أمر مبالغ في الطموح إلى حد الاستحالة، ويشير تشومسكي في **البنى النحوية** إلى أنه من الأمور البدهية في فلسفة العلوم أنه إذا صيغت نظرية ما بحيث تشمل الحالات الواضحة، فإن النظرية نفسها يمكن أن تطبق في معالجة الحالات غير الواضحة. لذلك فإنه ينادي بتطبيق نفس المبدأ على اللسانيات باعتبار النحو عند تشومسكي هو نظرية علمية.

6 ــ نماذج من النحو التوليدي

يعرض المؤلف في هذا الفصل والفصلين اللذين يليانه الجوانب التكنيكية من عمل تشومسكي وذلك من خلال عرضه لثلاثة نماذج نحوية في النظرية التوليدية الأول ويدعى «نحو المواقع المحدودة» والثاني يدعى «نحو بنية العبارات» والثالث يدعى «النحو التحويلي».

وقد توخى المؤلف أثناء شرحه لهذه النماذج الثلاثة من النحو البعد عن الشكليات كما أنه لم يفترض في القارىء أي تدريب مسبق في ميدان الرياضيات ولا حتى أية مهارة خاصة، بل اكتفى بتقديم عدد كافٍ من المصطلحات والمفاهيم كي يأخذ القارىء فكرة عن ماهية النحو التوليدي تساعده في فهم مدلوله.

1.6 ــ نحو المواقع المحدودة

يعرض المؤلف في هذا القسم نظاماً شكلياً بسيطاً إلى أبعد الحدود، وهو أول نماذج ثلاثة وُضعت لوصف اللغة كما عرضها تشومسكي في البنى

النحوية وفي أماكن أخرى. وهو النظام الذي مالبث أن ثبت قصوره بالنسبة لتحليل اللغة الانجليزية واللغات الطبيعية الأخرى.

وقبل عرض النموذج، يقدم المؤلف عدداً من المصطلحات والمفاهيم التي تفيد القارىء. وأول هذه المفاهيم هو «اللغة» التي تعني حسب رأي تشومسكي مجموعة كامل الجمل التي يولدها ذلك النحو، ومجموعة الجمل هي من حيث المبدأ إما محدودة العدد أو لا متناهية في عددها. وإن عدد الخطوات البينة التي لها علاقة بتوليد الجمل ثابت كذلك. فإن لم تكن الخطوات ثابتة العدد فإن هذا يعني استحالة توليد الجمل بواسطة مجموعة محدودة من القواعد.

ويعرف المؤلف «العناصر النهائية» على أن لها وجوداً حقيقياً في الجملة (الكلمات على المستوى النحوي ـــ الفونيمات على المستوى الصوتي). أما «العناصر المساعدة» فهي كل المصطلحات والرموز الأخرى المستعملة في صياغة القواعد النحوية.

ويطلق تشومسكي اسم «نحو المواقع المحدودة» على أبسط أنواع النحو التي تحدث عنها والتي تستطيع توليد عدد لا حصر له من الجمل من خلال عدد ثابت من القواعد المتكررة بعد تطبيقها على المفردات المحدودة. ويرتكز هذا النحو على أنه بعد انتقاء الكلمة الصالحة لأن تكون العنصر الأول في جهة اليسار (أو اليمين) من الجملة نجد أن كل انتقاء لاحق يتم بناء على ما سبقه من العناصر.

ونستطيع أن نفسر «نحو المواقع المحدودة» على أنه آلة أو جهاز يتحرك ضمن عدد ثابت من المواقع الداخلية (internal state) وهو ينتقل من نقطة البداية (initial state) إلى نقطة النهاية (final state) عند توليد الجملة. وبمجرد أن ينتج النحو كلمة من مجموعة الكلمات التي تلائم ذلك الموقع ينتقل إلى اختيار كلمة أخرى تناسب الموقع الذي يليه متبعاً الجهة المحددة. وبهذا تكون السلاسل المتولدة بهذه الطريقة سليمة نحوياً. ويولد النحو الآنف الذكر عدداً محدوداً من الجمل، ولكن يمكننا توسيعه بأن نجعل الجهاز قابلاً للدوران والعودة إلى أي موقع سابق عند أماكن محددة نختارها.

لقد أثبت تشومسكي أن رفض مثل هذا النحو كأنموذج ملائم لوصف اللغات الطبيعية قائم على اعتبارات لها صلة بالتعقيد العملي وبمعرفتنا الكامنة بالطريقة التي يجب أن تتم بها عملية وصف الظواهر النحوية المختلفة.

وقد بيّن تشومسكي عدم جدوى النحو المبني على المواقع المحدودة بإشارته إلى طرق معينة لبناء الجملة يقف عندها ذلك النحو عاجزاً عن وصفها مهما قبلنا بركاكة أسلوب التحليل وبُعده عن النطق السليم.

ولنا أن نطّلع على ما قدمه تشومسكي من براهين لدحض «نحو المواقع المحدودة» في كتابه **البنى النحوية**.

ولكن يرجع السبب في اهتمام تشومسكي ب «نحو المواقع المحدودة» إلى أن اللغة كانت تعتبر من وجهة النظر تلك مرتبطة بتصميم قنوات اتصالات نشيطة إبان الحرب العالمية الثانية، وهي نظرية على مستوى رفيع من الرياضيات التي قدمت نظرية المعلومات (Information Theory) إلى العديد من المجالات بعد الحرب بما في ذلك علم النفس واللسانيات.

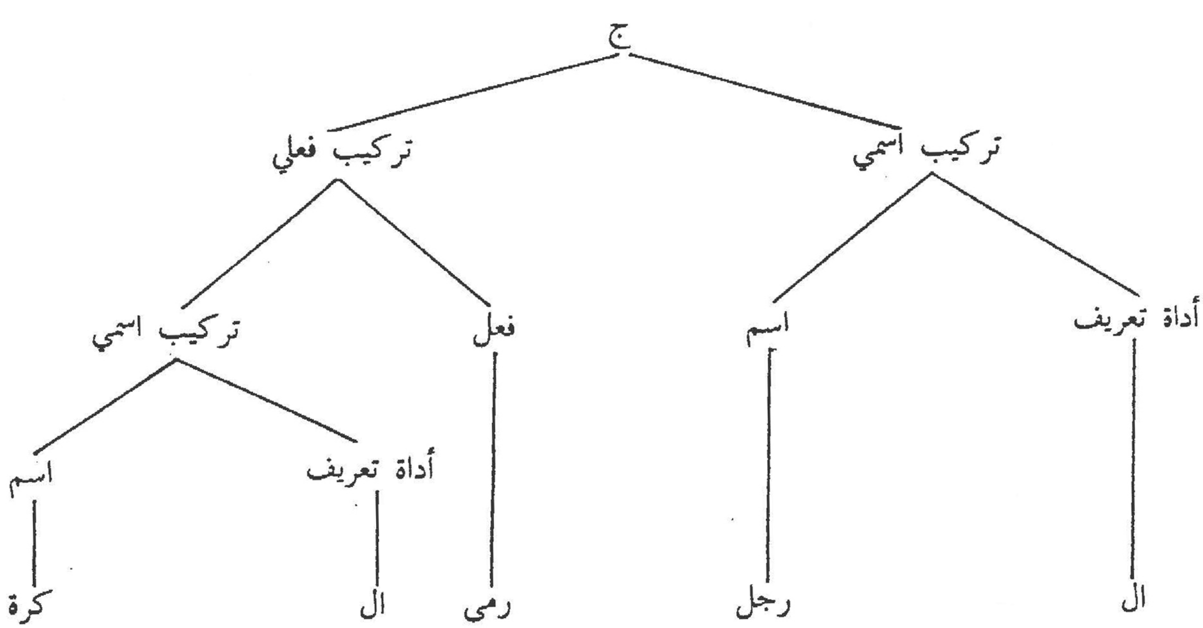
2.6 ـــ نحو بنية العبارات

أما الأنموذج الثاني الذي قدّمه تشومسكي لوصف اللغة هو «نحو بنية العبارات» (phrase structure grammar) فهو أفضل في هذا الميدان من «نحو المواقع المحدودة». إذ إنه قادر على توليد جميع

ما يولده «نحو المواقع المحدودة» لكن العكس ليس صحيحاً. فهناك مجموعات من الجمل يستطيع «نحو البنية» أن يولدها بينما يعجز «نحو المواقع» عن توليدها. إن العلاقة بين نحو البنية ونحو المواقع تكمن في أن الأول يتمتع بقوة كامنة أكبر من الثاني.

ومن ناحية أخرى تشبه فكرة بنى المكونات كما يسميها تشومسكي فكرة التحليل إلى أقواس في الرياضيات والمنطق الرمزي. إن إسهام تشومسكي في هذا المجال يتمثل في صياغته لنحو بنى المكونات من مجموعة من القواعد المولدة (Generative Rules).

ومن ثم إيضاحه «نحو المواقع المحدودة» وتلافي أكثر النواقص الموجودة فيه. وربما يتساءل بعض القراء كيف يعطي هذا النظام لكل جملة بنيتها المناسبة. والجواب يتجسد من خلال أسلوب متعارف عليه يرتبط بعملية التعويض بالقيمة المناسبة. فكلما طبقنا قاعدة ما نضع أقواساً حول سلسلة العناصر التي نتجت عن ذلك. وهناك وسيلة مشابهة ومكافئة للتحليل بالأقواس المعنونة التي تُعطى لسلاسل العناصر الناتجة عن نحو «بنية العبارات» ألا وهي شكل الشجرة الموضح كما يلي :



إلاّ أن السؤال هو هل يلائم نحو من هذا النوع العام من حيث المبدأ وصف جميع الجمل التي نعتبرها سليمة البنية ؟ فتشومسكي لم يكن قادراً على إثبات وجود جمل انكليزية يعجز «نحو بنية العبارات» عن توليدها (على الرغم من أنه ثبت أن هذا النوع من النحو يعجز عن توليد بعض التراكيب في لغات أخرى غير الانكليزية).

والنقطة الهامة حسب رأي المؤلف أن تشومسكي يفسح المجال أمام إمكانية تفضيل نوع معين من النحو على نوع آخر رغم أنهما متساويان، بمعنى أن كليهما يستطيع توليد نفس المجموعة من الجمل.

وفي البنى النحوية يقول تشومسكي أن من مجموعة الأسباب التي تدعونا لتفضيل «النحو

التحويلي» على «نحو بنية العبارات» هي أن الأول أكثر بساطة من الثاني إلى حد ما. وقد بدأ تشومسكي يوجه القسط الأكبر من اهتمامه إلى إثبات أن النحو التحويلي يعكس الحدس اللغوي الفطري عند المتكلم بصورة أفضل وأنه أكثر وضوحاً من «نحو بنية العبارات» من الوجهة الدلالية. ولعلنا نتبين مدى قصور «نحو العبارات» في هذه الناحية عندما نبحث في المثالين التاليين :

(1) أحمد سافر إلى دمشق

(2) سافر أحمد إلى دمشق

صحيح أننا نستطيع أن نضع عددا من قواعد بنية العبارات تمكننا من توليد هاتين الجملتين وغيرهما أيضاً، لكن المشكلة هي أن الناطق باللغة يحسّ أن لكلتيهما نفس المعنى تقريباً، غير أن «نحو بنية العبارات» يعجز عن الربط بين المثالين السابقين (1) و(2) وعن أخذ الجانب الدلالي في الحسبان. أما النحو التحويلي فإنه يستطيع كما سوف نرى أن يصف العلاقة بين الجملتين السابقتين وأن يفسرهما.

وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة في أعمال تشومسكي وهي أن الخصائص الشكلية والقدرة التوليدية لأنواع النحو المختلفة موجودة كفرع من الرياضيات أو المنطق وبشكل مستقل عن صلتها بوصف اللغات الطبيعية. وتتمثل الخطوة الثورة التي اتخذها تشومسكي في حقل اللسانيات باعتمادها على هذا النوع من الرياضيات (مثل نظرية التوابع المتتالية) وتطبيقه على اللغات الطبيعية.

لكن تشومسكي لم يقف عند حد الاقتباس لصيغة جاهزة ونظريات مثبتة كي يستفيد منها في اللسانيات بل ساهم بأبحاث جديدة في ميدان النظم الشكلية (Formal System) من زاوية رياضية بحتة.

وقد قطع البحث الرياضي في أنواع «نحو بنية العبارات» أشواطاً بعيدة خاصة ما يعرف منه بنحو البنى المستقل عن السياق وأنواع أخرى من النحو. إن البحوث الرياضية التي أجريت «في النحو التحويلي» لم تحقق حتى الآن سوى القليل من التقدم نسبياً. إلاّ أن «النحو التحويلي» أشد تعقيداً من «نحو بنية العبارات» رغم احتمال تمخضه عن قدر أكبر من السهولة في وصف جملة معينة على حد تعبير تشومسكي.

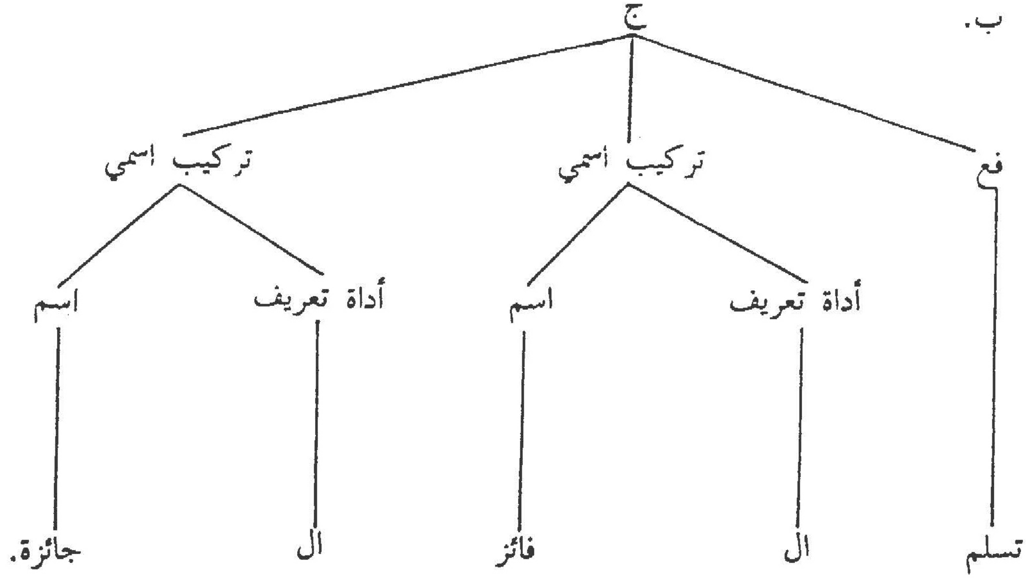
3.6 ــ النحو التحويلي

بيّن المؤلف في هذا الفصل النموذج النحوي الثالث ويدعى ب «النحو التحويلي» ويقارنه ب «نحو بنية العبارات». فبينما نرى أن «نحو بنية العبارات» يتألف حصراً من مجموعة من قواعد بنى العبارات فإننا نجد أن «النحو التحويلي» يضم بالاضافة إلى القواعد التحويلية مجموعة من قواعد البنى التي يعتمد على تطبيقها المسبق، وبإمكان القواعد التحويلية أن تحول سلسلة معينة من العناصر إلى سلسلة أخرى. أضف إلى ذلك أنها من الناحية الشكلية أكثر تنوعاً وتعقيداً من قواعد بنية العبارات.

إن القاعدة البنيوية تولد ما ندعوه بأساس الجملة قبل تطبيق قاعدة تحويلية. وكل تقديم وتأخير أو حذف يُعدّ اشتقاقاً من الأساس أو من البيئة التحتية (deep structure). فقاعدة البنية المذكورة تستطيع أن تولد الجملة التالية :

(1) ا. تسلم الفائز الجائزة.

ب.



لننظر الآن إلى هاتين الجملتين المشتقتين :

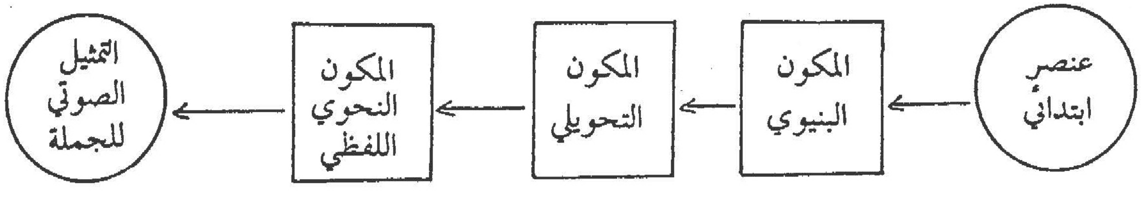
(2) الفائز تسلم الجائزة

(3) الجائزة تسلمها الفائز

إن الجمل الثلاث تعتبر مترادفة في معناها بوجه عام. من هنا كان لزاماً على النحو أن يشمل وصفاً لمثل هذه الحالات وأن يصوغ لها قواعد اشتقاق ملائمة كما يفعل «النحو التحويلي» حيث يمكننا اشتقاق (2) و(3) بواسطة قاعدة تحويلية تسمى بقاعدة التبادل (Permutation) ويذكر المؤلف قواعد تحويلية عديدة منها قاعدة الاسقاط التحويلية التي تتيح لنا إعادة توليد أي تركيب اسمي في بداية الجملة ومن ثم تحول التركيب الاسمي الأصلي إلى شكل ملائم من أشكال الضمير كما هو الأمر في الجملة (2)



ويقدم المؤلف رسماً توضيحياً يبيّن فيه كيف تمت عملية بناء النحو التحويلي كما وردت في البنى النحوية :



فالعنصر الابتدائي يشكل الدخل (input) إلى النحو وهو يولد مجموعة من الاشارات العميقة (deep sign) بواسطة قواعد بنية العبارات كما نرى في المستطيل الأول. أما المستطيل الثاني فنرى فيه مجموعة من القواعد التحويلية (T.Rules) بعضها إجباري وبعضها اختياري وهي تعمل على سلاسل عميقة سواء أكانت مفردة أم زوجية. وبعد أن تعدل هذه السلاسل وما يتعلق بها من واسمات العبارات تعديلاً تدريجياً فإنها تعطي النتائج المطلوبة وهي مجموعة الجمل الموجودة في اللغة دون غيرها. وتتمثل هذه بسلاسل من الكلمات والمورفيمات ولكل سلسلة منها مكونات لبنيتها المشتقة.

أما المستطيل الثالث فيحوّل الجملة من بنية نحوية (ممثلة بالكلمات والمورفيمات) إلى شكل صوتي ممثل بسلسلة من الفونيمات. وتبعاً لأنموذج النحو التوليدي التحويلي هذا فإنه يمكن تعليل أشكال شتى من الجملة البسيطة بواسطة قاعدة تحويلية اختيارية. فجميع الأمثلة الآتية ترتبط ببعضها لأنها مشتقة جميعاً من بنية تحتية (عميقة).

(1) فتح الرجل الباب.

(2) لم يفتح الرجل الباب.

(3) هل فتح الرجل الباب.

(4) ألم يفتح الرجل الباب.

(5) الرجل فتح الباب.

(6) الباب فتحه الرجل.

إن الجملة (1) لم تطبق على بنيتها العميقة أية قاعدة تحويلية اختيارية بينما نرى أن (2) هي نتيجة لقاعدة النفي وأن (3) هي نتيجة لقاعدة الاستفهام. أما (4) فهي نتيجة للقاعدتين معاً أي النفي والاستفهام. كما نرى في (5) أن قاعدة الاسقاط أو التبادل هي المسؤولة عن تقديم الفاعل المنطقي على الفعل، في حين أن نفس القاعدة ولدت (6) بتقديمها المفعول به إلى بداية الجملة ووضعها (الهاء) المتصلة بالفعل (فتح) مكان المفعول به الأصلي.

والجملة (1) دون سواها يسميها تشومسكي الجملة النواة. أما بقية الجمل فهي مشتقة من سلسلة عميقة مشتركة فيها الجملة النواة والجمل الاشتقاقية.

إن من مميزات هذا النظام وهو الأنموذج الثالث والأقوى من أساليب وصف اللغة أنه يستطيع أن يعلل أنواعاً معينة من اللبس (الغموض) البنيوي بصورة أفضل من نحو بنية العبارات، كما هو الأمر في المثال التالي :

(1) أُمِرَ رجال الشرطة بإيقاف الاحتفال بعد منتصف الليل.

فلو أمعنا النظر في هذا المثال لوجدنا أن له في الحقيقة أكثر من تفسير واحد ورغم أن القارىء يدرك لأول وهلة واحداً فقط من معانيه إلاّ أنه بمزيد من التركيز يتبيّن التفسيرات الأخرى الممكنة وهي :

(2) أُمِرَ رجال الشرطة بإيقاف (احتفال الناس) بعد منتصف الليل.

(3)أُمِرَ رجال الشرطة (بالتوقف) عن الاحتفال بعد منتصف الليل.

(4)أُمِرَ رجال الشرطة بعد منتصف الليل بأن يوقفوا الاحتفال.

(5) أُمِرَ رجال الشرطة بإيقاف الاحتفال بعد أن ينتصف الليل.

وكذلك الشأن في المثال التالي الذي له أكثر من تفسير دلالي واحد :

— سمعوه من الأعلى

فهذا المثال له تفسيران اثنان هما :

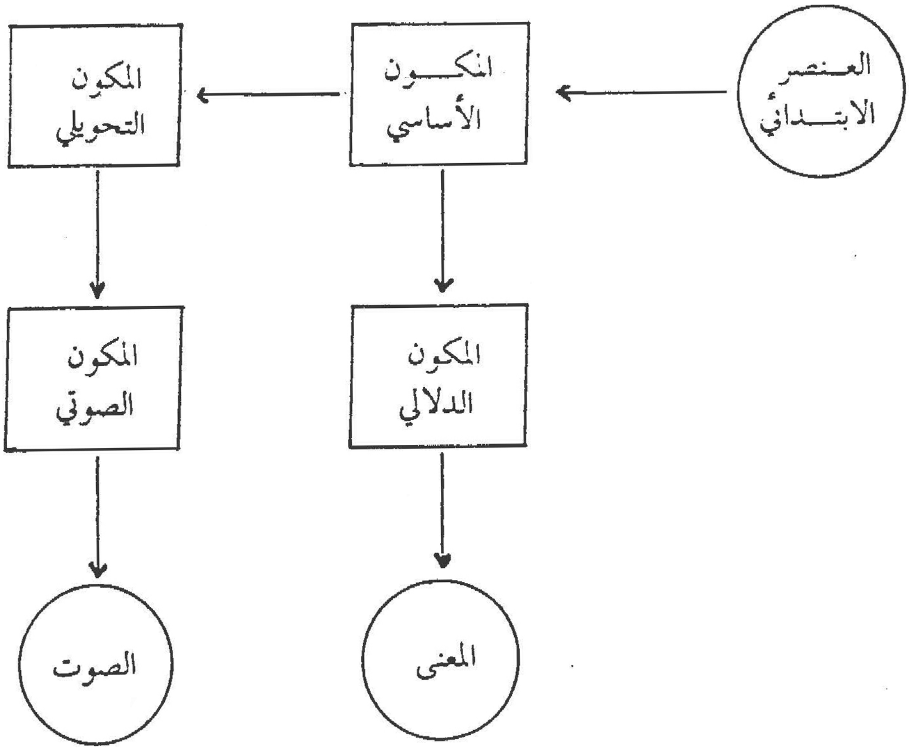
ا. كان هو في الأعلى عندما سمعوه.

ب. كانوا هم في الأعلى عندما سمعوه.

وبهذا يستطيع النحو التحويلي أن يعلل حالات اللبس المماثلة بطريقة أفضل من أي نحو آخر.

وفي عام 1965 وضع تشومسكي في كتابه **عناصر النحو** نظرية أعم وأشمل في النحو التحويلي تختلف عن نظريته السابقة في عدد من النواحي الهامة. ويذكر المؤلف هنا الفوارق العريضة بين أنموذج النحو في **البنى النحوية** وما يسميه ب «نحو العناصر».

والشكل التالي يوضح النموذج المعدّل للنحو التحويلي :



وكل ما نرغب في إضافته إلى هذا العرض لخصائص النسخة الحديثة من النحو التحويلي هو أن المفاهيم البنحوية المختلفة ذات المضامين الدلالية تحدد الآن وبوضوح في ضوء العلاقات القائمة في البنية العميقة. ولنا أن نلاحظ على وجه الخصوص الفرق بين الفاعل المنطقي (البنية العميقة) والفاعل النحوي (البنية السطحية) لجملة ما كما هو الأمر في المثالين التاليين :

(1) وعدت صديقي بالعودة (أعود أنا...)

(2) اقنعت صديقي بالعودة (يعود صديقي...)

يبدو لنا أن لهذين المثالين بنية سطحية واحدة إلاّ أن لهما بنيتين عميقتين مختلفتين. ففي المثال الأول نجد أن الفاعل الحقيقي الذي يقوم بالعودة هو (أنا). بينما هو (صديقي) في المثال الثاني . وبناءً على ذلك فإن النحو التحويلي يعطي بنيتين عميقتين مختلفتين لنفس البنية السطحية للتفريق بين الفاعلين المختلفين.

وكما يقول تشومسكي : إن العلاقات في البنية

العميقة هي جوهرية من أجل الحصول على التفسير الصحيح للجملة.

7 ـــ المضامين النفسية والفلسفية للنحو التحويلي.

يكرس المؤلف هنا فصلين اثنين لمناقشة آراء تشومسكي الجديدة حول المضامين النفسية والفلسفية للنحو التحويلي، ويقسم المادة إلى جزأين هما : علم النفس والفلسفة. وينوه أيضاً إلى أن هذا التمييز الذي يقيمه هو تمييز كيفي، فاللسانيات والفلسفة وعلم النفس عند تشومسكي ليست موضوعات مستقلة عن بعضها بعضاً.

1.7 ـــ المضامين النفسية.

يلخص المؤلف آراء تشومسكي في هذا المجال بما يلي :

إن ميزة الابداع والتجديد هي أهم خصائص اللغة. فالطفل عندما يبلغ الخامسة أو السادسة يستطيع أن يؤلف وأن يفهم عدداً غير محدود من الجمل التي لم يتعرض لها من قبل. ونظرية التعلم السلوكية التي أتى بها علم النفس السلوكي ف. ب. سكينر في كتابه **السلوك الكلامي** مهما أصابت من النجاح في تفسير الطريقة التي تبين بموجبها بعض شبكات العادات والتداعي الفكري من خلال النماذج السلوكية عند الأنسان والحيوان، إنما هي عاجزة عن تفسير ميزة الابداع، وهي عنصر من عناصر السلوك الانساني التي تكون على أشدها في ظاهرة اللغة بالاضافة إلى بعض النواحي الأخرى.

فالنحو في أية لغة كما يراه تشومسكي إنما هو وصف مثالي «للمقدرة اللغوية» التي يمتلكها من يتحدث بها. كما ينبغي على أي أنموذج نفسي يعالج الطريقة التي توضع بها تلك المقدرة موضع «الممارسة الفعلية» أن يأخذ في الحسبان عدداً من الحقائق الأخرى التي يتعمد اللغويون تجاهلها عند تعريفهم لمفهوم النحوية (grammaticality).

وتشمل الحقائق النفسية التي تتحدث عنها قصور الذاكرة وضعف الانتباه كما تشمل الزمن المطلوب لوصول الاشارات العصبية وانتقالها من الدماغ إلى العضلات المسؤولة عن الكلام وما يصحب هذا كله من تداخل بين العمليات الفيزيولوجية والنفسية. فكثير من الجمل التي يعتبرها النحاة سليمة لغوياً ليس لها وجود في الحالات الطبيعية. وهذا هو أحد الجوانب التي نلمس فيها ولأسباب نفسية تبايناً بين الكلام الفعلي والجمل التي يطلق عليها اللغويون صفة النحوية.

وثمة فرق آخر طالما أكده تشومسكي في كتاباته وهو أن الكلام الفعلي فيه كثير من الأخطاء والتشويه، منها مثلاً (سوء النطق أو التردد أو تغيير التركيب قبل انتهاء الجملة...) وهذه الأخطاء مردها إلى خلل في أداء الجهاز النفساني أو إلى قصور ذاتي فيه. وتشكل هذه الانحرافات عن النظم النحوية جزءاً قيماً من المعلومات بالنسبة لعلماء النفس، فإذا ما تم تحليلها بصورة مناسبة استدلوا منها بنية اللغة وكيفية عمل الآليات الكامنة وراء استعمالها.

ومع اختلاف وجهات النظر بين اللسانيات وعلم النفس فيما يتعلق بالأبحاث اللغوية، يصر تشومسكي على وجود روابط هامة بينهما. إن أهم ما في دراسة اللغة دراسة علمية هو ما تقدمه بالنسبة لادراكنا للعمليات الذهنية. وفي اعتقاد تشومسكي فإنه من المحتمل ـــ أن يكون نوعان من النحو ملائمين من الناحية الشكلية الظاهرية وضعيفي التعادل، إذا كانا قادرين على توليد نفس المجموعة من الجمل. لكن أحدهما يصبح أكثر ملاءمة من الآخر من الناحية الوصفية إذا كان يتفق مع الحدس اللغوي الفطري للمتكلم وذلك فيما يخص قضايا اللبس

البنيوي والترادف أو الاختلاف في معنى بعض أنواع الجمل. إذ إن الحدس اللغوي الفطري (أي تمثل المتكلم لقواعد اللغة) بالنسبة لتشومسكي هو الموضوع الحقيقي للوصف وليس الجمل بحدّ ذاتها.

وقد أكد تشومسكي من قبل على مفهوم البساطة (Simplicity) باعتبارها مقياساً لتقييم أنواع النحو ضعيفة التعادل.

ويذكر المؤلف البعد اللساني والنفسي للذاكرة التي لها قدرة محدودة على الاستيعاب . فهي تعمل وفق مبدأ الحشو أي أن آخر ما يدخل يكون أول ما يؤخذ، ولذلك فإننا نتذكر بسهولة وسرعة آخر ما اختزن في ذاكرتنا. ومن المنطقي أن نفترض أن الذاكرة «بعيدة المدى ـــ أو الدائمة» تحتوي على قدر أكبر من المعلومات بما فيها القواعد النحوية التي تستخدم عند تحليل «الكلام الفعلي» أي النطق لكنّ ما يعنينا هنا هو الذاكرة «قصيرة المدى» كما يسميها علماء النفس وهي التي نستخدمها عندما نحفظ في ذاكرتنا قائمة بأشياء منفصلة عن بعضها (كمقاطع وأرقام لا معنى لها). وهناك قيود صارمة على استيعاب الذاكرة قصيرة المدى لأن عدد العناصر التي نستطيع اختزانها في الذاكرة هو من رتبة سبعة (سبعة زائد أو ناقص اثنين) كما يقول جورج ميلر عالم النفس الأمريكي.

إن كل ما سبق ذكره عبارة عن معلومات أولية لها علاقة بفرضية العمق (depth Theory) التي وضعها فيكتور اينغف. (V.Yngve).

لنتأمل المعادلات التالية :

(1) ب ← (ب) + د

(2) ب ← هـ + (ب).

(3) ب ← و + (ب) + ي

من الملاحظ أن القاعدة (1) هي متوالية يمينية، أما القاعدة (2) فهي متوالية يسارية، أم القاعدة (3) فهي ذاتية التضمين.

وحسب فرضية اينغف فإن التراكيب ذات المتواليات اليسارية تزيد من عمق الجملة أو من تعقيدها النفسي لأن التوالي نحو اليسار على عكس التوالي نحو اليمين يزيد من الفراغ الذي تحتاجه الذاكرة قصيرة المدى خلال تحليل الجملة. فإذا زاد عمق الجملة عن الحد الحرج عندئذ تصبح استمراريتها متعذرة على الفهم.

هذا ومن شبه المؤكد أن فرضية العمق خاطئة لأنها قائمة على افتراض أن الانسان يحلل الجملة بنفس الطريقة التي تولدت بها في الكومبيوتر الذي استعمله.

وكما ذكر تشومسكي في مناقشته لفرضية اينغف فإن التراكيب ذاتية التضمين المبنية على الشكل (3) هي التي تسبب أكبر قدر من الصعوبة سواء في النطق أو في السماع. أما تفسير هذا في رأي تشومسكي فلا يرجع إلى وجود حدود صارمة في الذاكرة قصيرة الأجل فحسب لأن الجمل التي تشتمل على التضمين يصعب تحليلها أكثر من التراكيب الأخرى التي نشتقها بوضع العنصر المضمّن في المنتصف بدلاً من اليمين أو اليسار بالنسبة لمجموعة ما.

ويتضح من هذه المناقشة لفرضية العمق ولفرضية تشومسكي حول التضمين الذاتي أن البحث في الخصائص الشكلية للنحو التحويلي يمكنها أن تتخذ مضامين ذات دلالة من أجل دراسة الآليات النفسية الكامنة وراء الممارسة اللغوية.

إن الطريقة التي عالج بها تشومسكي العلاقة بين الجمل المبنية للمجهول ونظيراتها المبنية للمعلوم والجمل المثبتة ونظيراتها المنفية وكذلك بين الاستفهامية والاخبارية، كانت ترتكز إلى مجموعة من

«القواعد التحويلية الاختيارية». وتبعاً لهذا التحليل فإنّ الجمل النواة كانت من ناحية عدد القواعد المطبقة أكثر بساطة من غيرها. وكان من المغري أن نفترض أن الجمل النواة ليست أبسط من الوجهة اللغوية فحسب، ولكنها أكثر بساطة أيضاً من الناحية النفسية. وإذا افترضنا وجود علاقة وثيقة بين المقدرة والممارسة لاستطعنا أن نجري بعض التجارب التي ترمي إلى اختبار مدى صلاحية العمليات التحويلية.

ولقد كانت نتائج بعض التجارب الأولية مشجعة جداً حيث تبيّن أن الجمل المبنية للمعلوم أسهل للذاكرة من تلك المبنية للمجهول وأن الجمل المثبتة أسهل من المنفية. والأغرب من هذا أنه تبيّن بنتيجة إحدى التجارب التي اعتمدت على الزمن اللازم للاستجابة لأنواع الجمل المختلفة أن زمن الكمون (Latency) في حال الجمل المبنية للمجهول ليس أطول منه في الجمل المبنية للمعلوم فحسب، بل إن الفارق في الكمون بين الجمل المثبتة المبنية للمعلوم وبين نظيراتها المنفية والمبنية للمجهول يساوي مجموع الفروق بين الجمل المثبتة المبنية للمعلوم وبين المثبتة المبنية للمجهول من جهة والفروق بين الجمل المثبتة المبنية للمعلوم والجمل المنفية المبنية للمعلوم من جهة أخرى.

ويمكننا أن نعتبر هذه النتيجة بمثابة برهان على الفرضية التي تقول إن تحليل الجمل ينطوي على سلسلة من عمليات التحويل التي يستغرق كل منها زمناً معيناً. إلاّ أن هذه التجارب أفرغت من محتواها لأنها لم تأخذ بحسبانها عدداً من الاعتبارات التي لها علاقة بالموضوع. إذ ينبغي على أية تجربة تُصمم بهدف اخبار صلاحية أنموذج معين من النحو من الوجهة النفسية أن تأخذ في اعتبارها جميع المتغيرات الممكنة في الممارسة اللغوية. ولقد أصبح علماء النفس في السنين القلائل الأخيرة ممن استمدوا أبحاثهم من النحو التحويلي أكثر إحساسا بهذه المشكلة من ذي قبل.

2.7 ــ المضامين الفلسفية

يعرض المؤلف هنا لفلسفة اللغة والفكر عند تشومسكي ويعقد مقارنة بين موقف التجريبيين وموقف العقلانيين من اللغة. فالتجريبيون يؤمنون بأن المعرفة تتولد عن التجربة والخبرة كما هو الأمر عند التجريبيين البريطانيين لوك (Locke) وباركلي (Barkley) وهيوم (Hulme). والواقع لقد أثر المذهب التجريبي في تطور علم النفس الحديث تأثيراً بالغاً وكان مع المادية الحسية والحتمية وراء الفكرة التي حملها الكثير من علماء النفس وهي أن البيئة هي التي تحدد المعرفة الانسانية والسلوك الانساني نظراً لعدم وجود فوارق في هذا المجال بين الانسان والحيوانات الأخرى.

غير أن تشومسكي يعتقد أننا نمتلك عدداً من القدرات المعينة (نطلق عليها اسم العقل) وهي تلعب دوراً حساساً في اكتسابنا للمعرفة وتجعلنا قادرين على التصرف ككائنات حرة غير موجهة بحوافز خارجية في البيئة المحيطة بنا رغم احتمال تأثرنا بها.

لقد كانت مدرسة بلومفيلد اللغوية تجاهر بإهمال القضايا النظرية العامة إلى حد المفاخرة تقريباً. ولو سئل معظم اللغويين الأمريكيين قبل نحو خمس عشرة سنة (من تاريخ تأليف الكتاب) عن هدف اللسانيات الأساسي لأجابوا «إنه وصف اللغات». فأتباع بلومفيلد كانوا متشككين من أن جميع اللغات تشترك بخصائص معينة فيما بينها.

أما موقف تشومسكي فإنه متعارض تماماً مع موقف بلومفيلد. فهو يعتقد أن هدف اللسانيات الرئيسي هو التوصل إلى نظرية استنتاجية لبنية اللغة الانسانية بحيث تكون شاملة إلى الحد الذي يمكن معه تطبيقها على جميع اللغات. وهو يعتقد أيضاً بوجود

وحدات صوتية ونحوية ودلالية ذات صفة عالمية (سمات صوتية مميزة ــ مقولات نحوية ــ مكونات دلالية..الخ).

فهذه الوحدات الصوتية والنحوية والدلالية تؤلف ما يدعوه تشومسكي (بالعالميات الحقيقية أو الجوهرية) في النظرية اللغوية. إلاّ أن أكثر ما يميز فكر تشومسكي وأكبر ناحية إبداعية لديه هو تأكيده على ما يدعى بالعالميات الشكلية. وهي المبادىء العامة التي تحدد شكل القواعد وطريقة عملها نحو اللغات المختلفة.

فالنظرية اللغوية يجب أن تكون على درجة من الشمول بحيث تغطي جميع اللغات، وفي الوقت نفسه يجب ألاّ تكون مغرقة في شموليتها كي لا تنطبق على وسائل أخرى من وسائل التخاطب.

ويستعرض المؤلف بعد ذلك النتائج الفلسفية لفكرة تشومسكي المتعلقة بالنحو العالمي بما يلي :

(1) إن جميع اللغات الانسانية تتناول الخصائص والأشياء المشتركة في العالم المحسوس والتي يدركها جميع من يتمتعون بقدرات فيزيولوجية ونفسية سليمة.

(2) يطلب من جميع اللغات أن تؤدي وظائف متشابهة (تقرير أشياء معينة، أو طرح أسئلة أو إعطاء أوامر..الخ).

(3) تستخدم جميع اللغات نفس الجهاز التنفسي والفيزيولوجي، ولنا أن نعتبر طريقة علم هذا الجهاز مسؤولة في حد ذاتها عن بعض الخصائص الشكلية للغة.

(4) إن التفسير المعقول الوحيد في ضوء ما نملك حاليا من معرفة هو أن جميع الناس مزودون بملكة لغوية وأن تلك الملكة هي التي تقرر العناصر العالمية. ومما يزيد في دعم النتيجة التي توصل إليها تشومسكي عملية تعلم الطفل للغته الأم. إذ تشير الدلائل كافة إلى أن الطفل لا يولد وهو مجهز لتعلم لغة معينة دون أخرى. وبهذا نستطيع أن نفترض أن جميع الأطفال، بغض النظر عن العرق والأصل، يولدون ولهم نفس القدرة على تعلم اللغات، ولكن كيف يتسنى للطفل تطوير تلك الملكة الابداعية التي تمكنه من تأليف وفهم جمل لم يسمعها من قبل ؟ يعتقد تشومسكي أن الطريقة الوحيدة لاستيعاب تعلم اللغة هي أن نفترض أن الطفل يولد وهو مزود بالمعرفة بمبادىء النحو العالمي، وبما يميز تلك المبادىء من قيود وشروط، كما أن لديه المقدرة على استعمالها في تحليل ما يسمع حوله من الكلام. هذه المبادىء تؤلف جزءاً مما نسميه «العقل» الذي يتمثل إلى حد ما في بنية الدماغ أو أسلوب عمله والذي يمكن أن يقارن بالأفكار الكامنة عند ديكارت والمذهب العقلاني ورجوعاً إلى أفلاطون.

فكثير من الفلاسفة وعلى رأسهم ديكارت أقاموا حاجزاً بين العقل والجسد وادعى هؤلاء أن وظائف الجسم الفيزيولوجية وعملياته، على عكس العقل، تخضع لنفس القوانين الميكانيكية أو الفيزيائية شأنها شأن بقية العالم المادي. غير أن موقف تشومسكي يختلف عن ذلك نوعاً ما. صحيح أنه يتفق مع ديكارت وغيره من الفلاسفة العقلانيين في أن السلوك الانساني لا يخضع ولا حتى جزئياً (للحوافز) الخارجية أو الحالات الفيزيولوجية الداخلية مما يجعل موقفه متعارضاً مع فكرة الآلية الميكانيكية، إلاّ أن تشومسكي يختلف عنهم في أنه لا يشاركهم اعتقادهم بعدم امكانية تقليص الفرق بين العقل والجسد. وهكذا فإن تشومسكي لاينكر إمكانية تفسير الظواهر العقلية من حيث المبدأ في ضوء العمليات الفيزيولوجية والعمليات الفيزيائية التي يفهمها الآن.

8 ــ الخاتمة

يعمد المؤلف هنا وفي خاتمة حديثة عن تشومسكي إلى إعطاء تقييم ذاتي لمدى أهمية أعمال تشومسكي بمجملها :

(1) لقد حمل تشومسكي ما يسمى اللسانيات الرياضية إلى آفاق بعيدة كما فتح ميادين جديدة للبحث الذي هو موضع اهتمام علماء اللغة والمنطق والرياضيات على حد سواء. ولو سلمنا جدلاً بأن ليس ثمة عمل واحد من أعمال تشومسكي في النحو التحويلي ذو علاقة مباشرة بوصف اللغات الطبيعية فإن هذه الأعمال تبقى قيّمة بالنسبة لعلماء المنطق والرياضيات ممن يهتمون ببناء النظم الشكلية في معزل عن تطبيقها التجريبي.

(2) إنّ ما جذب اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس إلى أعمال تشومسكي هو بالطبع أنموذج النحو التحويلي الذي صُمّم بهدف تحليل اللغات الطبيعية. وقد بيّن تشومسكي بمنتهى الاقناع أن الفجوة بين اللغة الانسانية وبين نظم التخاطب في عالم الحيوان لا يمكن سدها عن طريق توسيع نظريات التعلم النفسية الحالية التي تقوم على إجراء التجارب على الحيوانات المخبرية. وهذا يتبع طبعاً مبدأ الابداعية الذي يتجلى في استعمال اللغة ولا يعتمد على مدى صلاحية أي أنموذج من نماذج النحو التحويلي ولا حتى إمكانية صياغة مثل ذلك الأنموذج. ولكن على الرغم من أن تشومسكي أعطى مبررات جيدة تثبت أن أنموذج الحافز والاستجابة عاجز عن معالجة جميع الحقائق المتعلقة بسلوك اللغة إلاّ أنه لم يبيّن أن هذا الأنموذج لا يستطيع تفسير أي منها. وربما يتعلم الطفل بعض الكلمات التي تدل على أشياء موجودة في بيئته أو أنماطاً معينة من الكلام كتلك التي تتكرر دوماً خاصة في مراحل حياته الأولى بطريقة يمكن وصفها بشكل معقول في ضوء المذهب السلوكي.

(3) يعتقد المؤلف أن الحكم الوحيد الذي يمكن أن نصدره وفق الأدلة المتوفرة هو أن نظرية تشومسكي المؤيدة للمذهب العقلاني ليست بالقوة التي يدعيها. ذلك لأنها كما أشار نقاد تشومسكي لا تخضع للاثباتات التجريبية المباشرة. لأنه من غير العملي أن نربي طفلاً منذ ولادته دون أية معرفة بأية لغة طبيعية وأن نعرضه فقط إلى عبارات من الكلام في لغة مصطنعة تستعمل في مجال كامل من الحالات العادية كما أنه ليس من الواضح أبداً كيف يتصرف المرء إزاء تصميم تجربة نفسية مقبولة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوعات المطروحة.

(4) لو سلمنا جدلاً بأن المبادىء الشكلية التي يعتمد عليها تشومسكي هي عالمية بمعنى أنها موجودة فعلاً في جميع اللغات التي ينطق بها البشر فهل نملك ما يبرر اعتقادنا بأنها تلائم العقل البشري إلى الحد الذي يجب أن تتفق معها أية لغة إنسانية يمكن تصورها. وربما أننا عاجزون حتى الآن عن إثبات أن اللغات التي تخالف هذه المبادىء تستعصي على الانسان سواء في تعلمها أو استخدامها فإن لنا الحق في حجب موافقتنا على فرضية تشومسكي بأن العالميات الشكلية كامنة في الانسان.

وربما كان التفسير البديل لصفتها العالمية أن جميع اللغات انحدرت من أصل مشترك في الماضي السحيق وحافظت على مبادئها الشكلية إلاّ أنه من غير الثابت أن جميع اللغات مشتقة من أصل واحد.

(5) أما فيما يتعلق باللسانيات كعلم تجريبي يهدف إلى تقديم نظرية حول بنية اللغة الانسانية فإن من المهم بالطبع أن يدخل اللغويون في نظريتهم جميع العالميات الحقيقية والشكلية التي يمكن الاهتداء إليها من خلال البحوث في لغات معينة، وأعتقد أن تشومسكي كان على صواب حين قال إن تنوع البنى الموجودة في لغات العالم أقل شأناً مما يدعيه البنيويون.

حيث أظهرت البحوث النحوية التي أجريت في السنوات القلائل الماضية والتي تأثر معظمها بأعمال تشومسكي تأييداً لا بأس به لدعاة النحو العالمي، ولكن يجب أن ينظر إلى النتائج التي تم الحصول عليها حتى الآن على أنها نتائج أولية فحسب.

(6) وتشير الدراسات الحالية التي تقارن بين السلوك الانساني والحيواني إلى أن ما يعتبر في العادة سلوكاً غريزياً يتطلب شروطاً بيئية خاصة جداً خلال فترة النضج (maturation). أما إذا قيل أن مثل هذا السلوك كامن أو أنه اكتسب بالخبرة فإن المسألة عندئذ لا تعدو كونها مسألة توكيد. فالغريزة والبيئة إذن كلاهما ضروري وتكمل إحداهما الأخرى. ورغم أن تشومسكي يطلق على نفسه لقب عقلاني فإنه لا يريد أن يلزم نفسه بالمعارضة التقليدية بين العقل والجسم. ويبدو أن موقفه يتفق مع الرأي القائل إن المعرفة والاتجاه (الميول الطبيعية) يتطلبان شروطاً بيئية محددة خلال فترة النضج رغم أنهما كامنان في الأصل.

(7) إن حكمنا على نظرية تشومسكي العقلانية والقوية بأنها غير مثبتة لا ينفي أهميتها مطلقاً، حيث بيّن أن ليس ثمة ما يجانب العلم في الافتراض أن القدرة على التحدث بلغة ما تدل على وجود عدد من القواعد التوليدية ـــ سواء أكانت كامنة أم مكتسبة ـــ في ذهن المتكلم وإن تلك القواعد هي من نوع محدد جداً وأن المتكلم قادر على «خزن» وإجراء العمليات على التراكيب الذهنية المجردة خلال تأليف الجمل أو تحليلها.

(8) يورد المؤلف نقطتين مهمتين تتعلقان بنظرية تشومسكي :

الأولى وتتعلق بالتمييز الذي يضعه تشومسكي بين القدرة (Competence) والممارسة (Performance)، فعلى الرغم من أن هذا التمييز دون شك ضرورة نظرية ومنهجية في اللسانيات إلاّ أنه من غير الثابت ما إذا كان تشومسكي يضع الحد الفاصل بينهما في مكانه الصحيح. ويمكن أن نقول إن تشومسكي يصف عدداً من الظواهر على أنها متعلقة بالممارسة (وبذلك فهي خارجة عن الموضوع) مع أنه من الواجب مناقشتها في ضوء المقدرة.

أما النقطة الثانية بشأن مسألة التفاصيل فإن حكم أي لغوي على الطريقة الأكثر طبيعية أو الأكثر وضوحاً في وصفه لمادته إنما هو أمر نسبي وغير محدد، ولابد لنا من أن نضيف أنه من غير الواضح دائماً متى تكون الفوارق بين نوعين من الوصف لمادة واحدة فوارق أساسية ومتى تكون مجرد فوارق في الرموز والمصطلحات. ولقد قال تشومسكي ذاته في معرض حديثه عن الأعمال الحالية في النحو التوليدي : «إن الحقل في الوقت الحالي في وضع غير مستقر ولابد من مرور بعض الوقت قبل أن ينقشع الغبار ويتم حل عدد من القضايا البارزة ولو مؤقتاً».

(9) لقد ادعى تشومسكي في كتاباته الأخرى الأكثر تكنيكية والتي نشرت مؤخراً أن الفوارق بين موقفه وموقف العديد من اللغويين الآخرين في كثير من هذه القضايا إنما هي فوارق في التسميات ليس إلاّ. لكن الكثيرين لا يتفقون معه في هذا الرأي. إن النقطة المهمة التي يريد المؤلف أن ينوه بها هي أنه حتى اللغويين الذين غالباً ما يتعاطفون مع آراء تشومسكي ربما يختلفون معه حول قضايا عديدة.

(10) وأخيراً حتى إذا كان من واجبنا أن نتخيل على الأقل احتمال رفض نظرية النحو التوليدي التي طلع بها تشومسكي بإجماع اللغويين يوماً ما ـــ باعتبارها خارجة عن إطار وصف اللغات الطبيعية ـــ وحتى لو فشلت المحاولة التي بذلها كي يصوغ المفاهيم المستخدمة في تحليل اللغات فإن المحاولة نفسها ستوسع إدراكنا لهذه المفاهيم دون حدود وإن الثورة التشومسكية في هذا المجال لا يمكن إلاّ أن تنجح.

9 ــ نقد الكتاب وتحليله

لاشك أن نقل المعارف الحديثة من ثقافة إلى ثقافة أخرى يُعدّ مكوناً رئيسياً من مكونات الحضارة البشرية عبر التاريخ... وتزداد أهمية هذا النقل الحضاري في حالة كون هذه المعارف حديثة ومفيدة جداً في أمة من الأمم ومفقودة تماماً في أمة أخرى.

وتأتي الأهمية الزائدة لهذه المعارف من كونها عنصراً أساسياً لتطوير ثقافة من الثقافات وإغنائها بحيث تصبح عاملاً فاعلاً في بناء الحضارة الانسانية الحديثة.

والحقيقة إن كتاب تشومسكي هو واحد من الكتب التي تنقل مثل هذه المعارف اللغوية والفلسفية والرياضية الحديثة جداً من اللغة الانكليزية إلى اللغة العربية. وبذلك فإن المكتبة العربية تضم إلى معارفها معرفة لغوية حديثة جاءت لتملأ فراغاً ظل يعاني سنوات عديدة.

ولكن ما هي طبيعة كتاب **تشومسكي** ؟ وكيف تم نقله إلى اللغة العربية ؟ ثم ماهي مواضع القوة في هذا النقل وماهي مواضع الضعف فيه ؟ وبعبارة دقيقة ؛ أين يقع هذا الكتاب المترجم في قائمة الكتب المنقولة إلى العربية ؟

سأحاول الاجابة عن هذه الأسئلة ضمن إطار عرض الجوانب الايجابية والسلبية التي طبعت الكتاب.

9 1 ــ الجوانب الايجابية

(1) إن أول ما يلفت نظر الباحث المختص باللسانيات أو حتى القارىء العربي غير المختص أن هذا الكتاب هو الأول من نوعه في الوطن العربي ذلك لأنه يعطي فكرة كافية وشافية عن نظرية تشومسكي اللسانية منذ بواكيرها الأولى (1957) وحتى بداية السبعينات من هذا القرن.

والأهم من هذا هو كفاءة المترجم الباحث الدكتور محمود زياد كبة الذي استطاع تطويع المادة اللسانية التشومسكية المعقدة ووضعها في اللغة العربية على نحو واضح وبسيط.

وعلى الرغم من أنني لا أعرف الرجل (شخصياً) إلا أنني متأكد تماماً من أنه لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة الصعبة ما لم يكن مختصاً بهذا الضرب من العلم. وقد كنت قد أكدت على قضية التخصص في نقل العلوم والمعارف في مقالات وندوات وكتب لا مجال لذكرها الآن[1]. والواقع عندما سألت عن الهوية العلمية للرجل تبيّن لي أنه متخصص باللسانيات الحديثة (ولا سيما علم النحو والدلالة) من بريطانيا وهو أستاذ اللسانيات الحديثة بقسم اللغة الانكليزية بجامعة حلب **(وهو معار الآن في جامعة الرياض ــ السعودية).**

إن هذه المعلومات التي ذكرتها مهمة جداً في هذا المجال وهي تؤكد الفكرة التي آمنت بها والتي كنت قد ذكرتها في كثير من الكتابات وهي أنه إذا أردنا نقل معرفة متخصصة من لغة إلى لغة أخرى فلا بدّ أن يقوم بهذه المهمة باحث متخصص بتلك المعرفة وذلك انطلاقاً من التقنيات الحديثة الموضوعة في علم الترجمة. ذلك لأن الترجمة ليست عملية نقل للرموز والمصطلحات المعجمية من لغة إلى لغة أخرى وإنما هي نقل الفكر الحي المتألق بعد فهمه واستيعابه من ثقافة إلى ثقافة أخرى آخذاً بالاعتبار كل المكونات التي تكوّن هاتين الثقافتين وتجعلهما مفهومتين لدى الآخرين.

والحق يقال لقد استطاع المترجم الباحث أن

(1) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع : الوعر، مازن (1988ــ الفصل الخامس). قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ــ مدخل. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ــ سورية ــ دمشق.

يحقق هذا المعيار عندما نقل هذا الكتاب إلى الثقافة العربية. ولا ينتابني شك أبداً أنه على الرغم من صعوبة نظرية تشومسكي وتعقّدها (وذلك لتداخلها بالعلوم الرياضية والفيزيائية والبيولوجية) فإن المثقف العربي غير المختص باللسانيات لن يواجه أية صعوبة عندما يقرأ هذا الكتاب باللغة العربية. بل إنه سيتجاوز مرحلة القراءة المفهومة إلى مرحلة الحافز والارهاص الجدي الذي يدفعه للاطلاع على التراث اللساني الذي خلفه تشومسكي ذلك العالم الذي يُعدّ واحداً من عباقرة القرن العشرين.

(2) وهذه النقطة تقودنا إلى نقطة ثانية حول ترجمة هذا الكتاب وهي أن المترجم اتبع ثلاث خطوات دقيقة في تغيير بعض ما جاء في متن الكتاب :

ا ـــ فقد استبدل بالأمثلة الانكليزية التي أتى بها المؤلف جان ليونز أمثلة عربية ملائمة، وبذلك حقق المترجم أمرين مهمين جداً :

الأول هو أنه انتقل من عرض النظرية التشومسكية إلى تطبيقاتها العملية على نحو غير مباشر على اللغة العربية.

الثاني أنه استطاع أن يوصل فكر تشومسكي إلى القرّاء العرب دون عناء وجهد بالغين ذلك لأنهم الآن أمام أمثلة تطبيقية باللغة العربية.

ب ـــ وقد استبدل المترجم أيضاً القواعد التوليدية والتحويلية في نظرية تشومسكي والتي وضعها المؤلف جان ليونز بالانكليزية... استبدل بها قواعد عربية أكثر ملاءمة وفهماً للمثقف العربي من تلك الموضوعة بالانكليزية. (على الرغم من أن لنا ملاحظاتنا الدقيقة حول هذه القواعد العربية التي سوف أنقدها عند حديثي عن الجوانب السلبية للكتاب). وبذلك فإن القواعد اللغوية الموضوعة أصلاً لوصف اللغات البشرية كما يدعي تشومسكي، تُنقل الآن إلى اللغة العربية بحيث يستطيع القارىء العربي أن يتعرف عليها وعلى طبيعتها المرتكزة على مفاهيم مستمدة من الرياضيات (كمفهوم النظم الشكلية، ومفهوم المتواليات ومفهـوم نظريـة المجموعات..الخ).

ج ـــ وأخيراً فقد وضع المترجم في نهاية الكتاب معجماً لسانياً صغيرا وبسيطاً باللغتين الانكليزية والعربية. وهذا العمل يذلل بالطبع الكثير من المسائل والمصطلحات اللسانية الصعبة غير المفهومة للقارىء العربي. وتزداد قيمة مثل هذا العمل عندما نعلم أن قضية المعجم اللساني العربي ما زالت تعاني من مشكلات كثيرة جداً، إذ ليس هناك معجم لساني عربي ـــ انكليزي واحد يمكن أن يكون شافياً وكافياً ومعيارياً (موحداً)(*) في العالم العربي. ويزداد عجبنا عندما نعلم أن قضية المصطلحات والمعاجم أصبحت علماً قائماً برأسه في أوربا وأمريكا تخصص له أقسام قائمة برأسها. أضف إلى ذلك أن هناك آلاف المعاجم اللسانية الغربية التي تحاول شرح المصطلح اللساني شرحاً وافياً وواضحاً[2].

(3) هذه النقطة تتعلق بمتن الكتاب نفسه إذ أن المؤلف جان ليونز وضّح العلاقات القائمة بين

(*) تجدر الاشارة هنا إلى أن مكتب تنسيق التعريب أعد معجما موحدا في اللسانيات (انكليزي ـــ فرنسي ـــ عربي) سيطرح قريبا للتداول.

(2) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع (بالانكليزية) : القاسمي، د. علي (1983) **اللسانيات والمعاجم الثنائية اللغة** بريل، ليدن.

وراجع أيضاً (بالعربية) :

القاسمي، د. علي (1980) «المصطلحية (علم المصطلحات)» مجلة **اللسان العربي**. الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط ـــ المغرب. العدد18، الجزء الأول، (ص7).

وراجع أيضاً (بالعربية) **صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية**. أبحاث الندوة التدريبية الرباط من 31 آذار إلى 8 نيسان 1981 مكتب تنسيق التعريب. المغرب.

اللسانيات والفلسفة وعلم النفس من جهة وبين اللسانيات والرياضيات من جهة أخرى.

والواقع إن هذه النقطة التي شرحها المؤلف في إطار نظرية تشومسكي لجديرة بالدراسة :

ا ـــ فاللسانيات في بداياتها حاولت أن تبتعد عن الفلسفة لتكوّن علماً قائماً برأسه ذلك لأن الدراسات اللغوية القديمة ارتبطت بالفلسفة وعلم النفس ارتباطاً وثيقاً منذ القديم. وقد ساهمت الفلسفة وعلم النفس في تكوين المواقف التي تبناها العلماء في دراسة اللغة. هذه المواقف بدأت تتحول وذلك منذ أن طالب اللسانيون باستقلال موضوع الدراسة اللغوية وتبني نظرة جديدة موضوعية من اللغة دون التزام مسبق بالنظريات الفلسفية والنفسية.

والواقع عندما يطالب تشومسكي بدراسة اللغة في إطار اللسانيات والفلسفة وعلم النفس فإنه لا يدعو إلى العودة إلى التفكير القديم حول هذا الاتجاه وإنما يعني أن الكثير من المفاهيم الفلسفية والنفسية الادراكية الموجودة في الدماغ البشري تستطيع أن تحلّ لنا إشكالات كثيرة متعلقة بالدراسة اللغوية.

وكما هو معلوم عن تشومسكي فإن هناك تداخلاً كبيراً بين العلوم الطبيعية والانسانية ولا يمكن للباحث فصل هذه المعارف بعضها عن بعض في حقل التكوين الحضاري. والواقع إن المؤلف وضّح لنا الكثير من التجارب الفلسفية والنفسية النظرية منها والتطبيقية والتي أضفت على البحث اللغوي إضاءات جديدة واكتشافات لم تكن من قبل.

ب ـــ أما عن العلاقة القائمة بين اللسانيات وبين الرياضيات فإنه يمكن القول بأن السمة الواضحة التي تطبع الدراسات اللغوية الحديثة هي ارتباطها بالعلوم الدقيقة كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا والحاسبات الالكترونية (الكومبيوتر).

فقد وضّح المؤلف جان ليونز كيف استطاع تشومسكي أن يستفيد من حقل الرياضيات ولا سيما بعض النظريات المتفرعة عنه كنظرية المجموعات ونظرية المتواليات ونظرية النظم الشكلية وذلك من أجل صياغة النظرية التوليدية والتحويلية. ولا نبالغ إذا قلنا بأن هناك حقلاً كبيراً ومتطورا قد تفرع عن هذه العلاقات القائمة بين النظم اللغوية والنظم الرياضية يدعى «علم اللسانيات الرياضي»[3] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تشومسكي يحاول أن يستخدم المقاييس والمعايير المستخدمة في دراسة العلوم الطبيعية الدقيقة لكي يؤسس فرضيات ومناهج ونظريات لسانية تجريدية من أجل معرفة بنية اللغة الانسانية ووظيفتها في الدماغ البشري.

(4) الميزة الرابعة التي تسم متن الكتاب أن المؤلف لا يعرض وجهة نظر تشومسكي اللسانية وحدها فحسب وإنما يعرض للنظريات اللسانية الأخرى التي عارضت نظرية تشومسكي وحاولت تفنيدها ولا سيما النظريات الدلالية والفلسفية والنفسية. وهذا أمر مهم جداً، فبدونه لا يمكن تطوير المناهج والنظريات في حقل المعارف البشرية. لقد حاول المؤلف أن يعرض جميع وجهات النظر في هذه الحقول المعرفية في إطار من الموضوعية والوضوح حتى يتمكن القارىء من معرفة نقاط القوة والضعف في نظرية تشومسكي من جهة، ونظريات معارضيه من جهة أخرى، وبذلك يتيح له فرصة التفكير من أجل الارهاص الجدي لتنظير أفضل في حقل المعرفة الانسانية. ولكن هذه الصفات الايجابية التي اتسم بها

(3) لمزيد من التفصيل راجع على سبيل المثال لا الحصر :

(a) Wall, R. (1972). **Introduction to Mathematical Linguistics.** Prentice - Hall, INC. New Jersey.

(b) Partee, B.(1978). **Fundamentals of Mathematics for Linguistics.** Grey Lock publishers, Connecticut.

كتاب **تشومسكي** لا تجعله يخرج عن نطاق النقد، بل إن المؤلف نفسه كان قد أشار إلى هذه النقطة وأكدها من خلال عرضه للكتاب الذي لم يبلغ حد الكمال على حد تعبيره.

2.9 ــ الجوانب السلبية

سوف أتناول هنا السلبيات التي اتسم بها متن الكتاب وأسلوبية ترجمته وذلك من أجل أن يدرك القارىء العربي أنه على الرغم من أهمية الموضوع المطروح وبساطته وانفراده في هذا الحقل الذي يوحي له بأن كل ما جاء في هذا الكتاب إنما هو مقبول... فإن هناك أموراً ينبغي توضيحها وشرحها :

(1) النقطة الأولى في هذا المجال أنه ينبغي ألاّ يغيب عن أذهاننا أن هذا الكتاب كان قد ألفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز عام 1972. وهذا يعني أن الفترة الزمنية الواقعة منذ زمن تأليف هذا الكتاب وحتى الآن (1988) تبلغ ستة عشر عاماً. وينبغي ألاّ ننسى في الوقت نفسه أن نظرية القواعد التوليدية والتحويلية حققت خلال هذه الفترة تطورات مدهشة وسريعة نحو الأفضل، بل إن هناك مناهج كثيرة كان تشومسكي نفسه قد رفضها من أساسها أو أنه عدّل في بعضها بعض التعديل. وحجته على ذلك أنه حتى في العلوم الطبيعية الحديثة والدقيقة لا يمكننا دراسة ظاهرة فيزيائية معينة على نحو دقيق وشامل إلاّ من خلال التطوير والتعديل المستمر للفرضيات والمناهج المطروحة وذلك من أجل إيجاد نظرية شاملة ودقيقة وأكثر موضوعية من سابقاتها. والواقع إن المناهج التي عرضها المؤلف في هذا الكتاب هي التي كان تشومسكي قد وضعها منذ عام 1957 حتى تاريخ تأليف هذا الكتاب (1972) وهي التالية :

(1) منهج نحو المواقع المحدودة.

(2) منهج نحو العبارات.

(3) منهج النحو التحويلي.

(4) منهج نحو العناصر.

وكما قلت آنفاً فإن نظرية تشومسكي قد مرت بعد هذه المناهج في مراحل عديدة استطاعت أن تطور من نظريته وتجعلها أكثر علمية وقبولاً في اللسانيات الحديثة. ومن هذه المناهج :

(1) المنهج المعياري المعدل (الموسع).

(2) منهج الضوابط اللغوية.

(3) منهج العامل والربط الاحالي.

(4) منهج المعرفة اللغوية : أصولها، طبيعتها، استعمالها.

والواقع إن هذه التطورات الكثيرة في نظرية تشومسكي التوليدية والتحويلية إنما كانت نتيجة طبيعية للدراسات النقدية التي تناولت أعمال تشومسكي السابقة والتي بدورها دفعت تشومسكي لأن يوحّد جميع هذه المناهج ضمن إطار نظرية لسانية تجريدية أكثر دقة وشمولاً لوصف الظاهرة اللغوية البشرية وشرحها في الدماغ البشري. وربما يكون من المفيد جداً في هذا المجال أن يعيد الباحث البريطاني جان ليونز كتابة الكتاب نفسه ليكون أكثر انصافاً وعدلاً في الحكم على فكر تشومسكي المتأنق.

(2) النقطة السلبية الثانية تتعلق بتقنية الترجمة إذ أن المترجم الدكتور محمد زياد كبة لم يتبع خطة تنسيقية موحدة في ترجمة المصطلحات اللسانية، تلك الخطة التي أكدها في مقدمة الترجمة عندما قال (ص 5) :

«ولسوء الحظ فإن المعجم العربي لا يزال يفتقر إلى الترجمة الدقيقة لكثير من المصطلحات اللغوية الحديثة، هذا على الرغم من وجود محاولات

عديدة قام بها أساتذة مختصون لتعريب تلك المصطلحات، إلاّ أن جهودهم لم تحقق الغاية المطلوبة لأنها كانت جهوداً متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد، ولا يزال لكل اجتهاده في هذا المضمار».

ولا أبالغ إذا قلت بأن هذا الذي كان قد دعى إليه المترجم لم يحققه على نحو تام في كتابه المترجم ذلك لأننا نجد أن للمصطلح اللساني الانكليزي أكثر من مصطلح في اللغة العربية. فالمصطلح الانكليزي (Linguistics) كان يُترجم إما (لسانيات) وإما (علم اللغة). ويمكن أن نستدل على هذا من خلال النصوص المترجمة التالية :

«اتخذ **علم اللغة** خلال السنوات الماضية طابعاً خاصاً....» (ص 5). «ولم تكن شهرة تشومسكي ومكانته بين **علماء اللغة** هي التي جعلت منه واحدا من أعلام الفكر الحديث، **فاللسانيات** ليست سوى موضوع مغلق لايكاد يعرفه سوى صفوة من الناس...» (ص 8). وكذلك الشأن في المصطلح الانكليزي (Syntactic) الذي كان يُترجم إما (نحوي) وإما (لغوي) كما هو الأمر في (ص 33) و(ص 65). وهناك مصطلحات كثيرة لم تترجم وفق مصطلحات عربية معيارية موحدة... ويعود هنا (ربما) إلى ما كان قد ذكره المترجم نفسه من أن جهود الباحثين العرب العاملين في هذا الحقل لم تحقق الغاية المطلوبة لأنها جهود متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد.

(3) النقطة السلبية الثالثة حول الكتاب تتعلق أيضاً بالترجمة، إذ أن المترجم لم يحاول أن يضع المفاهيم اللسانية الغربية بمصطلحات عربية أصيلة مستمدة من التراث اللغوي العربي ذلك لأن هذه المصطلحات العربية القديمة تعني المفهوم نفسه الذي عناه المصطلح اللساني الغربي.

فالمترجم مثلاً كان يترجم المفهوم اللساني المعبر عنه ب (optional Rules) بمصطلح عربي معاصر يعبر عنه ب (قواعد اختيارية)، وكذلك الشأن في المفهوم (obligatory Rules) الذي ترجمه إلى (قواعد اجبارية) (ص66). ولو أن المترجم استمد مصطلحاته من التراث اللغوي العربي لكانت ترجمته أدق تعبيراً ذلك لأن ترجمة هذين المفهومين الغربيين يمكن أن تكون للأول (القواعد الجوازية) وللثاني (القواعد الوجوبية) ذانك المفهومان اللذان يعنيان ما عناه تشومسكي بالضبط. زد على ذلك أن المترجم لم يترجم القواعد اللسانية الانكليزية بقواعد عربية أصيلة مستمدة من التراث اللغوي العربي. فهو مثلاً يترجم ال (NP) ب (ت / إس) أي تركيب اسمي، وال (VP) ب (تر / فع) أي تركيب فعلي، وال (N) ب (إس) أي إسم، وال(S) ب (ج) أي جملة.

والواقع إن مثل هذه الترجمات هي ترجمات عصرية لا تؤدي الغرض الذي تهدف إليه، ذلك أننا إذا أردنا نقل المفاهيم اللسانية الغربية التقنية فإنه لا مندوحة عن أن نعود إلى المصطلحات العربية التي يمكنها أن تعني نفس المفهوم اللساني الغربي وبذلك نكون قد حققنا هدفين في آن واحد الأول أننا لم ننقطع عن التراث بل حاولنا استثماره عصرياً. والثاني أننا نقلنا المفاهيم اللسانية الغربية على نحو واضح وسليم ومفهوم.

والحقيقة هناك نماذج عربية لسانية عصرية حاولت أن تستمد مكوناتها من النظرية اللسانية العربية القديمة وأن تستفيد في الوقت نفسه من التقنيات الحديثة للنظريات اللسانية الغربية. من هذه النماذج مثلا النموذج اللساني العربي الواقعي والحديث

والذي وضعه صاحب هذه السطور[4].

وهكذا فإن جملة مثل (الرجل رمى الكرة) يمكن وضعها في إطار من المصطلحات والمقولات العربية الأصيلة ثم في إطار من التقنية اللسانية الغربية :

(1) إس ← م إ — م

(2) م $إ_1$ ← $إسم_1$

(3) $م_1$ ← إس

(4) إس ← م — م إ — ف

(5) $م_2$ ← فعل

(6) م $إ_2$ ← ضمير

(7) ف ← $إسم_2$

(8) إسم ← تع — إ

(9) تع ← ال

(10) إ ← رجل، كرة

(11) فعل ← رمى

(12) ضمير ← (هو)

إس = إسناد، م إ = مسند إليه، م = مسند، ف = فضلة، تع = تعريف، إ = إسم.

صحيح أن المترجم وُفِّق في اختيار الأمثلة العربية التي تماثل تماماً الأمثلة الانكليزية، إلاّ أن وضعها في إطار من القواعد كان وضعاً عصرياً هشاً. ويعود السبب في هذا (وأظن ذلك) إلى عدم اطلاع المترجم على النماذج اللسانية المعاصرة التي تستمد إحدى مكوناتها النظرية من التراث اللغوي العربي[5].

(5) النقطة الايجابية — السلبية الخامسة في ترجمة هذا الكتاب هي أن المترجم لم يتحقق تماماً من بعض الآراء والنتائج التي توصل إليها مع أنها نتائج مهمة جداً وخطيرة جداً في الوقت نفسه.

فقد كان قد أشار في المقدمة (ص6) إلى أن :

«ما وصل إليه النحو العربي من التطور منذ قرون عديدة تحاول النظرية النحوية الحديثة الرائجة في الغرب حالياً أن تدركه. فالنحاة العرب أدخلوا الفكرة التحويلية التوليدية في صلب قواعد اللغة العربية ولو أنهم لم يطلقوا عليها نفس التسمية. وما قواعد الحذف والاضافة والتقديم والتأخير ومفهوم (التقدير) في الاعراب إلاّ جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية. وأغلب الظن — وهذا هو اعتقادي الشخصي — أن تشومسكي أخذ مبادىء نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العبرية التي قدم رسالته لنيل درجة الماجستير فيها، ومن المعروف أن للنحو العربي أثراً بالغاً في النحو العبري».

الواقع إن هذا الكلام يحتاج إلى نقاش هنا، ذلك لأن هذه الآراء والنتائج توحي للقارىء العربي بأن نظرية النحو التوليدي والتحويلي إنما هي نسخة عن نظرية النحو العربي وإن تشومسكي لم يفعل في هذا المجال شيئاً اللهم إلاّ بعض الأمور التقنية المستمدة من العلوم الحديثة.

---

(4) لمعرفة هذا النموذج بالتفصيل راجع (بالعربية والانكليزية) :

الوعر، مازن (1987) **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر سورية — دمشق.

(5) لمعرفة بعض النماذج العربية اللسانية المعاصرة راجع :

أ — صالح، د. عبد الرحمن (1971 — 1972) «مدخل إلى علم اللسان الحديث» **مجلة اللسانيات** الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر. المجلد الأول (الجزء 1 — 2) والمجلد الثاني (جزء 1).

ب — الفاسي الفهري، د.عبد القادر (1985). **اللسانيات واللغة العربية**. دار توبقال للنشر — الدار البيضاء — المغرب.

إن هذه النتيجة التي توصل إليها الباحث المترجم كما قلت سابقا هي نتيجة محفوفة بالخطر والحذر (سلبية) ذلك لأنها لا تخضع لقانون التطور العلمي للحضارات البشرية. وكأنها تؤيد مقولة «ما ترك الأول للآخر من شيء» ومقولة «ليس بالامكان أبدع مما كان». ولعلي لا أريد التفصيل في هذه النقطة بالذات ذلك لأنني بحثتها في كتابات ومقامات أخرى(6). ولكن الذي أريد أن أوكده هنا أن ما قاله الفيلسوف اليوناني القديم هيرقليطس من أننا« لا نستطيع أن نستحم بماء النهر مرتين» إنما هو صحيح من الناحية العلمية. ذلك أن لكل ثقافة من الثقافات ناموسها المتطور طبقاً لزمانه ومكانه. وهذا يعني أن ماهية النظرية اللغوية القديمة وموضوعها وغايتها إنما تختلف كلها من حيث المنطلق الفلسفي عن ماهية النظرية اللسانية الحديثة وموضوعها وغايتها.

ولكن هذا لا يعني أبداً أن النظرية اللسانية الحديثة لم تستفد من النظرية اللغوية القديمة (ماهيةً وموضوعاً وغايةً) ذلك لأنه لا يمكن أن تأخذ النظرية اللسانية الحديثة **شرعيتها العلمية** التي تجعل منها أكثر شمولية ودقة وموضوعية ما لم تستفد من النظرية اللغوية القديمة برمتها. وهذا بالضبط ما أعنيه بالنتيجة المهمة الايجابية التي توصل إليها الباحث المترجم.

وفي رأيي أن الغرب لو التفت تماماً إلى ما قاله العرب القدماء في حقل الدراسات اللغوية لحُلّت مشكلات لسانية كثيرة تعاني منها النظرية اللسانية الغربية.

وهكذا فإن استفادة تشومسكي من النظرية اللغوية العربية تقع في هذا الاطار. صحيح أن تشومسكي تكلم عن الحذف والاضافة والتقديم والتأخير والتقدير وما إلى هنالك من أمور لغوية كان قد تحدث عنها العرب القدماء (وهذه بالطبع نقطة ايجابية) إلاّ أن كل هذا يقع في إطار استفادة النظرية الحديثة من المعلومات المفيدة المجمّعة في التراث اللغوي العربي والعالمي. ولكن هذا لا يعني أبداً أن النظرية اللسانية الحديثة (كنظرية) تشبه أو تماثل النظرية اللغوية القديمة (كنظرية، إن كان هناك نظرية متماسكة) النظرية اللسانية الحديثة هي نظرية ذات مبادىء وقوانين علمية متماسكة ومنطقية. هذه المبادىء والقوانين العلمية استمدت معاييرها ومقاييسها من العلوم الطبيعية الدقيقة (الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا وهندسة الحاسبات الالكترونية). أما النظرية اللغوية القديمة فهي عبارة عن ركام من المعلومات المجمعة والمهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية، ولكنها لم تبلغ حدَّ النظرية (بالمفهوم الرياضي والفيزيائي لتعريف النظرية الحديثة)(7).

هذه المعلومات المجمعة ضمت مبادىء وقوانين لم تكن متماسكة من الناحية العلمية، أضف إلى ذلك أنها لم تستمد معاييرها ومقاييسها من العلوم الطبيعية الدقيقة وإنما استمدتها من العلوم الانسانية، (الأدب، النقد، التاريخ، الدين... الخ).

والنتيجة هي أن «النتيجة» التي توصل إليها

---

(6) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع :

أ ــ الوعر، مازن (1988 الفصل الخامس والسادس) **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ــ مدخل**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر سورية.

ب ــ الوعر، مازن (1989 الفصل الأول) **دراسات لسانية تطبيقية**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (قيد الطبع).

ج ــ الحوار الذي أجرته معي جريدة **الثورة** (السورية) العدد 7569 الخميس 14 كانون الثاني1988.

(7) لمعرفة طبيعة بناء النظريات العلمية الحديثة بالمفهوم الرياضي الفيزيائي راجع : Woodger, Joseph (1970).The Technique of Theory Construction. The University of Chicago press.

الباحث المترجم يمكن أن تصاغ كالتالي :

لقد استفاد تشومسكي من المعلومات اللغوية العربية القديمة كما اعترف هو بنفسه[8] تلك المعلومات المهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية والتي ضمنها في نظريته التوليدية والتحويلية. ولكن تشومسكي في الوقت نفسه وضع نظرية لسانية حديثة (بالمفهوم الرياضي — الفيزيائي) تعتبر في رأيي طفرة في تاريخ الفكر اللغوي العالمي. من هنا تأتي أهمية اللسانيات الحديثة كعلم قائم برأسه استفاد من المعلومات اللغوية القديمة المجمّعة (العربية وغير العربية) المفيدة والموجودة في التراث أيضاً. وبعدها صاغ نظرية حديثة جداً استمدت مكوناتها وأركانها ومقاييسها ومعاييرها من العلوم الرياضية والفيزيائية والهندسية والبيولوجية الدقيقة.

10 — الخلاصة

يُعتبر هذا الكتاب واحداً من الكتب المترجمة والمهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية الحديثة. والحق يقال لولا تخصص الباحث المترجم الدكتور محمد زياد كبه بالموضوع الذي يعالجه الكتاب ثم معالجته بعض التخريجات المتعلقة بتقنية الترجمة لما جاء الكتاب واضحاً وسهلاً وبسيطاً يستطيع المثقف العربي غير المتخصص أن يفهمه ويستوعبه، لذلك فإنني أدعو كل الزملاء الباحثين في العلوم اللسانية الحديثة أن ينقلوا مثل هذه الكتب المفيدة إلى اللغة العربية لتكون ترسانة ثقافية وعلمية تقف في خط التوازن الاستراتيجي مع أعداء الأمة العربية، تلك الترسانة التي تسعى لبناء الانسان العربي المعاصر وتسليحه بأنجع التقنيات الحضارية الانسانية الحديثة.

* * *

(8) لمزيد من التفصيل حول هذا الاعتراف راجع : (الفصل الخامس) من كتابنا **دراسات لسانية تطبيقية** دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر — سوريا — دمشق (قيد الطبع).

العربية كلغة دولية(*)

محمد ديداوي
اليونيدو

1 ــ مسيرة العربية : تأثر وتأثير

اللغات، كأي كائن حيّ، تأخذ عن بعضها، تؤثر وتتأثر، تتطور وتستوعب وتتغير، أو هذا هو المفروض فيها، وإلاّ كانت في عداد اللغات الميتة التي يطويها التاريخ وقد تكون قد تفرّعت عنها لغات أخرى أو لهجات، تلك سنّة اللغة. ولم تخرج العربية عن هذه القاعدة من حيث الأخذ والعطاء. فقد كان «سبب تأثير لغة العرب في كل لغات أوروبا(**) تقريبا هو فتوحاتهم فيها»(1) و «ضاعف تأثير تلك الفتوحات في لغات أوروبا(**) سمو ثقافة العرب»(2). وهكذا، أثرت تأثيرا متفاوتا في حوالي مائة من لغات العالم ولهجاته، ومنها أرقى اللغات الأوروبية، في مجال الكيمياء والرياضيات والفلك وغير ذلك، وتأثرت العربية بالآرامية والعبرية والفارسية واليونانية والتركية والايطالية والفرنسية ولغات أخرى.

وأثرت العربية في 37 لغة، في أوروبا وآسيا وإفريقيا، اتخذت حروفها(3).

وإن التأثير قد يكون في المصطلح أو التركيب، كما إن لهذه الظاهرة خصوم وأنصار. ففي حين نجد أن «جلّ المتكلمين بالانجليزية يبدو أنهم يؤمنون بنوع من حرية التبادل اللغوي(***) ويذهبون إلى القول بأنه إذا ما كان مصطلح من أصل أجنبي ذا فائدة يلزم تسخيره حالا بغض النظر عن انتسابه»(4)، فإن هناك من يرى «أن للغات الأجنبية والترجمات عنها جانبا سلبيا ــ في رأينا ــ يتمثل في كثير من الأساليب التركيبية للجملة، ولا يمكن أن نعدّ هذا الجانب من التطور المقبول لأنه ينهج نهجا يخالف المألوف في العربية الفصحى التي جرينا على سنّتها في القواعد والصرف وأصول المفردات ويلاحظ الدارس أن الكلمات المستعملة عربية لكن

---

* إن الآراء المعرب عنها في هذه الورقة آراء شخصية محضة.

** أوربة في الأصل.

*** نميّز بين «لغوي» نسبة إلى اللغة، و«لساني» نسبة إلى اللسانيات Linguistics.

المعنى المعبر عنه في جملة أو تركيب مستحدث لا تعرفه العربية، وهو مترجم حرفيا عن اللغات الأجنبية»(5). وإن هذه النظرة تتعارض مع فكرة التطور المحتوم، لاسيما إذا عرفنا أن الانكليزية (أو الأصح الأمريكية) قد استفادت فائدة عظمى من الألمانية وتراكيبها فازدادت دقة وإيجازاً. و«يكاد يكون تأثير اللغات الأخرى في العربية منعدما»(6) من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب.

هكذا، «لم تتغير أصوات الحروف العربية ولا تأثرت أبنية العربية وأوزانها. وأما ما كان من تطور التراكيب ومن طول الجمل وتداخلها وتشابك أجزائها وتعددها فهو في رأينا تطور طبيعي نشأ عن تطور الحياة والفكر بعد الاسلام»(7).

هكذا، نرى أن تواصل الحضارات يؤثر في اللغة بطريقة أو بأخرى.

ونعود إلى احتكاك الأمريكية بالألمانية، فنقول إنه يكفي أن نعرف أن في تسعينات القرن التاسع عشر كان ينشر في أمريكا ما يربو على 800 مطبوع بالألمانية وكان عدد المتحدثين في مدينة نيويورك يأتي مباشرة بعد برلين ثم فيينا.

وكانت اللغة الألمانية هي ثاني لغة يتعلمها التلاميذ في المدارس. وكانت مدينة بولتيمور تحتضن وحدها أربع مدارس ابتدائية تلقن الدروس فيها باللغة الألمانية. وكان معظم سكان بنسلفانيا الوسطى قبل زهاء 60 سنة يتكلمون الألمانية(8). وقد كان لهذا الاحتكاك الحضاري ــ اللغوي وقع على اللغة والناس.

2ــ خصائص اللغة العربية

اللغة العربية غنية زاخرة بالمفردات، ذلك أن لغة قريش التفت حولها لغات أخرى من الجزيرة العربية، بعد نزول القرآن الكريم، فكانت في ذلك نعمة الاثراء ونقمة الترادف فيما بعد. ولا داعي لمقارنة اللغة العربية مع غيرها من حيث وفرة المفردات، لأن «قضية المفردات لا تدخل في صميم اللغة»(9). إن في اللغة العربية مزية الاشتقاق ومنه الاشتقاق الصغير والأكبر. وهذا الأخير هو الذي تحدّث عنه ابن جني في كتاب الخصائص، وهو أن تأخذ جذرا وتعكس حروفه على الأوجه الستة فتجد معنى مشتركاً بينها، والنحت. ومن مميزات اللغة العربية أوزان الأفعال والأسماء واستعمالات حروف الجر، حتى ان المعنى يكتسي حلة من البيان والايجاز. ومن أخص خصائصها تعدد الصيغ لمفرد كلمة واحدة وتعدد صيغ جميع مئات الكلمات.

وقد جمعت العربية بين المحسوسات والملموسات كما أن مفرداتها «تدل على أن العرب صنفوا الوجود تصنيفا شاملا دقيقا منطقيا يدعو إلى الدهشة والتعجب ويدل على مستوى فكري قلما وصلت إليه الأمم في مثل هذا التطور المبكر من تاريخ حياتها»(10).

يقول ا. س. تريتون: «إن أكثر المفردات شيوعا، في معظم اللغات، ومثلها في ذلك مثل العربية، لا تخضع إلى قياس، إلا أن حالات الخروج عن القياس أقل في العربية منه في غالبية اللغات الأخرى. وإن تركيب الجملة في العربية بسيط..»(11)

و«إن من مميزات اللغة العربية أنها خلافا لأكثر لغات الدنيا القديمة منها والحديثة تتبع قواعد ثابتة لا استثناء فيها، ومن المعلوم أن أكبر العوائق في تعلم اللغات كثرة ما يعتريها من الشذوذ في الكتابة (انظر الفرنسية) وفي النطق (انظر الانكليزية) وفي الاعراب وتركيب الجمل وفي غير ذلك من قواعد النحو والصرف واللغة».

«فلهذا الاعتبار يمكن أن تعدّ اللغة العربية من أسهل اللغات تعلّما إنما يلزم لذلك حفظ كل القواعد وتطبيقها. وهذا أهون من حفظ كل كلمة وكيف تكتب، وكل كلمة وكيف تنطق، وكل فعل من الأفعال الشاذة الكثيرة وكيف يصرّف وفي حفظ كل قواعد الاعراب وكيف تعرب الألفاظ الشاذة في اللغات التي تستعمل الاعراب أي تغير أواخر الكلم حسب العامل وهي أكثر مما يتصوره الذين لا يعرفون إلا اللغات اللاتينية في حين أن كل اللغات السلافية والجرمانية وغيرها لغات إعرابية»(12).

وإن العربية رحبة الصدر مطواعة، استطاع بها العرب أن يأتوا من الكلام فنا ومن الشعر روعة حتى عندما كانت تتقاذفهم رحاب الصحراء المترامية الأطراف. و«هناك في الفيافي والقفار، على تخوم حضارة راسخة الأركان، اخترعت مجموعة من القبائل المتشتتة والمتناحرة على الدوام والتي لا تجمع بينها سوى وحدة اللغة، نوعا من الشعر فريدا ومعقدا في نظمه ومذهلا في تصويره، وارتقت به بالسليقة إلى أسمى درجات الاتقان»(13). وقد جاءت في العربية أبيات بيّنات من الشعر وتفنن الكتاب نثرا فتركوا تراثا أدبيا غنيا قيّما.

3 ـــ القرآن والحديث

الجانب اللغوي والحضاري هو الذي يهمنا في القرآن الكريم. فهو محبوك في أسلوب رائع ومتين، له مقام في النفس وفضل على العربية، فهو أول كتاب مدوّن فيها وقد حدّد معالمها وصانها بقدسيته. وقد عده بعض أفراد قريش من سحر القول وجاء من بعدهم من انبهر ببديع آياته فرصع به الكلام نظما ونثرا ومن عارضه فعجز به البيان.

«وقد أثر هذا الكتاب العظيم آثارا بعيدة المدى في اللغة العربية، فقد حوّل أدبها من قصائد في الغزل والحماس والأخذ بالثأر والفخر ووصف الابل والخيل والسيوف والرماح، ومن حكم متناثرة لا ضابط لها ولا نظام، إلى أدب عالمي يخوض في مشاكل الحياة الاجتماعية وينظم أمورها الدينية والدنيوية»(14).

وقد أجمع العرب(15) وغير العرب(16) على هذه الظاهرة الأسلوبية المعجزة وإن حاول بعض المستشرقين أن يجدوا فيه عيبا هو في الحقيقة «من ضروب البلاغة ويصعب إدراك كنهه على غير أبناء اللغة الواقفين على أسرارها»(17).

ومن ناحية أخرى، فإن «الفكر الاسلامي انطلق انطلاقة كبيرة بفضل القرآن. فقد فتح الكتاب آفاقا جد واسعة وأتى بمواضيع جد دسمة واستعمل وسائل للتعبير جد خارقة إلى حدّ أنه أوجد للمفكرين والباحثين في مضمار العلوم مواضيع يستكشفون معينها الذي لا ينضب»(18). وكان «الحدث القرآني حدثا لغويا وثقافيا ودينيا»(19). ومن النادر جدا، بل يكاد يكون من المحال، أن يوجد أي شاعر مجيد أو خطيب بليغ أو كاتب مبدع في اللغة العربية لم يطّلع على القرآن. وكلما تمكن منه طوّع اللغة واستحكمت فصاحته.

ويأتي بعد القرآن الحديث النبوي، من حيث البلاغة. إنه عبارة عن «مجموعة أدبية خطيرة»(20) يضعها أرباب القول «في المقام الأعلى بعد القرآن»(21).

وإن «اللغة، ببيانها، كانت المعجزة الأولى التي بهر بها الاسلام خصومه»(22).

4 ـــ استعمال اللغة العربية

للغة العربية نسق محكم من حيث التركيب والأداء. ومن مميزاتها ازدواجية استعمال الجملة كفعلية أو اسمية. وقد انجبت مفكرين جهابذة كان

لهم قول مذكور في شتى الميادين، ومنهم الفارابي وابن رشد وابن خلدون وابن سينا والخوارزمي وغيرهم. واستطاعت العربية أن تستوعب العلوم بمجهود النقلة والمترجمين، خاصة في أيام المأمون وبتشجيع وعطاء سخي منه، إلى حدّ أنه كان يعطيهم وزن الورق المترجم ذهبا.

ولا يمكن أن ينكر أحد أن اللغة العربية لها وسائل فعّالة للتعبير عن ظلال المعاني من اشتقاق وأوزان وحروف جر، الخ.

أما من ناحية المفردات، فقد اعتنى اللغويون العرب أيام الازدهار بالتمييز بين الألفاظ، ومنهم أبو هلال العسكري في «الفروق في اللغة» وابن قتيبة في «أدب الكاتب» والثعالبي في «فقه اللغة وأسرار العربية»، وعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني في كتاب «ألفاظ الاشباه والنظائر». كما تطرّق إلى هذا الموضوع ابن جني والسيوطي وأبي علي الفارسي والزمخشري، وغيرهم.

غير أن العربية أصابها في عصور الانحطاط المنصرمة «مرض العموم والغموض والابهام، كما أصابت هذه الآفات التفكير نفسه، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغدت مترادفة»[23].

وإن اللغة العربية لغة موسيقية، ذلك أن الأصوات تتمازج فيها لتحدث نغما وإيقاعا تستلذه الأذن. لكن، مع الأسف، فإن بعض العرب «بدل أن يتخذوا من اللغة منعشا منشطا للفكر، ووسيلة للابداع الفني وللخصب الثقافي، اكتفوا بالتصنّع وباللذة المرضية التي تطرب لها الأذان وقد انخدعت بالرنات الجوفاء»[24].

هذا هو بالذات الداء الذي ينخر الفكر العربي. وإن أعراض هذا الداء أربعة، يسميها الفيلسوف المغربي محمد عزيز الحبابي «الربايب»، وهي:

1 ـــ الترادف وعدم التدقيق في استعمال المدلولات التقريبية.

2 ـــ متاهات المشاحنات النحوية، علما «أن النحو العربي تمارين فكرة رائعة»[25]، وإن تبسيط النحو العربي واجب.

3 ـــ الصناعة اللفظية الجوفاء والسجع المصطنع.

4 ـــ الحشو. يقول محمد عزيز الحبابي: «توصلت هذا الصباح برسالة، كتب صاحبها على الغلاف ما يلي: «حضرة الفاضل المحترم الأستاذ الدكتور السيد... أستاذ بكلية...» يا لضياع الوقت! فما بالكم حينما يتعلق الأمر برسالة بكاملها! ...»[26]

هذا مع أن للغة العربية قواعد في الأساليب البلاغية لأغراض الايجاز والاطناب والمساواة، أي التساوي الكامل بين اللفظ والمعنى أو بحيث «يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض»[27].

وليس التنميق وقفا على العربية، ذلك أن لغات أخرى قد تلجأ إلى زخرفة الكلام لأغراض التأثير أو تمويه المعنى أو التعويض عن نقصانه.

ومن ناحية أخرى، فإنك، في العربية، «تجد للمعنى الواحد عدة قوالب تتراوح بين الاطناب والايجاز إلى حدّ يسم غيرها [العربية] من اللغات بطابع الاعجاز»[28].

كما إن «تفاوت طبقات الكلام العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظا وعبارة من جميع الألسن»[29].

وإن الترجمة من نصوص عربية أصيلة مكتوبة حسب الأصول تظهر أنه لا بد من إضافات في اللغات المنقول إليها إذا أريد تبليغ المعنى العربي كاملا غير منقوص. ونذكر، على سبيل المثال، من هذا القبيل، ترجمة القرآن الكريم والأشعار.

5 ــ اللغة العربية المعاصرة

5. 1. دور الصحافة والاعلام

ما أن أهلّ عصر النهضة في العالم العربي، في أواخر القرن التاسع عشر، بعد الانحطاط والخمول الفكري لفترة من الزمن، حتى انبرت مجموعة من الكتّاب والأدباء والمفكرين يؤسسون الجرائد والمجلات كمنبر لتنوير العقول وصقل اللغة أو يسخّرون أقلامهم ومواهبهم للكتابة في تلك الجرائد والمجلات. هكذا، ظهرت مجلات الجنان (1870 ــ 1886) والمقتطف (أسست عام 1876 في بيروت ثم انتقلت إلى مصر : 1883 ــ 1953) والهلال (أسست عام 1892) والرسالة والبلاغ والعصور، الخ، ثم أنها بدأت تختفي ابتداءً من عام 1952. وقد برز على صفحاتها كتّاب مثل طه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد أمين ومحمود حسن الزيات، وغيرهم كثير، ساعدوا على بلورة اللغة العربية والتقريب من التطورات الحاصلة في الخارج في شتى ميادين العلوم والمعرفة. ولقد كتبوا في لغة عربية أنيقة وراقية وإن اعتورها بعض العيب من حيث المصطلح الحديث المتخصص وحتى في هذا الباب تحسّسوا الطريق ومهّدوا السبيل.

وبتقدم القرن العشرين عرفت وسائل الاعلام والاتصال تقدما هائلا وتقلصت المسافات في الزمان والمكان. هكذا، تكاثرت الصحف والمجلات وأنشئت الوكالات وأصبح الاعلام عنصرا من العناصر الضرورية للحياة العصرية.

وبخصوص العربية، يجدر بالمرء أن يميز بين الجريدة والمجلة. فالجريدة، اليومية بطابعها، تهدف إلى الاخبار عن الأحداث وقد تتخللها أركان عن الثقافة والطرافة، تكتب أحيانا في عجالة وتعد أحيانا أخرى من قبيل الخواطر: وإن آفتها الكبرى هي التسرّع لانزال الخبر. وهي تعتمد في معظم الأحيان على وكالات الأنباء الأجنبية لاستقاء المعلومات كما إن مضمونها كثيرا ما يكون مادة مترجمة. وإن هذا الموضوع لا يخص اللغة العربية وحدها ذلك أن «في أمريكا اللاتينية تستمد كثير من المعلومات المنشورة في الجرائد من وكالات الأنباء الأجنبية، الأمريكية والأوروبية خاصة، وتأتينا هذه المعلومات مشوّهة في جلّ الأوقات. فما لغتها بأمريكية ولا هي بإسبانية، وإنما هي خلط ملط...»(30)

وإن ضيق الوقت غالبا ما يؤدي بها إلى الاسفاف في المصطلح والركاكة في الأسلوب. أما المجلات الدورية فهي أكثر تروّ وتمعّن ورصانة. وما فتئت تظهر في العالم العربي طائفة حسنة منها، بعضها متخصص في الموضوع يشارك فيه كتّاب عرب مرموقون. إلاّ أن عيبها الكبير هو عدم التداول والانتشار. وإن بعضها مترجم عن اللغات الأخرى، مثل «مجلة العلوم» التي تصدر في الكويت منذ عهد قريب وتستند إلى مجلة Scientific American الأمريكية. وقد وزع منها في السنة الماضية عددان تجريبيان.

وهناك أيضا ما يشبه الاجماع إلى أن وسائل الاعلام لا تستخدم استخداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي... وإنها إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة. وإلى إضاعة الوقت أقرب منها إلى الاستفادة من الوقت وإنها إلى العمل السياسي أدنى منها إلى العمل العلمي الأساسي الدائم»(31).

إن لغة الصحافة تحتاج إلى ترجمة داخلية في اللغة العربية.

وليس من الصحيح دائما «إن الأسلوب السهل المشرّف الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية، لا يعود الفضل فيه إلى معلمي اللغة في المدارس، والكليات، ولا يعود الفضل فيه إلى الكتّاب والأدباء القدامى، بل الفضل الأول في هذا الأسلوب، يعود إلى الصحافة اليوم»[32]. ذلك أن النصوص في معظمها مترجمة ولا بد أن يقوم بالعملية مترجمون أكفاء بالاضافة إلى مهاراتهم الصحافية، أو بعبارة أخرى صحافيون ـــ مترجمون.

5. 2. تقنية المصطلح

5. 2. 1. بداية التكيُّف

إتهمت العربية واستوعبت سيلا من المصطلحات إبّان العصور الذهبية، فعرَّبت وأدخلت ونحتت ثم اخترعت.

وما المصطلح العلمي بجديد على العربية. فقد كان في مكتبة قرطبة زهاء 500 000 كتاب عندما لم يكن في شمال جبال البرانس سوى 5 000 كتاب على أكثر تقدير[33]. و«قد أسهمت العربية أيضا في العلوم الحديثة بعدد من الكلمات»[34].

واهتم العرب في عصر النهضة بالترجمة اهتمام المولع المتعطش، لكنهم تعثروا بالمصطلح.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اصطدموا بتمازج المترادفات وتشوّش المدلولات بصفة عامة. ثم تطوّر العلم وظهرت مصطلحاته الجديدة فانكبُّوا على تعريبها بعزيمة وغيرة وحصل التقدم رويدا رويدا إلى أن وصلت المستوى الحالي، وبذلك أوجدوا تعابير مثل السيارة والطائرة والهاتف والمذياع، وهلم جرا. وقد عانوا الكثير حتى في المفردات والتعابير التي تبدو الآن عادية، في شتى المجالات. وعلى سبيل المثال، تدرجوا من «ايتازونيا» إلى «الايالات المجتمعة» إلى «الولايات المتحدة»[35].

ومن الطرائق التي استخدموها «الاستعارة من نفس اللغة العربية والتوسّع في استخدام المصطلحات العربية القديمة. وهي قاعدة عامة استخدمها الطهطاوي ثم شاعت بعده»[36].

5. 2. 2. المصطلح اليوم

المصطلح العربي يحتاج في الوقت الراهن إلى المزيد من التنسيق والتوحيد. وهناك عدة هيئات تسعى إلى هذه الغاية، ومنها[37] :

ـــ المجامع اللغوية ومعاهد البحث ونذكر منها بالخصوص : مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقا) (المنشأ 1919)، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجمع فؤاد الأول للغة العربية سابقا) (المنشأ 1932) والمجمع العلمي العراقي (المنشأ 1947)، ومجمع اللغة العربية الأردني (1976)، وبيت الحكمة بتونس (1983).

ـــ معاهد البحث : معهد الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بتونس (1960)، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط (1960)، ومعهد الدراسات الصوتية بالجزائر (1960)، الخ.

ـــ المنظمات : مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (1961) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس (عمان) (1968)، والمنظمة العربية للعلوم الادارية (عمان)، والمنظمة العربية للتنمية الزراعية (الخرطوم).

ـــ الاتحادات : ومنها الاتحاد العلمي العربي (1954)، واتحاد الجامعات العربية (1960)، واتحاد المجامع العربية (1970)، واتحاد مجالس البحث العلمي (1975)، واتحادات

الأطباء والكيميائيين والمهندسين الزراعيين، والرياضيين والصيادلة، الخ.

— مؤتمرات التعريب التي تعقد كل ثلاث سنوات تحت إشراف مكتب تنسيق التعريب.

كما أنه توجد في الأسواق قواميس ومعاجم أغلبيتها جادة. وتجدر الاشارة هنا أيضا إلى معاجم مكتب تنسيق التعريب. وهذه المعاجم عبارة عن شتات بين أجزاء مجلة «اللسان العربي» التي يصدره المكتب، وليس من اليسير على الباحث أو المترجم أن يستعملها، نظرا لهذا التبعثر، ويحسن بالمكتب أن يجمع ذلك الشتات في مجلد واحد ضخم أو عدة مجلدات متابعة أبجديا ليسهل تناول المادة. وحبذا لو تم معالجة المفردات إلكترونيا، ويزود المكتب المذكور بالوسائل الحديثة المتطورة وبالعدد الكافي من الموظفين اللازمين للقيام بهذه المهمة الجسيمة. هذا بالضبط ما نودي به في ندوة عقدتها اللجنة العربية التابعة لرابطة الجامعات الناطقة بالفرنسية جزئيا أو كليا، في مدينة الحمامات، بتونس، 29 نيسان / أبريل — 3 آيار / مايو 1985، وندوة التعاون العربي في مجال المصطلح عنسا وتطبيقا، تونس، 7 — 10 تموز / يوليه 1986، التي أوصت كذلك بإنشاء شبكة عربية إلكترونية للاعلام المصطلحي، الأمر الذي بدأ يتجسد في الآونة الأخيرة بالتعاون مع المركز الدولي للمعلومات المصطلحية «إينفوتيرم» (Infoterm) الكائن في فينا. ويعتزم إطلاق تسمية Arabterm على هذه الشبكة التي من المتوقع أن تكون مدينة تونس مقرا لها والتي ينتظر أن تتعاون تعاونا وثيقا مع اينفوتيرم. ومن المقرَّر أن يعقد أول اجتماع لها في تونس في المستقبل. فإذا تحقق هذا، سيكون خطوة بنَّاءة عربيا ودوليا.

وترسم السياسة العامة للمصطلح واللغة عموما، لكنها بطيئة في إنتاج المصطلح وإيصاله إلى المستخدم ويلزم المزيد من التنسيق بينها.

6 — اللهجات العربية أو علاقة العربية بالواقع

قام عبد العزيز بن عبد الله، المدير السابق لمكتب تنسيق التعريب، بدراسة مقارنة للهجات العربية فتبين له أنها متقاربة إلى حد كبير وأن ذا قرابة كبيرة بلغتها الأم.

فهي عبارة عن فصحى مبسطة إلى أقصى حد لتفاهم العوام وأغلب كلماتها مشوَّهة من الفصحى. ومعظم تراكيبها مقولبة عليها. كما إن أبرز الفوارق بينها هي المائل الصوتي والنطق وبعض التعابير المحلية المعدودة. يضاف إلى هذا أن اللهجات العربية تتجه نحو التفصيح، أي استعمال كلمات الفصحى وأحيانا تراكيبها، عند المثقفين العرب — ولعل الصحافة العربية تعطي نموذجا لذلك.

وقد احتفظت بعض اللهجات العربية بكلمات لم تعد متداولة وإن كانت موجودة في أمهات الكتب وفي المعاجم العربية القديمة.

ويكفي أي عربي أن يقيم في بلد عربي آخر مدة وجيزة ليتأقلم بسرعة ويألف سمعه لهجة ذلك البلد وقد ينطلق لسانه بها. ومن المعلوم أيضا أن الاذاعات العربية تخاطب عامة الناس بالعربية الحديثة كما إن الخطب السياسية تلقى بالفصحى فيفهمها الجمهور.

ومن ناحية أخرى، فإن ازدواجية اللغة (أي تواجد العامية والفصحى) ليست وقفا على العربية. إن هذه المسألة مطروحة على اللغات الأخرى، ومنها الفرنسية

أما عن مجامع اللغة العربية، فإنها تتسم بالجدية

وتجدر الاشارة هنا إلى نظرية سارتر الشهيرة

في هذا الصدد. فقد لاحظ أن الفرنسيين يتكلمون لغتين في الحقيقة : لغة البيت والشارع، من جهة، ولغة المدرسة، من الجهة الأخرى. زد على ذلك أن بعض المناطق تنفرد بلغة أخرى كثيرة الاختلاف.

والملاحظ أن الطفل الفرنسي حينما يذهب إلى المدرسة يتوهم أن المجهود المطلوب منه لتعلّم اللغة الفرنسية قليل لأنه يتكلمها أصلا. لكن التجربة أثبتت، في كثير من الحالات، أن غير الفرنسيين كثيرا ما يتفوقون حتى في مادة الانشاء، لأنهم يدركون من الوهلة الأولى أنهم يتلقنون لغة غريبة عليهم.

وقد يصعب على الانكليزي المثقف أن يفهم ويتفاهم مع روّاد الحانات والأوساط الشعبية، ففي لهجتهم لكنة وفي استعمالهم للنحو الكلمة خطأ وتحريف.

ونفس الشيء ينطبق على اللغة الألمانية، ذلك أن هناك فوارق ومتغيّرات بين اللغة المستعملة في نواحي ألمانيا وفي سويسرا والنمسا وغيرها.

7 — العربية في الأمم المتحدة

أصبحت اللغة العربية لغة عمل ولغة رسمية للجمعية العامة في عام 1973، بموجب قرار الجمعية العامة 3190(د — 28) المؤرخ في 18 كانون الأول / ديسمبر 1973، ثم تساوت مع باقي اللغات، في سنة 1979، بموجب قرار الجمعية العامة 34 / 226 المؤرخ في 20 كانون الأول / ديسمبر 1979.

وبمقتضى قرار الجمعية العامة 35 / 219 المؤرخ في 19 كانون الأول / ديسمبر 1980، أصبحت من بين لغات العمل واللغات الرسمية للهيئات الفرعية للجمعية العامة. واعتمدها مجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي كلغة عمل ولغة رسمية فيما بعد.

ويتضمن النظام الداخلي لكل من الهيئات التالية التابعة لليونيدو : المؤتمر العام ومجلس التنمية الصناعية ولجنة البرنامج والميزانية، مواد تعتبر اللغة العربية بموجبها لغة عمل ولغة رسمية إلى جانب اللغات الخمس الأخرى، وهي الاسبانية والانكليزية والروسية والصينية والفرنسية.

وقد أدخلت اللغة العربية في منظمة اليونيدو في عام 1982.

وإن الجمعية العامة للأمم المتحدة إذ قرّرت إدخال اللغة العربية أكدت «أنه ينبغي، توخيًا للفعالية الكاملة لأعمال الأمم المتحدة، أن تتمتع اللغة العربية بنفس الوضع الممنوح للغات الرسمية ولغات العمل الأخرى»(38). وأدركت «ضرورة تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقا وتعزيز الوئام في أعمال الأمم المتحدة وفقا لما ورد في ميثاق الأمم المتحدة»(39).

وقد تشدّدت الأمم المتحدة في توظيف المترجمين العرب، كغيرهم من المترجمين، فنظمت مسابقات دولية، في معظم العواصم العربية وعواصم أخرى. هكذا، استطاعت الاهتداء إلى صفوة من المترجمين الذين يجمعون بين حسنيين، هما معرفة اللغة والتخصّص في الموضوع، ومنهم المهندسون والأساتذة الجامعيون والمحامون والصحافيون واللغويون، الخ.

وإن هؤلاء المترجمين ينقلون عن باقي لغات الأمم المتحدة، وعلى الخصوص عن اللغة الانكليزية، نصوصا في شتى الميادين : العلوم، الاقتصاد، القانون، الخ. و«إن المفاهيم المتضمنة والمصطلحات التي تستخدم للدلالة عليها لا بد أن تكون موحدة إذا أريد للأمم المتحدة أن تكون فعلا مؤسسة دولية تستطيع الدول الممثلة فيها أن تتفاهم، مما يجنّب الوقوع ثانية في مأساة بابل»(40).

ومن ناحية أخرى، فإن الأمم المتحدة تعدّ «من أكثر المنظمات الدولية حفزا للغوي، وإن في الأمر

تحديا كبيرا : كيف يمكن نقل المفاهيم في لغة واضحة تفهمها شعوب ليست بينها أحيانا وشائج تذكر؟»(41).

تلك هي المعادلة الصعبة التي يلقاها المترجم العربي في الأمم المتحدة، حتى بالنسبة للعالم العربي.

فالعالم العربي مترامي الأطراف، استعمرته في العصر الحديث دول مختلفة، فتميّز مشرقه بالثقافة الانكليزية أساسا وتشبّع مغربه بالثقافة الفرنسية. وإن وجود عناصر من شطريه في أقسام الترجمة العربية في الأمم المتحدة فيه إثراء وفائدة إن أحسن استغلاله.

وإن المشكلة لا تطرح ثقافيا وإنما مصطلحيا، ذلك أن المصطلح هو سيد الميدان، لأن المفاهيم والمواضع المترجمة جديدة ومعها المصطلحات العلمية المعقدة. ومن فوائد نصوص الأمم المتحدة أن الاجتماعات تتكرّر والوثائق المعدّة لها متنوعة والمصطلح مغلّف بالسياق، مما يساعد المترجم على إدراك كنهه. ومطلوب من المترجم يوميا أن يخترع المصطلح. لذا، يجب أن يكون قد بلغ أسمى درجات اللغة. ومما يعينه على ذلك أن اللغة العربية مطواعة بأوزانها ووسائلها، إلاّ أنه ما زال في بعض الأحيان يتحسّس الطريق وليست له الجرأة الكافية لاستغلال ما أوتي من وسائل.

إن التاريخ يعيد نفسه. كما أن الوضع شبيه إلى حدّ ما بعهد المأمون حينما استوعبت العربية كثيرا من المفاهيم. ولقد أثبتت العربية دوليا، هذه المرة أيضا، أنها ما زالت قادرة على الاستيعاب والمسايرة.

ويستدل من التجربة أن خير طريقة لترجمة المصطلحات العلمية هي التعريب، أي إضفاء الطابع العربي عليها، على منوال «تلفزة» و «ساتل*» و «دينامية»، وذلك للتقريب من اللغات الأخرى وتسهيل التواصل والتفاهم بين العلماء في اجتماعاتهم. كما أن تنسيق وتوحيد المصطلح عربيا وعالميا أمر جدّ مهم، لا بل حيوي لبلوغ غاية الدقة والتدقيق، علما أن العربية لا تنفرد بهذه المشكلة.

←

* مقابل Satellite. هذا اقتراح من الأستاذ أحمد الأخضر غزال.

خلاصة

لقد أثبتت اللغة العربية على مرّ العصور والدهور أنها قادرة على التكيّف والاستيعاب. ولا ريب أن وراءها حضارة وتراث تليد. وللعرب أهمية اقتصادية وسياسية اليوم. ولا أدلّ على ذلك من تكاثر الاذاعات التي تبث برامجها بالعربية من الخارج، مثل هيئة الاذاعة البريطانية، التي لها برامج اخبارية وثقافية جدّ مسموعة ونطق فخم متميّز وإذاعة صوت أمريكا التي تركز على الجانب الاخباري وإذاعة هولندا وإذاعة ألمانيا الاتحادية وإذاعة موسكو وغيرها من الاذاعات شرقا وغربا.

وفي الآونة الأخيرة، قرّرت شركة الاتصالات الهاتفية الايطالية أن تؤمن خدمات الترجمة الفورية الهاتفية بالعربية والانكليزية، ابتداء من فاتح تشرين الأول / أكتوبر 1987، مع دفع رسوم إضافية، وذلك تيسيرا للاتصالات. ومن المعلوم أن الحاسبة الالكترونية انتشرت انتشارا كبيرا في الأسواق العربية.

غير أن مما تعانيه العربية دوليا أن طرائق تعليمها لا تتماشى مع مقتضيات العصر وضرورات التبسيط والترغيب. إن تيسير تعلّم غير العرب للغة العربية مسألة هامة، لزيادة التعرّف على التراث والفكر العربيين. وتجدر الاشارة هنا إلى أن جلّ الترجمات من العربية يقوم بها الآن العرب أنفسهم والمفروض أن يضطلع بهذا أهل اللغة المنقول إليها، لأنهم أقدر من غيرهم على ذلك، إلاّ في حالات نادرة جدا. وهذه المشكلة مطروحة أيضا بالنسبة للترجمة الفورية في الاجتماعات والمؤتمرات الدولية. وحبذا لو تحسنت، أيضا، أساليب تعليم العربية للعرب أنفسهم.

وقد أصبحت العربية تدرّس ضمن التشكيلة اللغوية لمعاهد الترجمة خارج العالم العربي، وخاصة في أوروبا، ومنها المدرسة العليا للمترجمين والتراجمة (ESIT) في باريس، جامعة الصّربون الجديدة، ومدرسة المترجمين والتراجمة في جامعة جنيف، وجامعة مونس ببلجيكا، الخ. وأصبح بالاستطاعة التحضير لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة العربية في كل من جامعات باريس وسولفرد وإيدنبره، وغيرها.

وختاما، «فإن المحافظة على سلام العالم تهم كل واحد من الناس؛ لكن ليس هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل دراسة اللغات من الأمور التي تهمنا جميعا كمواطنين. إن الفوارق اللغوية تفضي إلى إهدار فادح للطاقة الذهنية التي يمكن أن تجعل في متناول البشرية جمعاء الامكانات الوفيرة التي تتيحها العلوم الحديثة»(42).

«وإذا كان من حق كل واحد منّا أن ينفر شخصيا، وله أن يفضل ما يشاء، من القيام بدراسة من هذا النوع، فإن الفائدة المجنية من تعلّم اللغات ليست مسألة شخصية محضة. إن الفوارق اللغوية مصدر دائم لسوء التفاهم الدولي...»(43).

هكذا، فإن اللغات الحيّة، ومنها العربية، أدوات فعّالة للتواصل. إنها تصلح للبناء والتفاهم وكلما ازدادت معرفة اللغة ازداد التفاهم وربما الوئام.

ولعل أحسن وسيلة لاستغلال تلك الأداة هي الترجمة، ذلك أن المترجم «يكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة، تسترها عنّا اللغة، فيرفعنا من محيط ضيق إلى محيط نشرف منه على العالم الأوسع»(44).

المصطلحية في عالم اليوم*

بقلم هـ. فيلبر

قدّم له وترجَمَهُ ووضع مُعجَمَه

محمد حلمي هليّل

كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية

1 ــ مقدمة المترجم

1.1 نبذة عن المؤلف :

عمل هلموت فيلبر باحثا في معهد البحث والاختبار بجامعة فيينا (1955 ــ 1959) ومترجما متخصصا (1959 ــ 1964) ومساعداً للأستاذ فوستر E. Wüster بمركز البحوث المصطلحيّة في فيزلبورج بالنمسا (1964 ــ 1970). كما عمل في معهد المواصفات النمساوي بفيينا وتخصص في التوثيق والتصنيف (1970 ــ 1979). وهو يعمل منذ عام 1971 رئيسا لمركز المعلومات الدوليّ للمصطلحيّة (الانفوترم) ومحاضرا في معهد اللّسانيّات بجامعة فيينا.

الأستاذ هلموت فيلبر (Helmut Felber) علم من أعلام المصطلحيّة كتب عددا هائلا من البحوث في هذا المجال وتوّج إسهاماته بالسفر الشامل : دليل المصطلحيّة الذي صدر عام 1984.

(Terminology Manual. General Information Programme and UNISIST, Unesco. International Centre for Terminology (Infoterm)/Paris/Wien).

ويقوم الأستاذ فيلبر الآن (أنظر دورية Term Net News العدد 15 عام 1986 ص 40) بمشروع كبير حول : الأسس الهادية لرسم سياسة قومية للتخطيط المصطلحي في البلاد النامية « Guidelines on national terminology planning policy in developing countries ».

* صدر البحث باللغة الانجليزية وعنوانه :

Felber, H. (1986) 'The terminology in today's world' Infoterm 16 - 86 en.

وقد قدم في ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علما وتطبيقا (تونس 7 ــ10 جويلية , تموز 1986).

2.1 ملاحظات :

لقد كان من أهم التوصيات الصادرة عن ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علما وتطبيقا (تونس / 7 — 10 جويلية/تموز 1986) التوصيتان (7) و(18) :

التوصية (7) :

ترجمة عدد من الوثائق الأساسية المتعلقة بعلم المصطلح، والتي صدرت في البلدان المتقدمة، للاستهداء بها في وضع المصطلح وتوثيق وإشاعة تداوله وإصدار مطبوع يضم منهجيات وضع المصطلح المعتمدة.

التوصية (18) :

أ — إنشاء شبكة عربية للاعلام المصطلحي، على أساس النظام المُوَزَّع لا المركزي.

ب — قيام المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية في تونس بإجراء دراسة جدوى لهذا المشروع بعد دراسة المواصفات التقنية لهذه الشبكة ولقاعدات المصطلحات في العالم العربي، بالتعاون مع المؤسسات العالمية ذات الخبرة في هذا المجال.

ج — تسجيل عرض المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية في تونس بأن يقوم بدور الأمانة التقنية لهذه الشبكة وتسجيل عرض اليونسكو بتقديم المساعدة لهذا المشروع في مرحلة دراسة الجدوى وفي مرحلة الانشاء.

أما بالنسبة للتوصية رقم (7) فقد قمنا بنقل أربعة من بحوث الأنفوترم إلى العربية وهي :

1 — «النظرية العامة للمصطلحية : أساس نظري للمعلومات».

وقد اشترك معنا في ترجمته د. سعد مصلوح بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ونُشر في مجلة المعجمية، العدد 2، 1986، والترجمة عن الأصل الانجليزي وعنوانه :

Felber, H. «The general theory of terminology : a theoretical basis for information, 1983».

2 — «اللغة والمهن — اللغة الخاصة ودورها في الاتصال».

وقد اشترك معنا في ترجمته د. سعد مصلوح بمعهد الخرطوم الدولي للّغة العربيّة والترجمة عن الأصل الانجليزي وعنوانه :

Felber, H. «Language and the professions. The role of special language in communication, 1984».

والترجمة معدّة للنشر.

3 — «التصوّرية والدلاليّة : مقارنة في المنهج وفحص في صلاحية الاستعمال في مجال المصطلحية».

وقد قمنا بترجمته عن الأصل الانجليزي وعنوانه :

Nedobity, W. « Conceptology and semantics : a comparison of their methods and examination of their applicability in terminology, 1983 ».

وقد نُشر في اللسان العربي، العدد (29).

4 — «النظرية العامة للمصطلحية : أساس لاعداد المعاجم التعريفية المصنفة».

وقد قمنا بترجمته عن الأصل بالانجليزية وعنوانه :

Nedobity, W. « The general theory of terminology : a basis for the preparation of classified defining dictionaries, 1983 ».

ويصدر في مجلة المعجمية.

ومن المشاكل التي عانيناها في الترجمة ألفاظ علم المصطلح وهي جديدة على اللّغة العربية ومحاولات نقلها لاتزال في أول الطريق (انظر محاولة

ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء ؟ !

بقلم : محمد شيت صالح الحيّاوي

هناك بحوث كثيرة قديماً وحديثاً في الفرق بين حرفي الضاد والظاء صوتاً وخطاً. وآخر ما طالعتُه بحثان مهمان لدكتورين فاضلين هما عبد الله الجبوري (ج) في مجلة (الضاد) العراقية بعنوان (بغية المرتاد لتصحيح الضاد) شباط 1988 / وكامل مصطفى الشيبي(ش) في جريدة (العراق) بعنوان (العربية أهي لغة الضاد أم لغة الظاء ؟) 23 ـ 2 ـ 1988 حيث عرضا معلومات عززت فكرتي. هذه الفكرة التي طالما قلّبتُها ومحّصتها حتى تأكدت من صحتها وصلاحها، فحواها أن حرف الضاد في حقيقته هو لغز محير ولكنه قابل للحل وفي الامكان علاجه والتخلص من مشكلاته. ذلك أننا إذا استعرضنا تاريخ هذا الحرف وتطور أحواله وما قيل فيه وعنه فسنصل إلى نتيجة تدل على أن صوت هذا الحرف إما أن يكون معقداً بعيداً عن الأصوات الطبيعية التي يستطيع الانسان أن ينطق بها وإما أن يكون صوتاً ضائعاً أو مجهولاً ملتبساً بغيره. وفي جميع هذه الحالات لا يعد ـ في رأيي ـ حرفاً بل شبحاً لحرف مفقود، أرى إلغاءه خيراً من بقائه إذا لم يؤثر حذفه على اللغة ألفاظاً وكلمات ومعاني، الأمر الذي سأوضحه فيما هو آت :

(1) مخرجه ونطقه : ـ يقول (ج) (فوضع علماء العربية لعلاج هذا الصوت الرسائل والكتب ونظموا المتون من القرن الثالث إلى يوم الناس هذا ...ومن هؤلاء العلماء ابن غانم المقدسي...في كتابه ـ بغية المرتاد لتصحيح الضاد ـ ...وخلص إلى أن الضاد المنطوقة في عصره هي غير الضاد العربية القديمة.). وأكد (ش) هذه الحقيقة فيما نقله عن الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه ـ الأصوات اللغوية ـ وفيما نقله عن الجاحظ بقوله (إن نطق الضاد كان يتم بإلصاق سطح مقدم اللسان بين الناب والضرس العلويين الأيمنين لا كما نفعل الآن بوضعه تحت القواطع العليا.)

وأكدها آخرون منهم الأستاذ المرحوم طه الراوي في كراسة مخطوطة بقوله (فإن الضاد تخرج من طرف اللسان مستطيلة إلى مايلي الأضراس من الجانب الأيسر ـ وهو أيسر وأكثر ـ أو من الجانب

الأيمن — على قلة — وهي منفردة بهذا المخرج لا يشاركها فيه حرف ما).

وهناك تفصيلات كثيرة واختلافات واسعة في الحديث عن مخرج الضاد ليس لها فائدة عملية مطلقاً، ولذلك لا أرى ضرورة لهذه الأعمال العضوية الصعبة والاشغال اللسانية الشاقة التي لن تكون محصلتها إلا الارهاق أو العجز أو الاستحالة.

(2) إبداله والاختلاف فيه : — يقول (ج) (لقد لمس المؤلف في القاهرة نطق الضاد دالاً وأرى أن تفشي هذه الظاهرة أمر خارج عن السنن عند العرب الفصحاء... ونطق الضاد دالاً مفخمة أو طاء ظاهرة عرفتها العربية قديماً في بعض لهجاتها وهي الآن مستعملة عند المصريين وأهل المغرب ... ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة وهم الزيالع ومن ضاهاهم.) أقول في بعض الانحاء من اليمن والسودان. ويؤيد (ش) هذه الظاهرة أيضا في كتاب — العاطل الحالي — لصفي الدين الحِلّي، وزاد في قلب الضاد زاياً مفخمة فيمن قرأ — ولا الضالين : ولا الزالين.

(3) إبدال الضاد ظاء : — يقول (ج) : (ذكر المقدسي في الفصل الأول خبر تطور الضاد ظاء وعززه في الفصل الثاني وأن التلفظ بالضاد شبيهة بالظاء هو الصحيح وهو المنقول عن كلام العلماء... دعم مذهبه فيما يدل بالمعقول على أن اللفظ بالضاد كالظاء المعجمة .. إلى أن أهل مكة المكرمة وهي منشأ النبي سيد العرب وما والاها من بلاد الحجاز إنما ينطقون بالضاد شبيهة بالظاء المعجمة).

(إن هذا الحرف ليس في الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون فيه فمنهم من يجعله ظاء مطلقاً وهم أهل الشام وبعض أهل المشرق ... إن الضاد شبيهة بالظاء وقريبة منها كونها ممزوجة بها غاية الامتزاج بحيث يخفى الفرق على المجيدين لفن التجويد فإنها حينئذ تكون حرفاً خارجاً عن الحروف العربية المستعملة.). (وإن من قرأ في صلاته الضاد ظاء أو ذالاً في آية — غير المغضوب عليهم ولا الضالين — لا تفسد ومن قرأ بالدال تفسد... وتوجيه قراءة من قرأ — ولا الضالين — بالذال أو بالظاء ان الضاد هو قسيم الذال المفخمة والظاء قسيم آخر للضاد.)

وزاد (ش) قولاً فيما نقله عن الجاحظ في البيان والتبيين عن صعوبة التفريق بين صوتي الضاد والظاء في كلمة ظمياء — ضمياء مثلا وفيما رواه عن السيوطي في المزهر في كلمتي ظحى وظبي — ضحى وضبي.

وجاء في كراسة الراوي مارة الذكر (يعسر على كثير من حملة الأقلام التفريق بين هذين الحرفين لفظا وخطاً فنجد الجم الغفير من الناس يلفظون الضاد من مخرج الظاء، على أن الانحراف على السراط السوي في هذا الشأن داء قديم وذلك لأن الضاد أصعب الحروف مخرجاً وقد أدّى النطق بها إلى الخطأ في كتابتها).

مما تقدم يظهر الحل واضحاً للتخلص من هذه المعضلة التاريخية أي التفريق بين الضاد والظاء لفظاً فخطاً ذلك التفريق الذي كان ولا يزال مدعاة للاختلاف والمتاعب والصداع !.

الحل الذي لا بد منه ولا حل سواه هو إلغاء حرف الضاد والاستعاضة عنه بحرف الظاء أي مزج الضاد بالظاء ليصيرا حرفاً واحداً، والحروف سبعة وعشرين ؛ إن الاختلاف بيني وبين (ش) هو أنه يقدم الظاء ليكون أولاً ويفضله على الضاد ليكون ثانياً فالغاية من بحثه وشرحه تقتصر على اختيار الدرجة الأولى والعنوان الأصلح كما سنرى. أما أنا فأريد إلغاء الضاد وحذفه من الحروف الهجائية والاكتفاء بالظاء لكليهما استقواء بشواهد عديد من الباحثين في علوم العربية والأصوات والأقراء

والتجويد كما رأينا نص المقدسي في الفقرة الثالثة التي سلفت حيث قال : (كونها ــ أي الضاد ــ ممزوجة بها ــ أي بالظاء... فإنها تكون حرفاً خارجاً عن الحروف العربية المستعملة).

واستبصاراً بقول (ش) : فإذا كانت الضاد على هذه الصورة من التغيير و لم يشر إليها قديماً وليس على صعوبتها دليل ولا يراعى نطقها الأصلي الآن فأي داع غير السماع المتأخر يدعونا إلى تمليكها على اللغة العربية وتجنيد العرب تحت لوائها أليس الأجدر والأجدى أن نبحث عن حرف آخر يستحق تبوّأ (تبوّؤ) هذا المقعد وبعد أعمال الفكر... رأينا أن الظاء أجدر).

فاستناداً إلى ما سبق بيانه وشرحه وتفصيله أقول : إن الضاد من الناحية العملية ليس لها اليوم غير نطق أصلي واحد جارٍ على الألسنة هو صوت الظاء نفسه فتمليكها على اللغة وتجنيد العرب تحت لوائها هو في الواقع تمليك الظاء بتعبير آخر ولذا فلسنا في حاجة إلى أعمال الفكر والبحث عن حرف هو في فمنا وبين أسناننا ! كنا نتمنى إلغاء الظاء وإبقاء الضاد لكليهما كما يفعل عرب المغرب الآن لأن الضاد أشهر والكلمات التي تكتب بها أكثر حيث أكد (ش) قلة الكلمات الظائية وأتعب نفسه بمراجعة المعجمات ودواوين الشعراء لا لتكون حجة لتفضيل الضاد ــ كما هو متوقع ــ بل على العكس لتفضيل الظاء الأمر الذي سنأخذ به ولكن بأدلة أخرى ! وزيادة في المعلومات فإن مجموع ما ورد في القرآن الكريم 866 ظاء تكررت في 29 مادة برقم وجدناه في تلك الكراسة و لانزال نتطلع إلى من يفيدنا بعدد الضادات التي جاءت في القرآن الكريم أيضاً موازنة بين العددين. وعلى كل حال فما القلة والكثرة إلا سبب ظاهري سرعان ما يترك ولا يعتمد عليه إذا قورن بأسباب جذرية عملية هي الآتية :

أ ــ الاختلاف في نطق الضاد اختلافاً كبيراً عند أبناء الأمة الواحدة في مختلف الأزمنة والبقاع حيث وجدنا من يلفظه دالاً مفخمة أو مرققة أو طاء أو يلفظه زاياً أو لاماً مفخمتين أو ظاء وربما غير ذلك بينما لا يلفظ الظاء إلا بصوت واحد هو الغالب الجاري على الألسنة في معظم البلدان العربية، وربما وجدنا قلة تلفظ الظاء زاياً مفخمة اقتداءً بغير العرب.

ب ــ تلفظ الضاد ظاء قراءة أو تجويداً أمر معمول به من الناحية الدينية والشرعية ولا يقبل غيره من الحروف كما ذكرنا سالفاً.

ج ــ بسهولة يمكن تحويل كتابة الضاد إلى ظاء وذلك بإنزال عمود على الضاد بينما إذا أردنا تحويل الظاء إلى ضاد فسنضطر إلى شطب العمود النازل عليها أو حكه الأمر الذي يشوه منظر الكلمة ويفسد الخط كهذه الصور :

ضاد ظاء ظاء ضاد

(ضـ) ← (ظ) (ظ) ← (ظ).

العربية لغة الضاد : ــ هذه مسألة مهمة لا بد من توضيحها ومعالجتها فيما نحن عاكفون على توحيد الحرفين حيث يقول (ج) : (شاعت عند أهل العربية قديماً وحديثاً والتي ربما كانت معروفة في القرن الثالث أو في مطالعه عند العلماء، وقد تلقفها شاعر العربية المجيد أبو الطيب المتنبي حيث قال :

وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعود الجاني وغوث الطريد.

وأداره كل من عرض لهذا القول ــ العربية لغة الضاد ــ في بحثه ومنهم ابن غانم المقدسي فجاء به شاهداً على أن الضاد خاص بالعربية).

أقول : كل الآخذين هذا القول لفظاً أو معنى قديما وحديثاً والذين ذكر معظمهم وفصل الحديث عنهم (ش) هم في الحقيقة عيال على المتنبي تابعين

ومقتدين لأنه أقدم منهم (كمهيار وشوقي وصالح الجعفري وعبود الكرخي وكَيْرْدْنر ومحرر الضاد من الموسوعة العربية الميسرة ومجلتي الضاد الحلبية والضاد العراقية). وزاد (ش) فقال (من هذا التتابع يبدو كون العربية لغة الضاد والعرب الناطقين بها وحدهم أمر لم يعرف قديماً... فلعل المتنبي هو الذي اخترع هذا المعنى استناداً إلى مالعله طرق سمعه من صعوبة نطق الأعاجم بهذا الحرف). وخلص إلى القول : (فإذا كان الأمر على هذه الصورة فإن خصائص الظاء النادرة تجعل منها شعاراً للعربية وراية تعلو ساريتها وبهذا نستطيع أن ننادي بصوت عربي فصيح ندى ــ العربية لغة الظاء ــ لا الضاد). وعند هذا الحد لا يسعني إلا مناقشة العالمين الباحثين معتمداً على ماسبق بيانه من أن أهل مكة وما والاها من بلاد الحجاز وأهل الشام وبعض أهل المشرق والعراقيين وربما غيرهم من البلدان العربية إنما ينطقون الضاد كالظاء المعجمة. وهل نسي (ش) قوله : (فلننظر في شجون هذا الحرف ــ يعني الظاء ــ الذي يوحده العراقيون مع الضاد ويلغون هذا الأخير من النطق ويبقون عليه في الخط).

أقول : ما قيمة الخط وما فائدته والرسمان هما لصوت واحد ؟ فإذا قال المتنبي : وبهم فخر كل من نطق الضاد أو قال كل من نطق الظاء فليس ثمة فرق بين التعبيرين لأن اللفظ واحد والمعنى واحد ولأن الحرفين هما في الحقيقة والواقع حرف واحد جارٍ على ألسنة العراقيين بمن فيهم المتنبي ذلك العراقي الصميم !، لم يتلقف شيئا جديدا لأن وحدة الحرفين وامتزاجهما صوتاًولفظاً قديمة وليست بدايتها في القرن الثالث كما لم يخترع معنى استرشاداً بأعجمي. ومن جارى المتنبي فقد جاراه بوحدة الضاد والظاء أي بلفظ واحد يمثله في الكتابة والخط رسمان. فإذا خشينا الالتباس في وحدة الحرفين صوتاً لا في تلفظ المتنبي ومن قلده بخاصة بل فيمن ينطق الضاد بعامة فإن تسمية اللفظ المشترك بينهما (ظاداً) ! لا ضاداً ولا ظاء كفيلة لإزالة ذلك الالتباس إبقاءً على ما قيل من جهة وتثبيتاً لنطق الحرف موحداً من جهة أخرى. وبذلك يجوز أن نكتب قول المتنبي هكذا (وبهم فخر كل من نطق الظاد !). وأن نكتب ما أورده (ش) عن الخليل هكذا (**والظاد** عربية لم تعط أحد من العجم) وما أورده عن ابن جني والقلقشندي هكذا (كون **الظاد** حرفاً تنفرد به لغتنا عن سائر اللغات) محافظين بهذه التسمية الجديدة على مزج الحرفين وموسعين المعنى المقصود في آن واحد.

إن كتابة جميع الكلمات الضادية بالظاء سيحل لنا مشكلة تاريخية ويعفينا من الاختلاف ويجمعنا على نطق واحد ناجين ممن يلفظ الضاد دالاً أو طاءً أو زاياً أو لاماً... الخ ومع ذلك فإذا أخطأ البعض فإن خطأه حينئذ في تلفظ الظاد الموحدة سيكون على كل حال أهون وأقل من الخطأ في الرسمين. ولهذا الاجراء الثوروي، إذا جاز التعبير، آثار ومضاعفات لا بد من توضيحها وتسويتها ولا سيما علاقته بالتراث والثقافة في المخطوطات والمطبوعات والمكتوبات قديماً وحديثاً. ومن حسن الحظ فالتدبير سهل والعلاج بسيط وذلك بتنبيه المبتدئين والمتعلمين وإفهامهم : أن العرب فيما مضى كانت تكتب حرف (الظاد) بصورتين هكذا (ض ظ) وإننا اليوم إذا طبعنا مخطوطاً أو أعدنا طباعة مطبوع فإما أن نكتب (ظاده) بصورته القديمة (ض) أو ننزل عموداً على قاعدته ليصير ظاداً (ظ) بصورته الجديدة.

وتطبيقا لما شرحناه فسنختار بعض الكلمات التي ترد في المعاجم بلفظ واحد ذي رسمين. كل رسم منهما لمعنى كالآتي :

ــ البيض ــ من الحيوانات لا سيما الطيور
وــ البيظ ــ بيض النمل.

ــ ضن ــ بخل و ــ ظن ــ رجح.

ـ التقريض ـ صناعة القريض و ـ التقريظ ـ المدح.

ـ حضر ـ ضد غاب و ـ حظر ـ منع.

ـ الضهر ـ أعلى الجبل ومنه ضهر البيدر وضهر القضيب وضهر الصوان وهي أسماء لمواقع في لبنان و ـ الظهر ـ مصدر، ما يقابل البطن، ما غلظ من الأرض.

ـ الضاهر ـ الوادي، أعلى الجبل و ـ ظاهر البلد ـ خارجه.

ـ ضهور الشوير ـ مصطاف في لبنان و ـ ظهور ـ بروز بعد خفاء، جمع ظهر.

ومن الغريب العجيب أننا نجد في المعجم (فاض) و(فاظ) بلفظ واحد ومعنى واحد هو (مات) ولكنهما برسمين. فلنكتف بذي الظاء لأن المبذرين كانوا إخوان الشياطين !. وسنوحد هذه الكلمات المعجمية في كتابتنا الجديدة ونكتبها بالظاء للمعنيين كما نكتب سائر الكلمات ذوات المعنى الواحد هكذا :

(البيظ) من الحيوانات لا سيما الطيور والنمل.

(ظن) بخل، رجح

... الخ.

بقيتْ العلاقة بين كتابتنا الجديدة وخط المصحف، فإن القرآن الكريم وإن كان أعز كتاب لدينا ولكننا لا نقلد خطه ولا نتبع رسمه في كتاباتنا لأننا نرى أهميته وقدسيته في ألفاظه ومعانيه التي نزلت وحياً. فهي عندنا بالدرجة الأولى أما كتابته التي ندعوها خط المصحف ففي الدرجة الثانية، مع العلم أنه ليس هناك فرق كبير أو اختلاف شديد بين الكتابتين يحول بيننا وبين قراءة القرآن ومطالعته ومراجعته. ولن تصير كتابة الضاد ظاء أبعد من كتابة الصلاة ـ الصلوٰة وأنزلناه ـ أنزلنه وادراك ـ ادريٰك والملائكة ـ الملٰئكة وغيرها من الكلمات.

لقد تطور الخط العربي وتحسنت حروفه وارتقت الكتابة بمرور الأزمان والأجيال فقد كانت غير واضحة تتشابه فيها الحروف ويلتبس بعضها ببعض ثم اتضحت وتكاملت تدريجاً. وكانت غير مشكولة فصارت مشكولة وكانت حروفها مهملة فصار بعضها معجماً ودخلها افتنان وتزيين على أيدي الكاتبين والخطاطين، فلماذا لا نستمر في تطويرها سيراً نحو الكمال مبتدئين مرحلة جديدة كي نجاري العصر عصر التيسير والسرعة والتوحيد ؟!

وفي الختام إليكم ملخص البحث في النقاط التالية :

(1) يلغى رسم الضاد ويرسم ظاء توحيداً لكتابتهما ولفظهما.

(2) يسمى الحرف الموحد (ظاداً) كي تدل التسمية الجديدة على اشتراك الحرفين وعلى العلاقة القديمة بينهما.

(3) تسمى (أمة الظاد) و(لغة الظاد) تصديقاً لشاعر العربية الأكبر ومن اقتدى به من جهة وتبييناً لأهمية صوت الظاء أيضاً من جهة أخرى.

ملحوظة : ـ لا ينفذ ما جاء في اقتراحي هذا من اجتهادات وتعليمات ولا يعمل بها إلا إذا أقر بالاجماع من جهات رسمية مختصة.

وليكن معلوماً أني لست مخرباً ولا مفسداً في دعوتي هذه بل أنا مجتهد مصلح لا يهمني سوى خدمة عربيتي وعروبتي. ولي رجاء ممن يقبل فكرتي أو يرفضها أن يعزز رأيه بالحجج والبراهين العقلية والنقلية بعيداً عن الأمور الذاتية والتأثرات العاطفية. فما رأيكم ـ دام فضلكم ـ وماذا تقولون ؟؟!

المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا
(جزء خاص بالجمعيات)
(2)

الدكتور فاضل حسن أحمد
أستاذ مساعد ــ قسم الهندسة المدنية
جامعة صلاح الدين ــ العراق

3388 - FAA =
Federal aviation agency =
وكالة الطيران الاتحادية

3389 - FASEB =
Federation of American societies for exprimental biology =
اتحاد الجمعيات الأمريكية للبيولوجيا التجريبية

3390 - FACSS =
Federation of analytical chemistry and spectroscopy =
اتحاد الكيمياء التحليلية والتحليل الطيفي

3391 - FAS =
Federation of American scientists =
اتحاد العلماء الأمريكيين

3392 - FASST =
Federation of Americans supporting science and technology =
اتحاد مساعدي العلم والتكنولوجيا الأمريكيين

3393 - FAA =
Fireplace association of America =
جمعية المُستَوْقَد الأمريكية

3394 - FBI =
Federal bureau of investigation =
مكتب التحقيقات الاتحادي

3395 - FCE =
First certificate in english =
الشهادة الدولية في الانكليزية

3396 - FEMA =
Fire equipment manufacturers association =
جمعية صانعي معدات الحريق

3397 - FEI CRO =
Federation of European industrial cooperative research organization =
اتحاد البحوث التعاونية الصناعية الاوربية

3398 - FFI =
Fishery technology research =
بحوث تكنولوجيا السّماكة

3399 - FFCS =
Food facilities consultants society =
جمعية مستشاري التسهيلات الغذائية

3400 - FID =
International federation for documentation =
الاتحاد الدولي للتوثيق

3401 - FIN =
Futures information network =
شبكة المعلومات المستقبلية

3402 - FIERF =
Forging industrial educational and research foundation =
مؤسسة تعليم وبحوث صناعة التشكيل بالطرق

3403 - FPRS =
Forest products research society =
جمعية بحوث منتجات الغابات

3404 - FPC =
Federal power commission =
لجنة القدرة الاتحادية

3405 - FPS =
Fluid power society =
جمعية قدرة الموائع

3406 - FSC =
Field studies council =
مجلس الدراسات الحقلية البريطاني

3407 - FSC =
Foundation for the study of cycles

3408 - FSO =
Foreign service officer =
موظف الخدمة الخارجية

3409 - FSPT =
Federation of societies for paint technology =
اتحاد جمعيات تكنولوجيا الصبغ

3410 - GATT =
General agreement on tariffs and trade =
الموافقة العامة للتعريفات والتجارة

3411 - GARF =
Graphic arts research foundation =
مؤسسة بحوث الفنون التشكيلية

3412 - GASCO =
Abu Dhabi gas industries limited =
مصانع غاز أبو ظبي المحدودة

3413 - GAES =
Gas appliance engineering society =
جمعية هندسة تطبيقات الغاز

3414 - GCE =
General certificate of education =
شهادة التعليم العامة

3415 - GDF =
Gas de France =
غاز فرنسا

3416 - GIS =
Geoscience information society =
جمعية معلومات علوم الأرض

3417 - GRF =
Gravity research foundation =
مؤسسة بحوث الجاذبية

3418 - GS =
Geochemical society =
جمعية كيمياء الأرض

3419 - GSA =
Geological society of America =
الجمعية الأمريكية الجيولوجية

3420 - HFS =
Human factors society =
جمعية العوامل البشرية

3421 - HNC =
Higher national certificate =
الشهادة الوطنية البريطانية العالية

3422 - HND =
Higher national diploma =
الدبلوم الوطني البريطاني العالي

3423 - HUD =
Housing and urban development =
تطوير الاسكان والمدينة

3424 - IAU =
International association of universities =
اتحاد الجامعات الدولي

3425 - IAS =
International association of sedimentologists =
جمعية المختصين بالرسوبيات الدولية

3426 - IAUTL =
International association of technological university libraries =
اتحاد المكتبات الجامعية التكنولوجية الدولي

3427 - IASLIC =
Indian association of special libraries and information centers =
الجمعية الهندية لمراكز المعلومات والمكتبات الخاصة

3428 - IAANZ =
The institute of actuaries of Australia and New Zealand =
معهد استراليا ونيوزلندا لخبراء التأمين

3429 - IAGOD =
International association on the genesis of ore deposits =
الاتحاد الدولي لتكوين الرسوبات الخامية

3430 - IAP = Instituto dos actuarios Portugueses
3431 - IAWS =
Internationale akademic der wissenschaft vom holz
3432 - IAMFE =
International association on mechanization of field experiments =
الاتحاد الدولي لمكننة التجارب الحقلية

3433 - IAWA =
International association of wood anatomists =
الاتحاد الدولي للمختصين بالخشب

3434 - IAU =
International astronomical union =
إلاتحاد الفلكي الدولي

3435 - IABO =
International association of biological oceanography =
الجمعية الدولية لعلم المحيطات البيولوجي

3436 - IARIGAI =
International association of research institutes for the graphic arts industry =
الاتحاد الدولي لمعاهد بحوث صناعة الفنون التشكيلية

3437 - IAMAM =
International association of museums of arms and military history =
الاتحاد الدولي لمتاحف الأسلحة والتاريخ العسكري

3438 - IAALD =
International association of agricultural librarians and documentalists =
الاتحاد الدولي للمكتبيين والوثائقيين الزراعيين

3439 - IAEG =
International association for engineering geology =
الجمعية الدولية للجيولوجيا الهندسية

3440 - IASI =
Inter American statistical institute =
المعهد الاحصائي الأمريكي

3441 - IAG =
International association of geodesy =
الجمعية الدولية لعلم المساحة التطبيقية

3442 - IAC =
Institute for advanced computation =
معهد الحسابات المتقدمة

3443 - IAEA =
International atomic energy agency =
وكالة الطاقة الذرية الدولية

3444 - IADB =
Inter-American development bank =
البنك الأمريكي للتنمية

3445 - IATA =
International air transport association =
اتحاد النقل الجوي الدولي

3446 - IAF =
Industrial areas foundation =
مؤسسة المناطق الصناعية

3447 - IAA =
International academy of astronautics =
أكاديمية الفلك الدولية

3448 - IASA =
International air safety association =
الجمعية الدولية لسلامة الهواء

3449 - IAF =
International astronautical federation =
الرابطة الفلكية الدولية

3450 - IAU =
International astronautical union =
الاتحاد الفلكي الدولي

3451 - IASS =
International association for shell structures =
الجمعية الدولية للمنشآت القشرية

3452 - IAPC =
International association for pollution control =
الجمعية الدولية للسيطرة على التلوث

3453 - IAMAP =
International association of meteorology and atmospheric physics =
الجمعية الدولية للأرصاد الجوية والفيزياء الجوية

3454 - IAMG =
International association for mathematical geology =
الجمعية الدولية للجيولوجيا الرياضية

3455 - IAGA =
International association for geomagnetism and aeronomy =
الجمعية الدولية للمغنطيسية الأرضية

3456 - IAHR =
International association for hydraulic research =
الجمعية الدولية للبحوث الهيدروليكية

3457 - IAAPA =
International association of amusement parks and attractions =
الاتحاد الدولي لحدائق وأماكن اللهو

3458 - IAA =
International advertising association =
جمعية النشر الدولية

3459 - IANC =
national airline navigators council =
مجلس ملاحي الخطوط الجوية الدولية

3460 IAPC =
International association for pollution control =
الجمعية الدولية للسيطرة على التلوث

3461 - IAAER =
International association for the advancement of educational research =
الجمعية الدولية لتطوير البحوث التربوية

3462 - IABG =
International association of botanic gardens =
الاتحاد الدولي للحدائق النباتي

3463 - IAWPR =
International association of water pollution research =
جمعية بحوث تلوث المياه الدولية

3464 - IBE =
International bureau of education =
مكتب التعليم الدولي

3465 - IB =
International baccalaureate =
الباكالوريا الدولية

3466 - IBRD =
International bank for reconstruction and development =
البنك الدولي لاعادة البناء والتنمية

3467 - IBA =
International bauxite association =
جمعية البوكسيت الدولية

3468 - IBEW =
International brother hood of electrical workers =
النقابة الدولية للعمال الكهربائيين

3469 - ICC =
Interstate commerce commission =
اللجنة التجارية بين الولايات

3470 - ICC =
International chamber of commerce =
غرفة التجارة الدولية

3471 - ICA =
International cooperation alliance =
الاتحاد التعاوني الدولي

3472 - ICC =
International control commission =

لجنة السيطرة الدولية

3473 - ICAC =
International cotton advisory committee =

لجنة القطن الاستشارية الدولية

3474 - ICSU =
International council of scientific union =

مجلس الاتحاد العلمي الدولي

3475 - ICSUAB =
International council of scientific unions abstracting board =

المجلس الدولي لاتحادات العلوم النظرية

3476 - ICA =
International cartographic association =

جمعية رسم الخرائط الدولية

3477- ICOMOS =
International council on monuments and sites =

المجلس الدولي للنُصُب والمواقع

3478 - ICDC =
Industrial cooperation among the developing countries =

التعاون الصناعي بين الدول النامية

3479 - ICIT =
Information center on industrial technology =

مركز المعلومات حول التكنولوجيا الصناعية

3480 - ICED =
International council for educational development =

المجلس الدولي لتطوير التعليم

3481 - ICOM =
International council of museums =

مجلس المتاحف الدولي

3482 - ICHE =
International council of higher education =

مجلس التعليم العالي الدولي

3483 - ICRP =
International commission on radiological protection =

اللجنة الدولية للحماية من الاشعاع

3484 - ICF =
International congress on fracture =

المؤتمر الدولي حول الصدع

3485 - ICES =
International council for the exploration of the sea =

المجلس الدولي لاستكشاف البحر

3486 - ICHC =
International committee for histochemistry and cytochemistry =

اللجنة الدولية لكيمياء الأنسجة وكيمياء الخلايا الحيّة

3487 - ICC =
International cooperation council =
مجلس التعاون الدولي

3488 - ICI =
Inter- American cooperative institute =
المعهد التعاوني الأمريكي

3489 - ICET =
Institute for the certification of engineering technicians

3490 - ICED =
Interprofessional council on environmental design =
المجلس المهنّي حول التصميم البيئي

3491 - ICRU =
International commission on radiation units and measurement =
اللجنة الدولية حول وحدات وقياس الاشعاع

3492 - ICAS =
International council of the aeronautical sciences =
مجلس علوم الطيران الدولي

3493 ICC =
International coordinating committee =
لجنة التنسيق الدولية

3494 - ICAN =
International college of applied nutrition =
كلية التغذية التطبيقية الدولية

3495 - IDEAS =
Institutional development and economic affairs service

3496 - IDS =
International development services =
خدمات التنمية الدولية

3497 - IDDRG =
International deep drawing research group =
المجموعة الدولية لبحوث التشكيل بالسّحب

3498 - IDRC =
International development research centre =
المركز الدولي للبحوث التنموية

3499 - IDB =
Inter-American development bank =
بنك التنمية الأمريكي

3500 - IDRC =
International development research council =
المجلس الدولي للبحوث التنموية

3501 - IDB =
Islamic development bank =
بنك التنمية الاسلامي

3502 - IDO =
International disarmament organization =
منظمة نزع السلاح الدولية

3503 - IDA =
International development association =
لجنة التنمية الدولية

3504 - IES =
Institute of environmental sciences =
معهد العلوم البيئية

3505 - IEPC =
International energy promotion company =
شركة تعزيزالطاقة الدولية

3506 - IEA =
Institute of economic affairs =
معهد الشؤون الاقتصادية .

3507 - IEA =
International association achievement =
الاتحاد الدولي لتقييم الانجاز التعليمي

3508 - IEPA =
International economic policy association =
جمعية السياسة الاقتصادية الدولية

3509 - IEEE =
Institute of electrical and electronics engineers =
معهد المهندسين الكهربائيين والالكترونيين

3510 - IERI =
Illuminating engineering research institute =
معهد بحوث هندسة الاضاءة

3511 - IES =
Illuminating engineering society =
جمعية هندسة الاضاءة

3512 - IESI =
International economic studies institute =
معهد الدراسات الاقتصادية الدولي

3513 - IFSEM =
International federation of societies for electron microscopy =
الرابطة الدولية لجمعيات المجهر الالكتروني

3514 - IFS =
International film seminars =
الحلقات الدراسية الدولية المصورة فيلميا

3515 - IFIP =
International federation for information processing =
الرابطة الدولية لاعداد المعلومات

3516 - IFT =
Institute of food technologists =
معهد تكنولوجيي الغذاء

3517 - IFHP =
International federation for housing and planning =
الرابطة الدولية للاسكان والتخطيط

3518 - IFLA =
International federation of library associations =
رابطة الجمعيات المكتبية الدولية

3519 - IFORS =
International federation of operational research societies =
رابطة جمعيات بحوث التشغيل الدولية

3520 - IFST =
Institute of food science and technology of the United Kingdom =
معهد المملكة المتحدة لبحوث وتكنولوجيا الغذاء

3521 IFGB =
Institute of foresters of Great Britain
معهد بريطانيا العظمى للمهتمين بالغابات

3522 - IFC =
International finance corporation =
مؤسسة التمويل الدولية

3523 - IFAD =
International fund for agricultural development =
الصندوق الدولي للتنمية الزراعية

3524 - IGMCO =
Inter - government maritime consultative organization =
المنظمة البحرية الاستشارية ما بين الحكومات

3525 - IGT =
Institute of gas technology =
معهد تكنولوجيا الغاز

3526 - IGI =
Industrial graphics international =
التخطيط الصناعي الدولي

3527 - IGS =
International glaciological society =
جمعية العلوم الجليدية الدولية

3528 - IGU =
International geographical union =
الاتحاد الجغرافي الدولي

3529 - IGAEA =
International graphic arts education society =
جمعية تعليم الفنون الجميلة الدولية

3530 - IGAS =
International graphic arts society =
جمعية الفنون الجميلة الدولية

3531 - IGAS =
International graphic analysis society

3532 - IHO =
International hydrographic organization =
منظمة الرسم المائي الدولية

3533 - IIAR =
International institute of ammonia refrigeration =
معهد التبريد بالامونيا الدولي

3534 - IIEC =
Inter-industry emission control program =
برنامج السيطرة على الاصدارات الصناعية الدولي

3535 - IISS =
International institute for strategic studies =
المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية

3536 - IIEP =
International institute for educational planning =
المعهد الدولي للتخطيط التعليمي

3537 - IIIT =
International institute of instructional technology =
معهد تكنولوجيا التدريب الدوليّ

3538 - IIASA =
International institute for applied systems analysis =
المعهد الدولي لتحليل النظم التطبيقية

3539 - IJC =
International joint commission =
اللجنة المشتركة الدولية

3540 - ILC =
International labour organization =
منظمة العمل الدولية

3541 - ILC =
International language centers =
مراكز اللغة الدولية

3542 - ILZSG =
International lead and zinc study group =
مجموعة دراسة الرصاص والزنك الدولية

3543 - ILZRO =
International lead and zinc research organization =
منظمة بحوث الرصاص والزنك الدولية

3544 - ILC =
International law commission =
لجنة القانون الدولية

3545 - ILA =
International longshoremens association =
اتحاد مفرّغي السفن الدولي

3546 - ILWU =
International longshoremens and warehousemens union =
اتحاد خازني ومفرّغي السفن الدولي

3547 - ILC =
International labelling centre =
مركز العناوين الدولي

3548 - ILA =
Indian library association =
جمعية المكتبات الهندية

3549 - IMS =
Industrial mathematics society =
جمعية الرياضيات الصناعية

3550 - IMS =
Institute of mathematical statistics =
معهد الاحصاءات الرياضية

3551 - IMA =
International mineralogical association =
جمعية علم المعادن الدولية

3552 - IMPI =
International microwave power institute =
معهد قدرة الأمواج الدقيقة الدولي

3553 - IMMS =
International material management society =
جمعية تنظيم المواد الدولية

3554 - IMACS =
International association for mathematics and computer in simulation =
الجمعية الدولية للرياضيات والحاسبة الالكترونية

3555 - IMA =
International military archives =
دائرة المحفوظات العسكرية الدولية

3556 - IMF =
International monetary fund =
صندوق النقد الدولي

3557 - IMO =
International marine organization =
المنظمة البحرية الدولية

3558 - IMS =
Institute of man and science =
معهد الانسان والعلم

3559 - IMU =
International mathematical union =
الاتحاد الرياضي الدولي

3560 - IMA =
Institute of mathematics and its applications =
معهد الرياضيات وتطبيقاتها

3561 - IMH =
Institute of materials handling =
معهد تعبئة المواد

3562 - IMLS =
Institute of medical laboratory sciences =
معهد علوم المختبرات الطبية

3563 - INTECOM =
International council for technical communication =
المجلس الدولي للاتصالات التقنية

3564 - INTELSALT =
International telecommunications satellite consortium =
هيئة المواصلات عبر الأقمار الدولية

3565 - INQUA =
International union for quaternary research =
الاتحاد الدولي للبحوث الرباعية

3566 - INLE =
Instituto nacional del libero Espanol

3567 - INGRAF =
Institutt for grafisk for skning

3568 - INC =
International numismatic commission =
لجنة العُمْلات الدولية

3569 - INTECOL =
International association for ecology =
اللجنة الدولية للبيئة

3570 - INCRA =
International copper research association =
لجنة بحوث النحاس الدولية

3571 - INTAMEL =
International association of metropolitan city libraries =
الاتحاد الدولي لمكتبات المدن الحاضِريّة

3572 - INMM =
Institute of nuclear materials management =
معهد إدارة المواد النووية

3573 - ION =
Institute of navigation =
معهد الملاحة

3574 - IOCS =
International organization of consumers unions =
المنظمة الدولية لاتحادات المستهلكين

3575 - IOF =
International oceanographic foundation =
مؤسسة جغرافية المحيطات الدولية

3576 - IOA =
Institute of outdoor advertising =
معهد النشر الخارجي

3577 - IOTC =
Iraqi oil tanker company =

شركة ناقلات الزيت العراقية

3578 - IOOL =
International optometric and optical league =

لجنة البصّريات والمقياس البصري الدولية

3579 - IPA =
International phonetic association =

اللجنة الصوتية الدولية

3580 - IPE =
International petroleum exchange =

تبادل البترول الدولي

3581 - IPL =
Image processing laboratory =

مختبر إعداد الصور

3582 - IPS =
International phenomenological society =

جمعية علم الظواهر الطبيعية الدولية

3583 - IPA =
International palaeontological association =

جمعية علم الحفريات القديمة الدولية

3584 - IPC =
Institute of paper chemistry =

معهد كيمياء الورق

3585 - IPCEA =
Insulated power cable engineering association =

جمعية هندسة كَبل القدرة المعزول

3586 - IPRA =
International public relations organization =

منظمة العلاقات العامة الدولية

3587 - IPWA =
Invisible panel warming association =

جمعية تسخين اللوح غير المنظور

3588 - IRI =
Industrial research institute =

معهد البحوث الصناعية

3589 - IRRA =
Industrial development research council =

مجلس بحوث التنمية الصناعية

3590 - IRS =
International revenue service =

مصلحة الدخل الدولية

3591 - IRA =
International reading association --

جمعية القراءة الدولية

3592 - IRRDB =
International rubber research and development board =
مجلس بحوث وتطوير المطاط الدولي

3593 - IRSG =
International rubber study group =
مجموعة دراسة المطاط الدولية

3594 - ISAGA =
International simulation and gaming association

3595 - ISA =
International schools association =
اتحاد المدارس الدولي

3596 - ISTA =
International seed testing association =
جمعية فحص البذور الدولية

3597 - ISTVS =
International society for terrain-vehicle systems =
الجمعية الدولية لنظم التضاريس الأرضية — المركبة

3598 - ISO =
International sugar organization =
منظمة السكر الدولي

3599 - ISF =
International society for fat research =
الجمعية الدولية لبحوث الدُهْن

3600 - ISSMFE =
International society for soil mechanics and foundation engineering =
الجمعية الدولية لميكانيك التربة وهندسة الاسس

3601 - ISRRT =
International society of radiographers and radiological technicians =
جمعية مصوري الأشعة وخبراء الطب الاشعاعي الدولية

3602 - ISRM =
International society for rock mechanics =
الجمعية الدولية لميكانيك الصخور

3603 - ISES =
International solar energy society of Australian and New Zealand =
جمعية الطاقة الشمسية الدولية لاستراليا ونيوزلندا

3604 - ISE =
International society for electrochemistry =
الجمعية الدولية للكيمياء الكهربائية

3605 - ISA =
International seeweed association

3606 - ISHS =
International society for horticultural science =
الجمعية الدولية لعلم البستنة

3607 - ISB =
International society of biometeorology

3608 - ISI =
International statistical institute =
المعهد الاحصائي الدولي

3609 - ISN =
International society for neurochemistry =
الجمعية الدولية للكيمياء العصبية

3610 - ISP =
International society for photogrammetry =
الجمعية الدولية للتصوير المساحي

3611 - ISMH =
International society for medical hydrology =
الجمعية الدولية للهيدرولوجيا الطبية

3612 - ISSS =
International society for soil science =
الجمعية الدولية لعلوم التربة

3613 - ISCC =
Inter-society color council =
الجمعية الدولية لمجلس الألوان

3614 - ISES =
International society of explosives specialists =
الجمعية الدولية لخبراء المتفجرات

3615 - ISM =
International society for mine surveying =
الجمعية الدولية لمسح المناجم

3616 - ISPRS =
International society for photogrammetry and remote sensing =
الجمعية الدولية للتصوير المساحي والاستشعار عن بعد

3617 - ISOT =
International school of technology =
مدرسة التكنولوجيا الدولية

3618 - ISBE =
International association for business education =
الجمعية الدولية لتعليم إدارة الأعمال

3619 - ISEP =
International society for educational planners =
الجمعية الدولية لمخططي التعليم

3620 - ISCLT =
International society of clinical laboratory technology =
الجمعية الدولية لتكنولوجيا المختبرات الطبية

3621 - ISSCT =
International society of sugar cane technologists =
الجمعية الدولية لتقنيي سكر القصب

3622 - ISA =
International studies association =
اتحاد الدراسات الدولي

3623 - ISAW =
International society of aviation writers =
الجمعية الدولية لكتّاب الطيران

3624 - ISA =
Instrument society of America =
الجمعية الأمريكية لأجهزة القياس

3625 - ISCD =
International society for community development =
الجمعية الدولية للتنمية الاجتماعية

3626 - ISFADPM =
International society for the abolition of data processing mechanism =
الجمعية الدولية لألفاء مكننة إعداد المعلومات

3627 - ISTC =
The institute of scientific and technical communicators =
معهد المختصين بالاتصالات العلمية والفنية

3628 - ISI =
Iron and steel institute =
معهد الحديد والفولاذ

3629 - IST =
Institute of science technology =
معهد التكنولوجيا العلمية

3630 - ITC =
Institute of textile chemistry =
معهد كيمياء النسيج

3631 - ITA =
International touring alliance =
اتحاد السياحة الدولي

3632 - ITU =
International telecommunication union =
الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية

3633 - ITTC =
International towing tank conference =
مؤتمر أحواض السحب الدولي

3634 - ITDG =
Intermediate technology development group =
مجموعة تطوير التكنولوجيا الوسيطة

3635 - ITSCS =
International trade support computer system

3636 - ITE =
Institute of traffic engineering =
معهد هندسة المرور

3637 - ITC =
International tin council =
مجلس القصدير الدولي

3638 - ITFS =
Instructional television fixed services

3639 - ITB =
Industrial training board =

مجلس التدريب الصناعي

3640 - ITED =
Iowa tests of educational development =

فحوصات أياوا للتطوير التعليمي

3641 - IUBS =
International union of biological sciences =

اتحاد العلوم البيولوجية الدولي

3642 - IUC =
International union of crytallography =

اتحاد علم البلّوريّات الدولي

3643 - IUS =
International union of students =

اتحاد الطلبة الدولي

3644 - IUC =
Inter-university council for higher education overseas =
مجلس الجامعات الدولي للتعليم العالي عبر البحار

3645-- IUPAB =
International union of pure and applied biophysics =
الاتحاد الدولي لعلم الفيزياء الحياتية الصرفة والتطبيقية

3646 - IUFRO =
International union of foresting research organizations. =
الاتحاد الدولي لمنظمات بحوث الغابات

3647 - IUTAM =
International union of theoretical and applied mechanics =
الاتحاد الدولي للميكانيكا النظرية والتطبيقية

3648 - IUGG =
International union of geodesy and geophysics =
الاتحاد الدولي لعلم المساحة التطبيقية وعلم الفيزياء الارضية

3649 - IUPAP =
International union of pure and applied physics =
الاتحاد الدولي للفيزياء الصرفة والتطبيقية

3650 - IUGS =
International union of geological science =

الاتحاد الدولي لعلم الجيولوجيا

3651 - IUCAF =
Inter - union commission on allocation of frequency for radio astronomy and space science =
لجنة الاتحاد الدولي لتحديد التردد لعلم الفلك الاشعاعي وعلم الفضاء

3652 - IVP =
venezuelan petrochemical institute =

المعهد البتروكيميائي الفنزويلي

3653 - IWSc =
Institute of wood science =

معهد علم الأخشاب

3654 - IWPC =
The institute of water pollution control =
معهد السيطرة على تلوث المياه

3655 - IWG =
International writers guild =
نقابة الكتّاب الدولية

3656 - IWSG =
International wool study group =
مجموعة دراسة الصوف الدولية

3657 - IWSOM =
Institute of practitioners in work study organization and methods =
معهد أصحاب المهن لمنظمة وطرق دراسة العمل

3658 - IWSP =
Institute of work study practitioners =
معهد أصحاب المهن لدراسة العمل

3659 - IWCA =
International world calendar association =
جمعية التقويم العالمي الدولي

3660 - IWI =
Inventors workshope international

3661 - JAOSCO =
Japan Australia oil shale corp =
شركة الصخر الزيتي الاسترالي الياباني

3662 - JCCME =
Japan cooperation centre for the middle east =
مركز التعاون الياباني للشرق الأوسط

3663 - JETRO =
Japan external trade organization =
منظمة التجارة الخارجية اليابانية

3664 - JICA =
Japan international cooperation agency =
وكالة التعاون الدولي اليابانية

3665 - JIIC =
Jordan industrial investment company =
شركة الاستثمارات الصناعية الأردنية

3666 - JODCO =
Japanese development company =
شركة التنمية اليابانية

3667 - JORC =
Jeddah oil refining company =
شركة مصفى زيت جدة

3668 - JTAC =
Joint technical advisory council =
المجلس الاستشاري الفني المتحد

3669 - KFAED =
Kuwait fund for Arab economic development = الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية

3670 - KIO =
Kuwait investment office = مكتب الاستثمارات الكويتي

3671 - KISR =
Kuwait institute for scientific research = المعهد الكويتي للبحث العلمي

3672 - KNPC =
Kuwait national petroleum company = شركة البترول الوطنية الكويتية

3673 - KPPC =
Kuwait petrochemical production company = شركة الانتاج البتروكيميائي الكويتي

3674 - KPC =
Kuwait petroleum corporation = شركة البترول الكويتية

3675 - KUEPEC =
Kuwait foreign petroleum exploration company = شركة استخراج البترول الخارجية الكويتية

3676 - KWU =
Kraftuwerk union

3677 - LARS =
Laboratory for applications of remote sensing = مختبر تطبيقات الاستشعار عن بعد

3678 - LAFTA =
Latin American free trade association = جمعية التجارة الحرة لأقطار أمريكا اللاتينية

3679 - LCP =
Legislative council for photogrammetry = المجلس التشريعي للتصوير المساحي الضوئي

3680 - LEGAL =
League for equitable general aviation legislation

3681 - LGSC =
Liquefied gas shipping company = شركة شحن الغاز المسال

3682 - LIFE =
League for international food education = منظمة التعليم الغذائي الدولية

3683 - LII =
Land information institute = معهد المعلومات الأرضية

3684 - LUBREF =
Lubricating oil refining company = شركة مصفى زيت التزليق

3685 - MAA =
Mathematical association of America

الجمعية الأمريكية للرياضيات

3686 - MATA =
Museums association of tropical Africa =

اتحاد متاحف إفريقيا الاستوائية

3687 - MA =
Metric association =

الجمعية المترية

3688 - MBA =
Master of business administration =

ماجستير إدارة الأعمال

3689 - MCC =
Map collectors circle

3690 - MEI =
Middle east institute =

معهد الشرق الأوسط

3691 - MERIP =
Middle east research and information project =

بحوث ومشروع معلومات الشرق الأوسط

3692 - MESA =
Middle east studies association of North America =

جمعية أمريكا الشمالية لدراسات الشرق الأوسط

3693 - MEE =
Magyar elektrotechnikai egyesulet

3694 - MEAT =
Minnesota engineering analogies test

3695 - MPC =
Mosul petroleum company =

شركة بترول الموصل

3696 - MS =
Meteoritical society =

الجمعية النيزكية

3697 - MSA =
Mineralogical society of America =

الجمعية الأمريكية لعلم المعادن

3698 - MSc =
Master of science =

ماجستير علوم

3699 - MT =
Master of teaching =

ماجستير تعليم

3700 - MTS =
Marine technology society =

الجمعية التكنولوجية البحريّة

3701 - MTRB =
Maritime transportation research board =
مجلس بحوث النقل البحري

3702 - MTM =
Methods time measurement association for standards and research =
جمعية طرق قياس الزمن للمعايير والبحوث

3703 - NAS =
National academy of sciences =
أكاديمية العلوم الوطنية

3704 - NAE =
National academy of engineering =
أكاديمية الهندسة الوطنية

3705 - NAPE =
National association of power engineering =
جمعية هندسة الطاقة الوطنية

3706 - NACE =
National association of county engineers =
الاتحاد القومي لمهندسي الأقاليم

3707 - NACE =
National association of corrosion engineers =
اتحاد مهندسي التآكل الوطني

3708 - NACC =
National air conservation commission

3709 - NAA =
National aeronautic association =
اتحاد الطيران القومي

3710 - NAC =
National aero club =
نادي الطيران القومي

3711 - NASW =
National association of science writers =
لجنة الكتّاب العلميين الوطنية

3712 - NATAS =
National American thermal analysis society =
جمعية التحليل الحراري الأمريكية القومية

3713 - NASSA =
National aerospace services association =
لجنة الخدمات الفضائية القومية

3714 - NACA =
National air carrier association =
اتحاد الناقلات الجوية القومي

3715 - NATA =
National association of testing authorities =
اتحاد مؤسسات الفحص الوطنية الأسترالية

3716 - NAG =
Netherlands aerospace group =
المجموعة الفضائية الهولندية

3717 - NAAA =
National association of Arab Americans =
اتحاد الأمريكيين العرب القومي

3718 - NAOC =
Nigerian agip oil company

3719 - NAMTCO =
National automotive manufacturing company =
شركة صناعة السيارات الوطنية الكويتية

3720 - NASC =
National aeronautics and space council =
مجلس الطيران والفضاء القومي

3721 - NAAB =
National architectural accrediting board =
مجلس الاجازة المعمارية الوطني

3722 - NAB =
National association of bioengineers =
اتحاد المهندسين البيولوجيين الوطني

3723 - NBK =
National bank of kuwait =
بنك الكويت الوطني

3724 - NBAA =
National business aircraft association =
اتحاد الطائرات التجارية الوطني

3725 - NCEE =
National council of engineering examinars =
مجلس ممتحني الهندسة الوطني

3726 - NCRP =
National council on radiation protection and measurements =
المجلس القومي لحماية وقياسات الاشعاع

3727 - NCAR =
National conference on the administration of research =
المؤتمر القومي لادارة البحوث

3728 - NCSL =
National conference of standards laboratories =
مؤتمر مختبرات المقاييس الوطني

3729 - NCWM =
National conference on weight and measures =
المؤتمر الوطني للوزن والقياسات

3730 - NCNA =
National council on noise abatement =
المجلس الوطني للحدّ من الضوضاء

3731 - NCAT =
National center for audio tape =
المركز الوطني للأشرطة السمعية

3732 - NCAVAE =
National committee for audio - visual aids in education
اللجنة البريطانية للمعينات السمعية والمرئية في التعليم

3733 - NCEA =
National council for educational awards =
المجلس الايرلندي للمنح التعليمية

3734 - NCAE =
National center for audio experimentation =
المركز الوطني للاختبارات السمعية

3735 - NCS =
Numerical control society =
جمعية السيطرة الرقمية

3736 - NCFES =
North central forest experimental station =
محطة تجارب الغابات المركزية الشمالية

3737 - NDC =
National drilling company =
شركة الحفر الوطنية

3738 - NESCA =
National environmental systems contractors association =
اتحاد متعهدي النظم البيئية الوطني

3739 - NECCTA =
National educational closed - circuit association

3740 - NEC =
National extension college =
كلية الدراسة الاضافية الوطنية

3741 - NEC =
National electronic conference =
المؤتمر الالكتروني الوطني

3742 - NEDA =
National environmental development association =
اتحاد التنمية البيئية الوطني

3743 - NERC =
Natural environment research council =
مجلس بحوث البيئة الطبيعية البريطاني

3744 - NEA =
National education association =
اتحاد التعليم القومي

3745 - NESS =
National environmental satellite service

3746 - NEP =
National energy program =
برنامج الطاقة القومي

3747 - NEST =
Beirut's near east school of technology =
مدرسة بيروت التكنولوجية الشرقية

3748 - NFEC =
National for environmental control =
المؤسسة الوطنية للسيطرة البيئية

3749 - NFER =
National foundation for educational research =
المؤسسة البريطانية للبحوث التربوية

3750 - NFSA =
National fertilizer solutions association =
جمعية محاليل الأسمدة الوطنية

3751 - NFBC =
National film of Canada =
الفيلم الكندي الوطني

3752 - NGS =
National geographic society =
الجمعية الجغرافية القومية

3753 - NGF =
Norsk geoteknisk forening

3754 - NHTSA =
National highway traffic safety administration =
إدارة سلامة مرور الطرق الخارجية القومية

3755 - NIAE =
National institute for architectural education =
المعهد الوطني لتعليم الهندسة المعمارية

3756 - NICE =
National institute of ceramic engineers =
معهد مهندسي السيراميك الوطني

3757 - NIVR =
Netherlands agency for aerospace programs =
الوكالة الهولندية لبرامج الفضاء

3758 - NIDOC =
National information and documentation centre =
مركز التوثيق والمعلومات الوطني المصري

3759 - NIIP =
National institute of industrial psychology =
معهد علم النفس الصناعي البريطاني

3760 - NICAP =
National investigations committee on aerial phenomena =
لجنة التحقيقات الوطنية للظواهر الجوية

3761 - NIH =
National institutes of health =
معاهد الصحة القومية

3762 - NMAB =
National materials discovery board =
مجلس اكتشاف المواد القومي

3763 - NMS =
National marine services =
الخدمات البحرية القومية

3764 - NNPS =
Nigerian national petroleum corporation =
شركة البترول الوطنية النيجيرية

3765 - NNOC =
Nigerian national oil corporation =
شركة الزيت الوطنية النيجيرية

3766 - NOREC =
Northern environmental council =
المجلس البيئي الشمالي

3767 - NOIA =
National ocean industries association =
اتحاد مصانع المحيطات الوطني

3768 - NOC =
National oil company =
شركة الزيت الوطنية الأندنوسية

3769 - NORAD =
Norwegian agency of international development =
وكالة التنمية الدولية النرويجية

3770 - NPA =
National pilots association =
اتحاد المرشدين الوطني

3771 - NPRA =
National petroleum refiners association =
اتحاد مصافي النفط الوطني

3772 - NPC =
National petrochemical company =
الشركة البتروكيميائية الوطنية

3773 - NPP =
Abu Dhabi national plastic fabrication =
صناعة أبو ظبي للدائن الوطنية

3774 - NRDC =
Natural resources defence council =
مجلس الدفاع عن المصادر الطبيعية

3775 - NRC =
National referral center =
مركز المراجعات الوطني

3776 - NRESA =
National rural and environmental studies association =
جمعية الدراسات البيئية والريفية البريطانية

3777 - NRCL =
Natural resources conservation league =
منظمة صيانة المصادر الطبيعية الأسترالية

3778 - NRAC =
New zealand national research advisory council =
المجلس الاستشاري البحثي الوطني النيوزلندي

3779 - NSPS =
National society of professional surveyors =
الجمعية الوطنية للمسّاحين المحترفين

3780 - NSPE =
National society of professional engineers =
الجمعية الوطنية للمهندسين المحترفين

3781 - NSTIC =
National scientific and technical information centre =
مركز المعلومات العلمية والتقنية القومي

3782 - NSA =
National student association =
اتحاد الطلبة الوطني

3783 - NSCA =
National society of clean air =
جمعية الهواء النقي البريطانية

3784 - NSEI =
Norsk selskap for elektronisk informasjonsbe handling

3785 - NSC =
National space club =
نادي الفضاء القومي

3786 - NSA =
National shellfisheries association =
اتحاد صيادي المَحار الوطني

3787 - NSF =
National science foundation =
المؤسسة العلمية القومية

3788 - NTA =
National technical association =
الاتحاد التقني القومي

3789 - NTSA =
National technical services association =
اتحاد الخدمات التقنية القومي

3790 - NUS =
National union of students =
اتحاد الطلبة البريطاني

3791 - NUT =
National union of teachers =
اتحاد المعلمين البريطاني

3792 - NWS =
National weather service =
مصلحة الجو الوطنية

3793 - NZAEC =
New Zealand atomic energy committee =
لجنة الطاقة الذرية النيوزلندية

3794 - NZIAS =
New Zealand institute of agricultural sciences =
معهد العلوم الزراعية النيوزلندية

3795 - NZIFST =
New Zealand institute of food science and technology =
معهد علوم وتكنولوجيا الغذاء النيوزلندي

3796 - NZIIA =
New Zealand institute of international affairs =
معهدالشؤون الدولية النيوزلندي

3797 - OAS =
Organization of Arab students =
منظمة الطلبة العرب

3798 - ODA =
Official development assistance =
المساعدة التنموية الرسمية

3799 - ODA =
Overseas development agency =
وكالة التنمية عبر البحار

3800 - OECD =
Organization for economic cooperation development =
منظمة تنمية التعاون الاقتصادي

3801 - OEO =
Office of economic opportunity =
مكتب المساعدة الاقتصادية الوقتية

3802 - OERS =
Organization of Senegal river states =
منظمة دول نهر السنغال

3803 - OECA =
Ontario educational communications authority
3804 - OFAD =
Ocean floor analysis division =
قسم تحليل سطح المحيط

3805 - OFCC =
Office of federal contract compliance
3806 - OFF =
Overseas education fund =
صندوق التعليم عبر البحار

3807 - OGDC =
Oil and gas development corporation =
شركة تطوير الغاز والزيت

3808 - OLADE =
Latin American organization of energy =
منظمة الطاقة لأمريكا اللاتينية

3809 - ONC =
Ordinary national certificate =
الشهادة الوطنية الاعتيادية البريطانية

3810 - OND =
Ordinary national diploma =
الدبلوم الوطني الاعتيادي البريطاني

3811 - ONGC =
Oil and natural gas commissions =
لجنتا الغاز الطبيعي والزيت

3812 - ORAU =
Oak ridge association universities

3813 - ORSA =
Operations research society of America =
الجمعية الأمريكية لبحوث العمليات

3814 - OSAS =
Overseas service aid scheme =
مشروع المساعدات عبر البحار البريطانية

3815 - OTS =
Organization for tropical studies =
منظمة الدراسات الاستوائية

3816 - OTI =
Overseas training institute =
معهد التدريب عبر البحار

3817 - PAFCO =
Pakistan - Arab fertilizers company =
شركة الأسمدة العربية الباكستانية

3818 - PAA =
Population association of America =
الاتحاد الأمريكي للسكان

3819 - PCA =
Presidency of civil aviation =
رئاسة الطيران المدني

3820 - PCIAC =
Petrol Canada international assistance corporation =
شركة المساعدة البترولية الدولية الكندية

3821 - PDTC =
Petroleum development of trucial coast limited

3822 - PDO =
Petroleum development Oman company =
شركة عمان لتطوير البترول

3823 - PES =
Paid educational service scheme =
برنامج الخدمات التعليمية المدفوعة

3824 - PEMEX =
Company - petroleos Mexicanos =

الشركة المكسيكية للبترول

3825 - PETROMIN =
General petroleum and mineral organization =

منظمة البترول والمعادن العامة السعودية

3826 - PIA =
Pilots international association =

الاتحاد الدولي للمرشدين

3827 - PIC =
Photographic industry council =

مجلس المصانع الفوتوغرافية

3828 - PIC =
Petroleum investment company =

شركة استثمار البترول

3829 - PLO =
Palestine liberation organization =

منظمة التحرير الفلسطينية

3830 - PLACE =
Latin American program for energy cooperation =

برنامج أمريكا اللاتينية للتعاون في مجال الطاقة

3831 - PMC =
Petroleum mining company =

شركة مناجم البترول

3832 - PPT =
Petroleum authority of Thailand =

المؤسسة التايلندية للبترول

3833 - PRINC =
Petroleum industry research foundation =

مؤسسة بحوث الصناعات النفطية

3834 - PRS =
Pattern recognition society

3835 - PPS =
Paper publications society =

جمعية مطبوعات الصحف

3836 - PRR =
Riyadh refinery =

مصفّى الرياض النفطي

3837 - PS =
Palm society =

جمعية النخيل

3838 - PSC =
Production - sharing contract

3839 - PSO =
Ports and shipping organization =

منظمة الموانىء والشحن

3840 - PSA =
Philosophy of science association

3841 - PSNA =
Phytochemical society of North America =
جمعية الكيمياء النباتية لشمال أمريكا

3842 - PTS =
Professional training systems =
نظم التدريب المهنية

3843 - QGPC =
Qatar general petroleum corporation =
شركة البترول العامة القطرية

3844 - QNNTC =
Qatari owned national navigation and transport company =
شركة الملاحة والنقل الوطنية القطرية

3845 - QOC =
Qatar offshore maintenance and construction =
تشييد وصيانة الشواطىء القطرية

(يتبع)

* * *

دراسة للمصطلحات الأساسية
في فن العمارة
مستمدة من كتب التراث

(عربي — فرنسي — انجليزي)

الدكتور عبد القادر الريحاوي
جامعة الملك عبد العزيز — كلية الهندسة
قسم العمارة

الرموز المستعملة في لائحة المصطلحات :

تضمنت اللائحة حقلا للمصطلح المقترح، وآخر للمرادفات، وهي إما قديمة من كتب التراث، أو معروفة محليا من بلد عربي أو أكثر. ولم يكن بالامكان أن أذكر مع المصطلح التراثي اسم الكتاب وعصر المؤلف، كما هو مدون لدي في البطاقة الخاصة بهذا المصطلح، بل اكتفيت بالاشارة إليها جميعا بحرف (ق).

وفيما يلي الرموز المستعملة إلى جانب المصطلحات :

قك	: قرآن كريم
ق	: قديم، أي من كتب التراث
م	: مصر (مراجع مصرية)
س	: سورية
ع	: عراق
مغ	: مغرب
ت	: تونس
سع	: السعودية
ي	: اليمن
ك	: الكويت
مع	: معرب
عم	: عامي
ج	: المجمع

المصطلح العربي	الشرح	المرادفات	المصطلح الفرنسي	المصطلح الانجليزي
حرف الألف 1 آجر (ق)	قطع الطين المشوية بالفرن المستخدمة في أعمال البناء	طوب مشوي (م) طابوق (ع)	Brique Cuit	Burned Brick, Baked Brick, Fired Brick
2 تشكيلات الآجر	تدميك الآجر بطريقة زخرفية			Brick Work
3 أرضية	السطح الكائن تحت مستوى سطح آخر يتقدمه، ولاسيما في العناصر الزخرفية والكتابات البارزة.	خلفية	Fond	Background
4 أسطواني مخروطي	الشكل الاسطواني الذي يتناقص قطره تدريجيا كما في بعض أبراج المآذن وغيرها. شبيهة في ذلك بجذع النخلة.	نخيلي		Tapering
5 إفريز (مع)	قطاع أفقي في أعلى الجدار مخصص لأغراض زخرفية.	سجف (ق) شريط زخرفي طنف	Frize	Frieze
6 إيوان	وحدة معمارية على شكل غرفة لها ثلاثة جدران، مفتوحة على الفناء.	ليوان (س)	Iwan	Iwan
7 إيوان (البوابة)	قنطرة عميقة تتقدم أبواب المباني افخامة تشبه الايوان.		Porche	Porch
حرف الباء 8 بارزة	حجر أو عنصر يبرز عن الجدار بغرض حمل عنصر تسقيف أو غيره	كابولي (م)	Corbeau	Corbel
9 بوارز متراكبة	بوارز متعددة تستند فوق بعضها وتبرز العليا أكثر من السفلى.		Encorbellement	Corbelling

10 باب انزلاقي	باب من الحديد يغلق شاقوليا منزلقا بين قناتين في طرفي الباب يستخدم في الحصون.	زلاقة مزلقان	Herse	Portcullis
11 بركة (ق)	حوض مبني على أشكال مختلفة ملئه بالماء	حوض (ق) بحرة (عم)	Bassin	Pool, Pond, Tank
12 بطانة (ق)	مايبطن السطح الداخلي للبناء كباطن العقد أو الساكف أو القبة		Soffite	Soffit
13 بلاط (ق)	الأرضيات المرصوفة بالحجر		Dallage	Pavement
14 بلاطة (ق)	المكان المحصور بين صفين من القناطر، وتطلق بشكل خاص على الكنائس وقاعات الصلاة المخططة على أساس صفوف القناطر	اسكوب (م) رواق (ق) بلاط (ق) كور (ق)	Nef	Aisle
15 البلاطة الوسطى	التي تتوسط البلاطات الموازية لها وتكون أكثر اتساعا وارتفاعا في الغالب		Nef Centrale	Nave
16 بلاطة المحراب	البلاطة الممتدة أمام المحراب عمودية عليه			Mihrab Aisle
17 بلاطة القبلة	البلاطة الممتدة أمام جدار القبلة موازية له			Kibla Aisle.
18 بوابة	تطلق على أبواب المباني الهامة المتميزة بضخامتها وفخامتها.		Porte Monumentale, - Portail	Gate, Portal
حرف التاء 19 تجويف	رجوع في الجدار لاحداث مايشبه المحراب	دخلة قوصرة	Enfoncement	Recess
20 تخريم (ق)	نقش دقيق تتخلله خروم أو ثقوب	تخريق	Ajours	Open Work

Interlacing, Network	Entrelacs, Réseau	شبكة	شكل زخرفي مكون من خطوط متداخلة	21 تشابك
Gilding	Dorure	تمويه بالذهب تحلية بالذهب (ق)	طلاء ذهبي للعناصر المعمارية بغرض الزخرفة، بماء الذهب أو بأوراق الذهب	22 تذهيب (ق)
Mausolum, Tomb	Mausolée, Tombeau		مبنى مقام فوق قبر من قبور العظماء مزوّد غالبا بقبة	23 تربة (ق)
Inlay	Incrustation	تكفيت تطعيم	ادخال مادة ثمينة في مادة أخرى بغرض الزخرفة عن طريق الحفر والتنزيل.	24 ترصيع (ق)
Panelling	Placage de Marbre		أعمال الرخام، في البلاط أو كسوة الجدران، ومنها المرخم	25 ترخيم (ق)
Joggled		تزرير	إدخال الزجاج في مادة الجص لتكوين الشمسيات (النوافذ الجصية)، أو تداخل فقرات العقد فيما بينها لغرض التماسك أو الزخرفة. ومنها معشق.	26 تعشيق
Alternating	Alternatif		تستخدم عند استعمال لونين مختلفين أو عنصرين مختلفين يلي أحدهما الآخر.	27 تناوب
— Foliage — Scrolls — Arabesque	— Feuillage — Rinçeau — Arabesque	تعريق	الزخارف المكونة من أوراق الشجر الملتفة أو عروق الكرمة	28 توريق (ق)
Architrave	Architrave		حجر أفقي يصل بين عمودين أو دعامتين شبيه في وظيفته بالساكف	**حرف الجيم** 29 جائز (ق)

Pediment	Fronton		حلية معمارية مثلثة الشكل في واجهة البناء أو فوق الفتحات	30 جبهة مثلثة
Gable	Pignon		واجهة مثلثة الشكل في المباني الجملونية	31 جبهة الجملون
Wall	Mur	حائط (ق)	عنصر أساسي في المبنى تتكون منه الحدود الخارجية أو التقسيمات الداخلية.	32 جدار (ق)
Retaining Wall	Mur de Refend		جدار للدعم أو السند أو حجز التربة أو منع الانهيار	33 جدار استنادي
Bridge	Pont	قنطرة (ق)	وسيلة اجتياز نهر أو منخفض أو وادي.	34 جسر (ق)
Beam	Poutre	جائز (ق) كَمَرة (م) عارضة (عم)	عارضة في الخرسانة أو الخشب تستعمل في إقامة السقوف أو تصل بين عنصرين قائمين.	35 جسر (في التسقيف)
Drawbridge	Pont-Levis		جسر متحرك يستخدم أمام مداخل الحصون والقلاع.	36 جسر معلق
— Plaster — Gypsum	— Platre — Gypse	جبس (ق) كلسة	مادة مستخرجة من الحجارة الكلسية تشوى وتطحن بالماء، تستخدم مِلاطا للجدران	37 جص (ق)
Stucco	Stuc	مجصصات نقش حديدة (مغ) جص مخرم (ق)	زخارف منقوشة على الجص	38 نقوش جصية
Gable Roof	Comble sur pignon (s)	سقف سنامي	السقف المؤلف من سطحين مائلين متلاقيين في القمة.	39 جملون
Pavilion	Pavillon		طرف من مبنى كبير	40 جناح (ق)

41 جوسق (ق)	معربة من الفارسية تطلق على نوع من القصور.	كشك (من التركي)	Kiosque, Pavillon	— Kiosk, — Pavilion
42 جذع	انظر عمود (جذع العمود)			
حرف الحاء 43 حاملة جدارية	حجر بارز في جدار، مزخرف غالبا، لحمل عنصر معماري أو سقيفة	ركاب (مغ) مسند جداري كابولي (م)	Console	Console, Bracket
44 حجر منحوت	حجر جيد القطع، معد للبناء على شكل مداميك منتظمة	مهندم	Pierre de Taille	Ashlar, Hewn stone (U.S.)
45 حجر غشيم	حجر مقطوع يستخدم في البناء دون نحت وصقل.	غير مهندم	Pierre Bourrue (non taillée)	Rough Stone
46 حجرة (ق)	غرفة صغيرة مخصصة لسكن شخص واحد.	خلوة (ق)	Cellule	Cell
47 حرم (ق)	القسم المسقوف المخصص لصلاة الجماعة في المسجد أو الجوامع الكبيرة	قاعة الصلاة المغطى (ق) قبلية (ق)	Salle de Prierre, Sanctuaire	— Prayer Hall — Sanctuary
48 حشو (ق)	مايوضع بين صفحتي الجدار من الطين والحجر.	ركة (عم)	Blocage	Filling
49 حصن	المبنى الحصين المشيد لأغراض دفاعية		Forteresse	Fortress
50 حلزوني	الشكل اللولبي في الأعمدة والنقوش (عمود حلزوني)		Tors, Tordu	Twisted
51 حنية جدارية	تقعيرة في الجدار تشبه المحراب	تجويف دخلة	Niche	Recess

Squinch	Trompe	جوفة (م)	عنصر معماري شبيه بالمحراب يستخدم كواسطة انتقال في أركان القباب.	52 حنية ركنية
Bay	Travée, Baie	معزبة (ق) بلاطة (م) اسطوان (م)	وحدة تقسيم في عنصر معماري كالقطاع المحصور بين قنطرتين من قناطر الرواق أو البلاطة.	53 حيِّز
				حرف الخاء
Caravanserai	Caravansérail	فندق (ق)	العمائر المقامة على الطرق كمحطات للقوافل والمسافرين في الأزمنة القديمة، وكذلك لنزول التجار وبيع البضائع في داخل المدن.	54 خان (ق)
		خانقة (ق)	بيوت مخصصة للصوفية في المدن الاسلامية قديما.	55 خانقاه (ق)
— Glazed-Tile — Glazed Brick	Faïence		الفخار المطلى بالميناء الزجاجية أو ذي البريق المعدني ويكون على ألوان متعددة.	56 خزف
Cell	Cellule	مقصورة (ق) حُجْرة (ق)	الغرفة الصغيرة تطلق بشكل خاص على مقاصير الحمامات العامة.	57 خلوة (ق)
Cavetto	Alvéol, Cavet		وحدة المقرنصات، وتكون غالبا على شكل محراب صغير	58 خلية
Ditch, Moat	Fossé		أخدود محفور حول الأسوار أو الحصون، لحمايتها، ويملأ أحيانا بالماء.	59 خندق (ق)
				حرف الدال
	Salle D'orateur	بيت الخطابة (ق)	اصطلاح قديم يراد به الغرفة المخصصة لخطيب المسجد خلف جدار القبلة، قريبا من المنبر.	60 دار الخطابة (ق)

61 دَبْش (عم)	كسارة الحجر المستعملة مع المونة في حشوة الجدران	زلط (م)	Moellons	— Rubble (stone) — Boulder
62 درابزين (ق)	سياج يستخدم للشرفات والسلالم		Balustrade	Balustrade
63 دار (ق)	المسكن العادي	بيت (ق)	Maison	House
64 دارة	القصر الصغير، مسكن مستقل حديث مكون من طابقين وحديقة	فيلّة (عم)		
65 دركاه (ق)	معربة عن الفارسي، تطلق على الدهليز أو الغرفة التي تلي الباب، بينه وبين الفناء.	دركاة (ق) ضرقة (م)	Antichambre	Antechamber
66 درج (ق)	وسيلة الصعود، مكونة من درجات عديدة بين ستار أو درابزين.	سلم (ق)	Escalier	Stair
67 دعامة (ق)	وسيلة تحميل أو دعم في المباني وتكون على أشكال	عضاضة (ق)	Pilier	Pile, Pillar
68 دعامة جدارية	الدعامة المتصلة بالجدار، الملصقة به والمنبثقة عنه.	كتف	— Pilastre — Contrefort	— Pilaster — Buttress
69 دكان (ق)	غرفة في السوق لأعمال البيع والشراء	حانوت (ق)	Boutique	Shop
70 دكّة	مكان مسطح مرتفع عن الأرض	مصطبة (ق) مسطبة (ق)	Plate-Forme	Platform -- Plinth
71 دهليز	ممر مسقوف يصل بين الباب الخارجي وداخل المبنى.	ممر	Vestibule	Vestibule
حرف الراء 72 ربض (ق)	الضاحية، أو الحي الكائن خارج المدينة، قريبا منها.	ضاحية	La Banlieue	The Suburbs

Marble	Marbre	مرمر (ق)	نوع من الحجر الأبيض المكون من بلورات ناعمة.	73 رخام (ق)
		موشى (ق) مشجر (ق)	نوع من الترخيم يتم باستخدام شرائح من الرخام ذي العروق تؤخذ من قطعة واحدة فيتكون من رصفها شكل رباعي.	74 رخام مجزع (ق)
Fresco	Fresque		الصور الملونة التي ترسم على طبقة من الجص الكلسي.	75 رسوم جدارية
Eaves	Auvant (Avance du toit)		سقيفة متصلة بالبناء توضع فوق الأبواب والفتحات للوقاية من المطر أو أشعة الشمس.	76 رفرف (ق)
Corner	Coin	زاوية عضادة (ق)	1 ــ زاوية المبنى الداخلية 2 ــ العضادة الكبيرة التي تقع في الركن.	77 ركن (ق)
Portico	Portique		ممر مسقوف فوق قناطر غالبا مفتوح على الفناء أو الصحن.	78 رواق (ق)
Machicoulis	Mâchicoulis	روشان (سع)	1 ــ عنصر دفاعي في العمارة العسكرية على شكل شرفة مسقوفة في أعالي الأسوار والأبراج زودت أرضها بفتحات (سقاطات) لصب الزيوت المغلية أو المقذوفات. 2 ــ الشرفة الخشبية المقامة أمام فتحات البيوت القديمة كالتي تشاهد في بيوت مدينتي جدة ومكة.	79 روشن (ق)
Teak	Teck	خشب الساج	نوع جيد من الخشب يستخدم في أعمال البناء لاسيما في صنع المنابر والمقاصير.	**حرف السين** 80 ساج (ق)

Lintel	Linteau	نجفة (ق) عتب (م) مردم (ي) حنت (س)	حجر طويل من قطعة واحدة لتسقيف فتحات الأبواب والشبابيك	81 ساكف (ق)
Fountain	Fontaine	قسطل (ق)	بناء صغير مستقل أو متصل ببناء آخر مزود بالماء، يستقي منه المارة في المدن الاسلامية قديما	82 سبيل (ق)
Casting	Coulage	روبة (عم)	سائل طيني أو إسمنتي يصب بين حجارة البناء أو في حشوة الجدار.	83 سُقية (ق)
1. Parapet 2. Curtain	— Parapet — Rideau		1 ــ جدار صغير يبرز فوق مستوى السطح لتكوين حاجز دفاعي في الحصون، وفي العمائر المدنية الأخرى. 2 ــ حاجز من الخشب أو غيره مخرق لسد الفتحات..	84 ستارة (ق)
Opening	Ouverture		الفتحة الموجودة في أرضية الروشن لصب الزيوت المغلية على الأعداء.	85 سقاطة (ق)
Fountain	Fontaine		المكان المزود بالمياه. وتطلق أحيانا على مايعرف بالميضأة والسبيل.	86 سقاية (ق)
Ceiling	Plafond		مايغطي المبنى، ويطلق غالبا على السقوف المستوية	87 سقف (ق)
— Roof Terrace	— Toit — Terrasse		سطح المبنى، وكل سطح مرتفع عن الأرض	88 سطح (ق)
— Shelter — Canopy	— Abri — Dais	ظلّة	مكان مسقوف مستقل أو متصل ببناء ما، يلجأ إليه للوقاية من المطر أو الشمس.	89 سقيفة (ق)

90 سويرية	تصغير سارية، العمود الصغير.		Colonette	Colonette
91 سُدَّة (ق) (سُدة الأذان)	منصة أو مصطبة في قاعة الصلاة تستخدم للأذان.			
حرف الشين 92 شادروان (ق)	معرب عن الفارسي، وهو عنصر معماري على شكل قبة صغيرة محمولة على عمد وقناطر، يشاهد كغطاء فوق الموضأ أو بركة الصحن، أو في قمة المآذن.	مظلة	— Pavillon — Kiosque	— Pavilion — Kiosk
93 شبك	ستارة أمام الفتحات مكونة من قضبان متشابكة من الحديد أو الخشب أو الجص.	شُبَّاك (ق) مُصَبَّعة	Grille	Grille
94 شُرافة (ق)	عنصر زخرفي يصاغ بأشكال مختلفة يقام في أعالي جدران المباني العامة والهامة.	شُرَفَة (المعجم)	Merlon	Merlon
95 شرفة (ق)	مجلس بارز غير مسقوف في المبنى	بلكونة (عم)	Balcon	Balcony
96 شريط	قطاع افقي مزود بالكتابات أو الزخارف في جدران المباني	افريز (مع)		Band
97 شريحة	لوح من الرخام أو غيره يقطع أويفصل شاقوليا عن قطعة أخرى		Dalle	Slab
98 شمسية (ق)	حاجز جصي تستر به النوافذ مزخرف غالبا بالنقوش ومعشق بالزجاج الملون.		Vitrail	Vitrail

— Chamfered — Truncated	Tronqué		القسم المقصوص (السفلي) من زاوية المبنى أو مكان التقاء واجهتيه حيث تتحول الزاوية المشطوفة إلى واجهة ضيقة تنتهي في أعلاها غالبا بمقرنص.	99 شطفة (مشطوف)
Courtyard	Cour, Patio (Espan), Atrium (Latin)	فناء (ق) باحة (ق) حوش (عم)	مكان غير مسقوف أو سماوي يتوسط المبنى.	**حرف الصاد** 100 صحن (ق)
Cistern	Citerne	خزان مصنع (ق)	خزان الماء، يكون غالبا تحت الأرض.	101 صهريج (ق)
Shrine	Tombeau	مرقد (ع) مقام (س) تربة (ق)	القبر، وماشيد عليه من البناء تكريما لشخصية المتوفى.	**حرف الضاد** 102 ضريح
— Braid, Cable — Moulding	Tresse	جديلة	عنصر زخرفي مجدول على شكل الحبل	103 ضفيرة
Storey	Etage	دور (م) طبقة (ق) وجمعها طباق	وحدة في المباني العالية لتحديد لتقسيم الأفقي. وتجمع على طوابق	**حرف الطاء** 104 طابق (س)
Lucarne	Lucarne	كوة (ق)	القنطرة الصغيرة وجمعها طاقات أو فتحة في أعلا الجدار أو السقف.	105 طاقة (ق)
Cartouche	Cartouche		النص أو الكتابة التي تمثل الشعار. استعمل المصطلح حديثا للتعبير عن الأسلوب الفني.	106 طراز (ق)

حرف العين				
107 عتبة (ق)	أرضية الباب ومايليه أي الرقعة المبلطة في مدخل القاعة أو الغرفة في البيوت القديمة	اسكفة (ق) معقم (ي)	Seuil	Threshold
108 عضاضة (ق)	كتلة من البناء شاقولية لها مسقط مربع أو مستطيل أو مضلع لغرض حمل السقوف والقناطر	دعامة (ق) سارية (ق) عِماد (ق)	Pilier	— Pier, Pile, — Pillar
109 عقد (ق)	عنصر معماري مقوس أو محني وله أشكال عديدة.	قوس (ق) حنية (ق)	— Arc — Arche	Arch
110 عقد نصف دائري	عقد يرسم قوسا نصف دائري	مدور (ق) (قنطرة مدورة)	Arc. (en) Plein Cintre	Semicircular Arch
111 عقد مجزوء	عقد قوسه يقل عن نصف الدائرة	موتور	Arc Bombé Arc Surbaissé	Segmental Arch
112 عقد حدوي	عقد يزيد قوسه عن نصف الدائرة	متجاوز منفوخ	Arc Outrepassé	Horse Shoe Arch
113 عقد حدوي مدبب	عقد حدوي مدبب الرأس		Arc Brisé Outrepassé	
114 عقد مدبب (يرسم من مركزين)	قوسه مكسور في منتصفه مما يجعل له رأسا في أعلاه — وبذلك يصبح مركبا من قوسين متساويين يرسمان من مركزين، وله أشكال تختلف باختلاف موقع مركزيه.		— Arc Brisé — L'ogive	Pointed Arch.
115 عقد مدبب مخموس	عقد مدبب يقع مركزاه عند خمس خط فتحة العقد.		Quinte-Point, arc ogive surbaissée	Drop Arch.
116 عقد مدبب مثلوث	عقد مدبب مركزه عند ثلث فتحة العقد.		Tiers-Point	Tierce-Point

117 عقد مدبب تام	عقد مدبب تتساوى فتحته مع نصفي قطريه.		Equilatéral	. Equilateral
118 عقد مدبب (يرسم من أربعة مراكز)	عقد مدبب يتكون من أربعة أقواس اثنان في الأسفل متماثلان واثنان في الأعلى متماثلان يتصلان بالقوسين السفليين. وله أشكال :	عربي فارسي	Arc. Aplati	Four Centered Arch
119 عقد مدبب عباسي	مدبب يرسم من أربعة مراكز اثنان على خط فتحة العقد واثنان أسفلها.	منبطح مفلطح	Tudor	Tudor
120 عقد مدبب فارسي	وهو متطور عن العباسي، يرسم من أربعة مراكز لكن قوساه العلويان مفتوحان للخارج ويرسمان من مركزين يقعان خارج العقد. وقد اصطلح بعضهم على تسميته الفارسي بسبب شيوعه في العمائر الاسلامية في فارس والتركستان والهند وكذلك في العمائر العثمانية.		Arc Persan, Arc en Accolade	Ogee Arch.
121 عقد مدبب فاطمي	وهو شبيه بالعقد العباسي إلا أن قوسيه العلويين أصبحا مستقيمين	منفرج	Arc.Tudor	Keel Arch.
122 عقد متطاول	عقد يمتد طرفاه أو رجلاه ليصبح أكثر ارتفاعا.		A. Surhaussé	Stilted A.
123 عقد مفصص	ينقسم قوسه إلى عدة أقواس صغيرة متصلة، تختلف أشكاله بحسب عدد الفصوص وأشكالها.		A. Multilobé	Lobed A. Foiled A.
124 عقد ثلاثي الفصوص	يتكون من ثلاثة أقواس، الأوسط كبير في القمة، والجانبيان مجزوءان.		Trilobé	Threfoiled
125 عقد بيضوي	عقد يشبه قوسه رأس البيضة	بيضي اهليليجي	Elliptique	Elliptic

Cushion A.			تشبه فقرات العقد الوسائد المرصوصة إلى بعضها إذا نظر إلى باطنه. كان أول ظهوره في باب الفتوح الفاطمي بالقاهرة.	126 عقد وسائدي
Cusped A.	Arc Redenté		عقد مزخرف باطنه بنتوءات على أشكال مختلفة. شاع في عمائر الهند الاسلامية.	127 عقد مسنن
Blind A.	A. Aveugle	أصم	مسدود الفتحة	128 عقد مصمت
Relieving A.	A. de Décharge	عقد تخفيف	عقد مخصص لتوزيع الحمل عن سواكف الأبواب والشبابيك حماية لها من التكسر، ويكون على أشكال.	129 عقد عاتق
Gored A.			نصف قبة مفصصة على هيئة أشعة تنبثق من قرص مركزي، تجسدها ضلوع بارزة وأخرى غائرة.	130 عقد شعاعي
Tympanum	Tympan	طبلة (عم) مندلون (عم) فوقية الباب (م)	ما يملأ العقد العاتق (المقام فوق السواكف)، أو الجبهة المثلثة الشائعة في العمائر الكلاسيكية.	131 حشوة العقد
Extrados	Extrados		واجهة العقد أو ظهره المكشوف	132 (ظاهر) العقد
— Intrados — Soffit	— Intrados — Soffite		السطح الداخلي الظاهر من العقد	133 (باطن) العقد
Hunch	Aisselle (d'une voûte)		جانب من العقد بين قمته ومكان استناده	134 (رجل)العقد
— Spring-Point Springing (of a Vault)	Point de Naissance (d'une Voûte)		مبتدأ العقد عند نهايته السفلى	135 منطلق العقد

Impost	Imposte, Sommier (d'arcade)		حجر خاص يوضع فوق تاج العمود أو العضادة.	136 (وسادة) العقد
— Key Stone — Crown	Clef de Voûte	رأس العقد	الحجر الكائن في قمة العقد ويقوم بمهمة إمساك الفقرات الأخرى	137 (مفتاح) العقد
— Voussoir — Arch Stone	— Voussoir — Claveau	صنجة (م) تشطيرة (مغ)	الحجارة التي يتكون من مجموعها العقد الحجري	138 (فقرة) العقد
— Springing Line — Span	(La) Portée		خط وهمي تقع عليه المراكز التي ترسم منها أقواس العقد، وتقاس به سعته.	139 (فتحة) العقد
Spandrel	Ecoinçon	توشيحة كوشة (م)	الزاوية الكائنة بين العقد والاطار المحيط به.	140 (حاشية) العقد
Column	Colonne	سارية (ق) أسطوانة (ق) أساطين (ج)	دعامة لحمل القناطر أو الجوائز والسقوف أسطوانية الشكل. ويكون جذعه من قطعة واحدة أو مركبا من فقرات أسطوانية.	141 عمود (ق)
Fluting	Cannelure	مخدد محزز	عمود نحت جذعه على شكل أخاديد أو أقنية شاقولية وهو شائع بشكل خاص في العمارة الكلاسيكية	142 عمود مقنّى
Torus Twisted Pillar	Torse Colonne Torse	مثعبن (ق)	جذع العمود المنحوت على شكل لولبي أو حلزوني	143 عمود حلزوني
Engaged Column	Colonne Engagée		عمود أو نصف عمود ملتصق بالجدار أو بعنصر معماري آخر.	144 عمود مندمج
Capital	Chapiteau	رأس العمود (ق)	قطعة تتوج العمود، غنية بالزخارف	145 (تاج) العمود
Shaft (of column)	Fût		الجزء الواقع بين القاعدة والتاج	146 (جذع) العمود

Drum	Tambour.	صنجة (م)	واحدة من الاسطوانات التي يتكون منها العمود.	147 (فقرة) العمود
1) Architecture 2) Building	Architecture Bâtiment	فن العمارة بناء مبنى	1 ـــ فن البناء أو صناعته 2 ـــ المبنى المعمور المشيد	148 عِمارة (ق) عَمارة (ق)
Classic A.	A. Classique		ما يتصل بفنون العمارة التي سادت في حضارة اليونان والرومان والبيزنطيين قبل الاسلام.	149 عمارة كلاسيكية
Tesserae, Smolt	Tesselle (de pavage en mosaïque) Smolt		وحدة الفسيفساء. قطعة على شكل المكعب الصغير.	**حرف الفاء** 150 فص (ق)
			انظر عمود وعقد	151 فقرة (العمود والعقد)
Fountain	Fontaine	فوارة (ق) نافورة، نوفرة (عم)	بركة صغيرة مزودة بالأنابيب التي تخرج منها المياه، كعنصر ترفيهي وزخرفي.	152 فسقية (ق)
Mosaic	Mosaïque	فسافساء (ق) الفص الملون (ق)	عنصر زخرفي يتكون من رصف قطع صغيرة (فصوص) ملونة من الحجر أو الزجاج أو غير ذلك.	153 فسيفساء (ق)
Glass M.	M. en Pâte de Verre		فسيفساء تتكون فصوصها من الزجاج وقد يتخللها قطع من الحجر والرخام أو الصدف.	154 فسيفساء زجاجية
		مشقف (س)	فسيفساء تتكون من قطع ذات أشكال هندسية لتكوين موضوع زخرفي وقد يتخللها الصدف.	155 فسيفساء رخامية

156 فسيفساء خزفية	الفسيفساء المكونة من قطع الخزف الملون، ويغلب فيها الأشكال الهندسية.	زليج (مغ)	M. en Faïence	Faience M.
حرف القاف 157 قاشاني	ألواح الخزف التي تكسى بها الجدران مزودة بالرسوم والألوان تحت طبقة زجاجية وتكون غالبا مربعة الشكل سميت كذلك نسبة لمدينة قاشان الايرانية.	كاشاني (ق) كاشي	Faïence	Glazed-Tile
158 قاعة (ق)	الغرفة الواسعة المخصصة غالبا للاجتماعات أو الحفلات.	صالة (عم)	Salle	Hall
159 قاعة الاستقبال	قاعة في البيت أو القصر مخصصة لاستقبال الضيوف.	صالون (عم)	Salle de Reception	Reception Room
160 قاعة العرش	قاعة جلوس الملوك والسلاطين		Salle du Trône	Throne Room
161 قالب	هيكل يصنع من الخشب غالبا لانشاء العقود وغيرها.	عبوة (م)	Cintre	Centering
162 قبر (ق)	القبر العادي البسيط، ليس عليه بناء	رمس	Tombeau, Tombe	Grave, Tomb
163 قبة (ق)	المبنى ذي السقف الكروي. وتطلق أحيانا على كامل المبنى أو على السقف فقط (الطاسة)		Couple, Dôme	Dome
164 قبة محززة	القبة التي يتكون سطحها من ضلوع شاقولية تلتقي في قمتها.	ذات ضلوع	C. à Côtes C. à Nerfes	Ribbed D. Fluted D.
165 قبة بصلية	لها مقطع حدوي يتجاوز نصف الكرة. شبيهة بالبصلة.		Coupole Bulbeuse	Bulbous Dome.
166 قبة مخروطية	ذات الشكل المخروطي		C. Conique	Conical D.

Pyramidal D.	C. Pyramidal		ذات شكل هرمي، رباعي الوجوه أو أكثر	167 قبة هرمية
Cupola, Domlet	Coupolette		القبة الصغيرة	168 قبيبة
Drum	Tambour	كرسي القبة (ق) عنق	القطاع الذي يصل بين قاعدة القبة وطاستها (سقفها المعقود)	169 (رقبة) القبة
Dome Dome Vault	Calotte	بيضة القبة (ق) القبة	سقف القبة المعقود على شكل نصف كرة أو بشكل آخر.	170 (طاسة) القبة
Vault	Voûte	قبو وأقباء (ق) عقد أزج جمعها آزاج (ق)	السقف المعقود بشكل محدب وتكون على أشكال.	171 قبوة
Tunnel V.	Voûte en Berçeau		قبوة ممتدة، على شكل عقود متواصلة	172 قبوة طولية
Cross V. Groined V.	Voûte D'arêtes	متصالبة	قبوة مكونة من تقاطع قبوتين	173 قبوة متقاطعة
Barrel V.	V. en Berçeau	برميلية	قبوة ذات مقطع نصف دائري	174 قبوة نصف أسطوانية
Tile	Tuile		ألواح من الآجر، وتطلق بشكل خاص على مايستخدم منها في كسوة الأسطحة. استخدم القدماء هذا المصطلح للدلالة على ماتكسى به القباب من الرصاص أو النحاس.	175 قرميد (ق)
		كاس (ق) صحفة (ق)	صحن مقعر يطلق على العنصر المماثل المستعمل وسط البرك والفساقي لتسيل منه المياه.	176 قصعة (ق)

177 قلعة (ق)	حصن يقام في المدن ويخصص لاقامة الحكام وأعوانهم.		Citadelle	Citadel
178 قمرية (ق)	نافذة مستديرة		Oculus, œil de bœuf	Oculus, bull's eye
179 قمين	اتون في الحمامات العامة حيث توقد النار لتسخين ماء الحمام.	قميم (س)		
180 قناة معلقة	القناة المحمولة على قناطر		Aqueduc	Aqueduct
181 قوس (ق)	المعنى العام للمصطلح هو القوس المرسوم كقطاع من دائرة. استخدم كذلك للدلالة على القوس الانشائي أو العقد.	عقد (ق) حنية (ق)	Arc	Arc
182 قولبة	زخرف مكون من خطوط محفورة بشكل غائر.		Moulure	Moulding
183 قنطرة (ق)	عقد محمول على عضائد أو أعمدة. استخدم المصطلح قديما كذلك للدلالة على الجسر	طاقة (ق) حنية (ق)	Arche	Arch
184 صف من القناطر	قناطر متجاورة متلاصقة على خط مستقيم.	بوائك (ج) بائكة (م)	Arcades	Arcade
185 قنطرة مصمتة	قناطر بدون فتحة أو مسدودة، تقام غالبا كعنصر زخرفي.	صماء	Aracade Aveugle	— Blind Arch — Wall- Arcade
حرف الكاف 186 كحلة	المونة من الطين أو الاسمنت توضع بين حجارة البناء أو الآجر لتصل فيما بين سطوحها.	لحام	Joint	Joint

187 كسوة (ق)	ما تكسى به الجدران من المواد السطحية كالرخام والخزف والخشب والجص	تلبيس (ق) تجليل (ق)	Revêtement, moulures, Saillies ·	— Coating
188 كلسة	طبقة من الكلس أو الجص تكسى بها الجدران.	زريقة (س) مساح (ك)	Enduit	Layer
189 كوة	القنطرة الصغيرة وتجمع على كوى	طاقات صغار (ق) فراخ القناطر (ق)		
حرف اللام 190 لبِن (ق) (جمع لَبِنَة)	مادة ألبناء للصنوعة من الطين ضمن قوالب، الجففة بأشعة الشمس. مفردها لبنة (ق).	طوب (ق)	Brique Crue, Adobe	— Sun Dried Brick — Mud Brick, Adobe
حرف الميم 191 مئذنة (ق)	البرج المخصص للأذان، وينتهي بشرفة يقف فيها المؤذن.	مأذنة (ق) منارة (ق) صومعة (مغ، ق)	Minaret	Minaret
192 مبنى	مصطلح عام يطلق على كل أنواع العمائر.	بناء عمارة	Bâtiment	Building
193 مثلث كروي	عنصر معماري مستخدم غالبا في زوايا الانتقال في القباب يمثل مثلثا مقتطعا من كرة رأسه للأسفل		— Pendentif, — Triangle Sphérique	— Pendentive, — Spherical Triangle
194 مجاز (ق)	البلاطة التي تقطع بلاطات أخرى في قاعة الصلاة، وتكون عمودية على المحراب	مجاز قاطع	Transept	Transept
195 مجسم	شكل مصغر لمبنى أو منشأة	نموذج	Maquette	Model

Mihrab	Mihrab	حنية جدارية تجويف	تطلق على محراب الصلاة، وأحيانا على أي شكل مماثل له.	196 محراب (ق)
Shallow Niche	Niche Superficielle		محراب لاعمق له، عكسه المحراب المجوف.	197 محراب مسطح
Apse	Abside, Apside	محراب المذبح (ق) هيكل الكنيسة (ق) المقام (ق)	تجويف كبير في صدر الكنيسة شبيه بالمحراب	198 محراب الكنيسة
Axis	Axe		خط مستقيم وهمي يصل بين عنصرين متقابلين في المبنى.	199 محور
Plan	Plan	تصميم	المسقط الأفقي للمبنى المرسوم	200 مخطط
— Entrance, — Door Way	Entrée		مكان الدخول في المبنى ويشمل الباب أو الأبواب التي يحتويها	201 مدخل
Course	Assise	مسافات (ق) سطر (ق) سوقات (عم)	صف أفقي من حجارة البناء في جدار جمعها مداميك.	202 مدماك (ق)
Arrow Loop	Archere		مكان رمي السهام في الحصون والأسوار يقف فيه الرامي	203 مرمى
— Loop-Hole — Arrow Slit	Meurtrière		فتحة شاقولية ضيقة في جدار المرمى	204 (شق) المرمى
Recess	Niche		المكان الذي يتقدم المرمى وهو على شكل فتحة واسعة مقنطرة كإيوان صغير يتسع لعدد من الرماة.	205 (إيوان) المرمى
Ramp	Rampe		منحدر للصعود والنزول بدلا من الدرج كالذي نجده في بعض المآذن.	206 مرقاة

207 مِلاط	الطين أو أي مادة مماثلة يُمَلَّط بها الحائط	كلسة ــ جص	Enduit	Coat
208 مشكاة (ق)	كوة غير نافذة أو محراب صغير تخصص عادة لوضع مصباح. وتطلق خطأً على القنديل أو المصباح الزجاجي.		Niche	Niche
209 مشهد (ق)	الضريح أو التربة المقامة على ذكرى شخصية دينية.	مرقد (ق) مقام (م)	Cénotaphe	Cenotaph
210 مشربية	ستارة من خشب الخرط أو الشيش تستر بها النوافذ	خشب مشرجب (ابن جبير) شيش (سع) خص (س)	Treillis	Lattice
211 مصراع (ق)	واحد من مصراعين يغلق بهما الباب	غلق وإغلاق (ق) درفة (ق) فردة	— Vantail — Battant	Leaf
212 مصطبة (ق)	مسطح مرتفع شبيه بالدكة ممر للجلوس	مسطبة (ق) صُفَّة (ق)	Terrasse	Terrace
213 معمار (ق)	البناء أو من يعمل في صنعة البناء	مهندس (ق) مهندس عمارة	Architecte	Architect
214 مقبرة (ق)	المكان المخصص لدفن الموتى	جبَّانة (ق)و (س) قرافة (م)	Cimetière	Cemetery
215 مقرنص (ق)	عنصر معماري زخرفي شاع في العمارة الاسلامية منذ القرن الخامس الهجري، ويتكون من مجموعة من المحاريب الصغيرة المتراكبة بأشكال مختلفة.	مقربص (مغ)	Alvéole	Muquarnas

Cavetto	Cavet		وحدة المقرنص المكونة من محراب واحد	216 (خلية المقرنص
Section	Section		رسم يمثل قطعا شاقوليا في المبنى	217 مقطع
Airscoop	Bossette D'entrée D'air	بادنج (عـ) و(س)	فتحة لجريان الهواء تصل ما بين القاعة والسطح. تقوم بتلطيف الجو والتخفيف من الحر.	218 ملقف
Rampart-Walk	Chemin de Ronde	الأقباء المستديرة (ق)	ممر أو ممشى وراء الأسوار	219 ممر (دفاعي)
Bent Entrance			ممر متعرج في الحصون أو بوابات المدن القديمة	220 ممر منكسر
Lantern, Clirestory	Lanterne, Lanterneau	فانوس (عم) شخشيخة (م)	فتحات علوية في أعلى السقف أو القبة، أو فوق الباب.	221 منور
Mortar	Mortier, enduit		طين أو عجينة من الرمل والاسمنت والكلس والماء تستعمل كمادة مساعدة لتماسك حجارة البناء أو اللبن والآجر	222 مونة (ق)
Square (Public) Forum	Place Publique		الساحة العامة	223 ميدان (ق)
Gutter	Gouttière, Gargouille	مزراب (ق) مرازيم (ك)	عنصر معماري لتصريف المياه من أسطحة المباني	224 ميزاب (ق)
— Bath, - Ablution Room	— Cabinet de toilette, — Latrines	دورة مياه طهارة (ق) مرافق (ق)	المكان المخصص للطهارة والوضوء	225 ميضأة (ق)

حرف النون 226 ناقوس	شكل شبيه بالناقوس يطلق على نوع من تيجان الأعمدة وغيرها من العناصر.		Closh-Form	Closh-Form
227 نحت	عملية قطع الحجر وتسويقه لأغراض البناء وكذلك تطلق على نحت التماثيل		Sculpture	Carving
228 نضد	كتلة معمارية تقام فوق الأعمدة في العمارة الكلاسيكية، وتتكون من ثلاثة عناصر : الجائز والافريز والكورنيش.		Entablement	Entablature
229 نقش	زخرف يتم بواسطة الحفر وتكوين أشكال زخرفية في مادة الخشب أو الحجر أو الجص.		Gravure	Engraving
230 نافذة الباب	نافذة على شكل قوس فوق الباب	مندلون (س) شرّاعة (م)	Fenêtre à Soufflet	Fanlight
حرف الواو 231 واجهة	الجدار الخارجي للمبنى، ولاسيما الرئيسي الذي يحتوي على الباب الرئيسي وله تصميم هام.	الصفح (ق)	Façade	Façade, Front
232 واجهة (في الرسم)	رسم شاقولي لواجهة المبنى أو لجدار ما.	رفع (س) مسقط رأسي (م)	Elévation	Elevation
233 وتر	عمود أفقي، من الخشب غالبا، يصل بين رجلي العقد لتأمين التماسك في القناطر القديمة.	رابط شدّاد	Tirant	Tie-Beam
234 وزرة (ق)	ما تكسى به الأقسام السفلية من الجدران، تشبيها لها بالازار الذي يستتر به الانسان نصفه السفلي.	إزار تأزيرة (ق)	Dados, lambris	Dado

.235 وسادة	قاعدة حجرية توضع بين تاج العمود ورجل العقد.	معقد (ق)	— Imposte — Sommier (d'arcade)	Impost

* * *